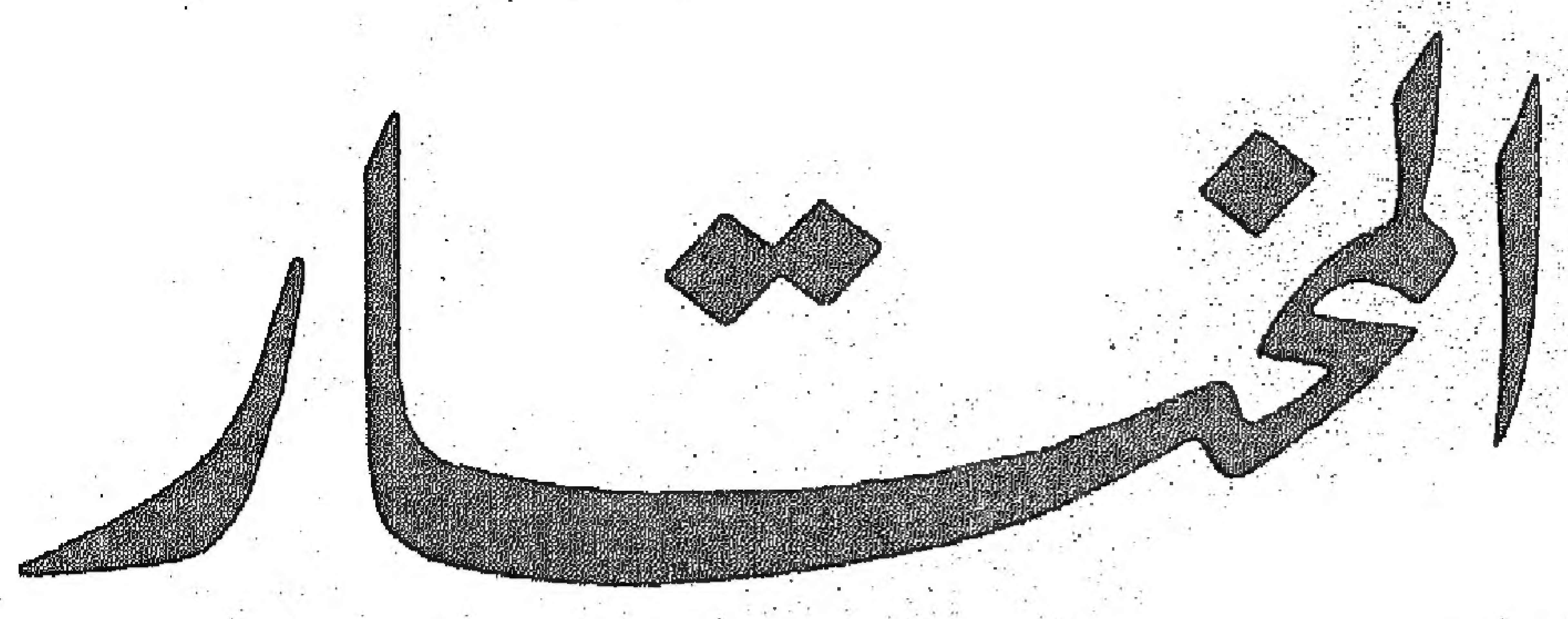
اغسطس (آب) ١٩٨٤ ـ ذو القعدة ١٤٠٤






من ريدرز دايجست



## عيادة الزواج مفتوحة ...

(ص ٨١)

# قناة السويس: الأعجوبة الثامنة

(ص ١٣)

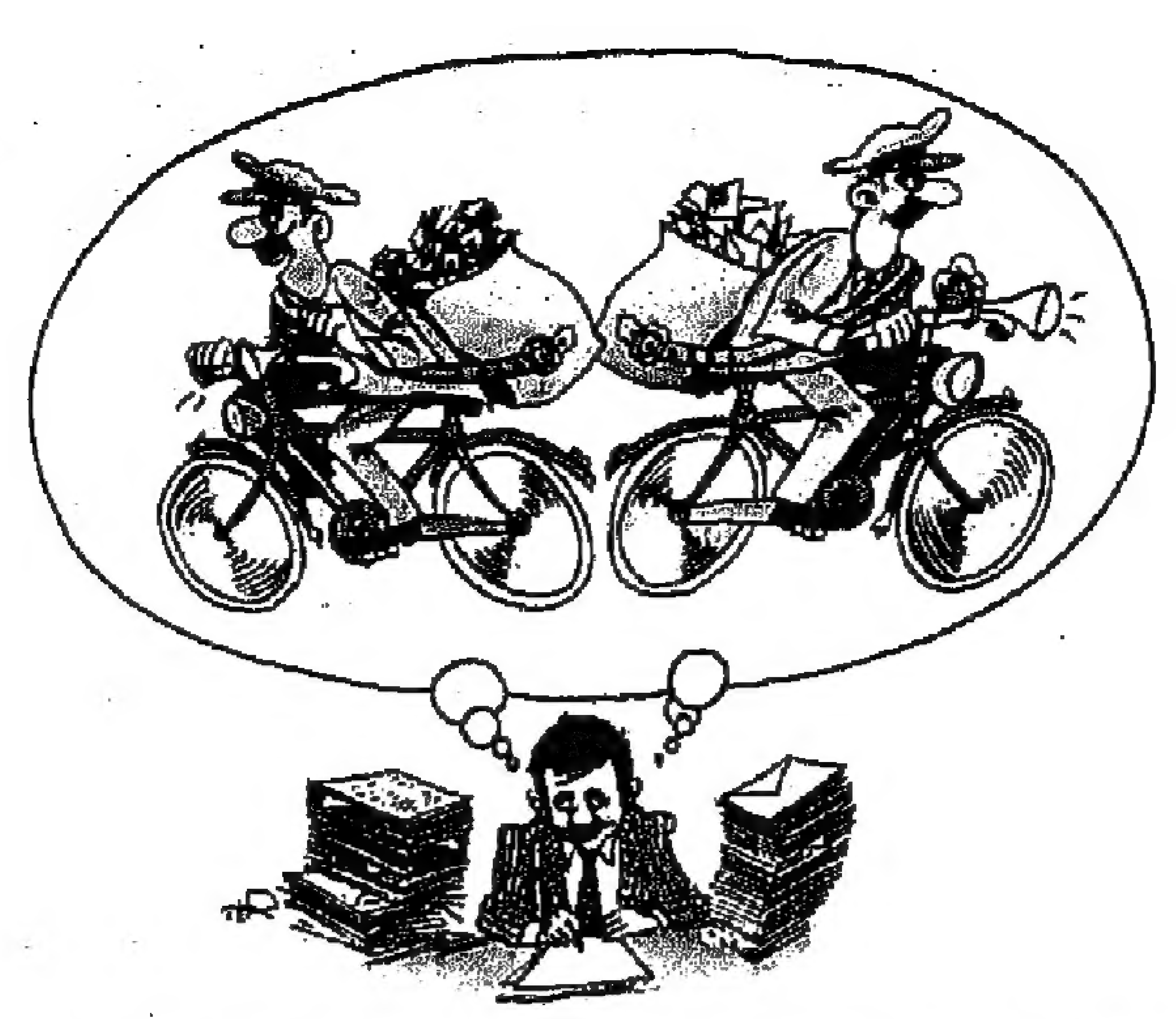


## نظرة على الاعلام المعاصر

(ص ١٢٣)

لبنان ٦٠٠ق ـ سورية ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعودية ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٨ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest Aug. 84 N° 69



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

# اكتب واربح

**صور من الحياة:** القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

**تأملات معاصرة:** مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

**حديقة افكار:** أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

**المقالات:** يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

## الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ولعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

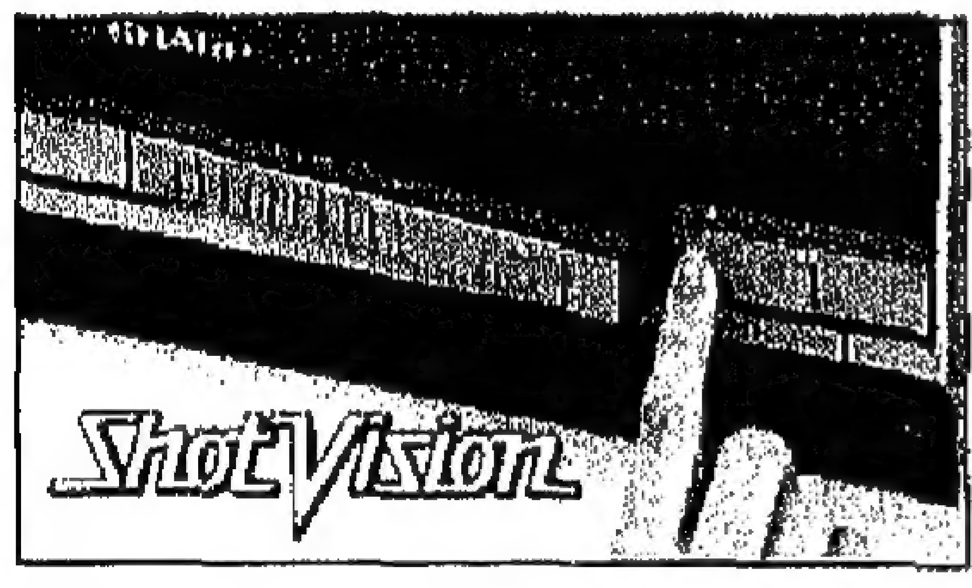
توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست – شارع المقدسي – بناية الشرتوني – ص: ب ٨٧٠٧ – بيروت – لبنان.

# 11-SYSTEM

## انتقل الى آفاق عالمية جديدة في مشاهدة التلفزيون



يمكنك ان تقضي اوقاتاً اكثر متعة في المنزل بفضل تلفزيون شارب الملون، هذا الجهاز الجديد والمتطور ذو الـ ١١ نظاماً يصلك بجميع انظمة البث التلفزيوني الرئيسية في العالم كما يمكنك من التمتع بمشاهدة اشرطة الفيديو بمختلف انظمتها العالمية، بالاضافة الى الاستمتاع باسطوانات الفيديو الجديدة المثيرة.




DV-1800 SPN كابينة معدنية فضية

DV-1800 SPM كابينة خشبية فخمة

تلفزيون ملون ٤٦ سنتم (١٨ بوصة) مع جهاز للتحكم عن بعد "شوت فيجن" بـ ١٤ وظيفة يعمل باشعة دون الحمراء وقابل للفصل.



لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي.

العربية السعودية : حسين ع. مكلوع ص.ب. ٧١٣ ، جدة تلفون : ٦٤٧٩٩٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥

الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب. ٥٦٤٨ ، الصفاة تلفون : ٤١٢٦٧١/٤١٢٦٧٩

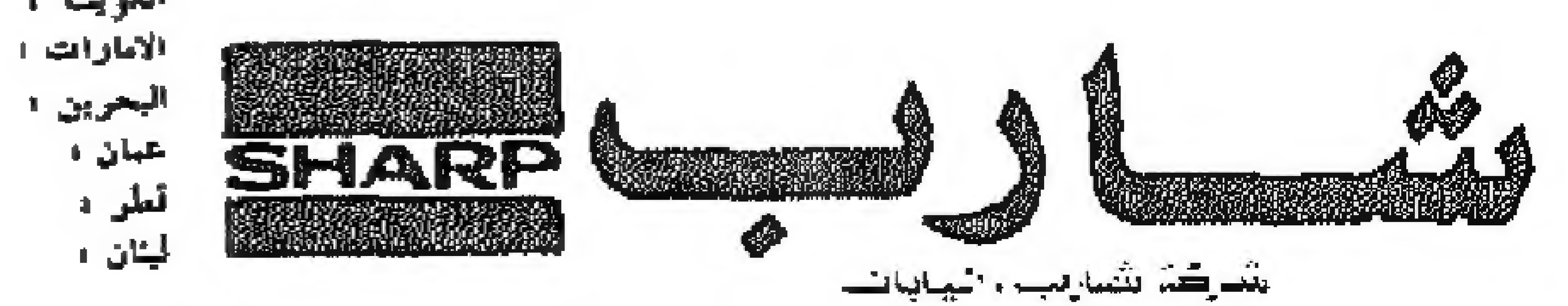
الامارات : كوسموس ص.ب. ٩ ، دبي تلفون : دبي ٤٣٥٩١٨ ، أبو ظبي ٣٣٥٥٥٦ ، العين ٦٥٦١٢٢ ، شارجة ٣٧٧٩٦١

البحرين : متجر زرازن ص.ب. ٢٣٣ ، البحرين تلفون : ٢٥٤٧٩٥/٢٥٨٢٥٨/٢٤٠١١٥

عمان : شركة عمان للالكترونيات المصرية ص.ب. ٧٠٨٨ ، مطرح تلفون : ٧٠٤٤٩١ دارسيت ، ٧٠٢٠٠٥ روى

قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب. ٨٧٥ ، الدوحة تلفون : ٤١٣٦٨٧/٤١٣٠٧٦

لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب. ٤٩٥٥-١١ ، بيروت تلفون : ٣٩٢٥٩٨/٩ ، ٢١٦٢٢٥





# المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية


رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: كين غيلمور • مدير التحرير: آلان دوليرو • المدير العام: جورج ف. غرون.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبرالك" للمنشورات الدولية – بيروت. التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي – بيروت. ص.ب. ٨٧٠٧ – ١١، التلفون ٣٥٠٧٢٠ – ٣٥٤٤٢١ التلكس (الموقت) LE 22288

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: سيكو، بيروت – لبنان. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE


تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.



الغلاف: حياة ساكنة (للاوسترالي ادريان بولوك)


AL MUKHTAR min Reader's Digest
August 84 N° 69 (New Series) Vol. 6






اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

# طريقة سَهْلة للتوقف عَن التدخين

"اني أدخن حفاظاً على صحتي،" هذا ما اوردته في مقال لي نشر عام ١٩٧٩. وبما اني طبيب فقد لفتت هذه النصيحة الطبية القراء. وكان تعليلي أن التدخين يجعلني أسعل، والسعال يقيني الاصابة بذات الرئة. وهو، الى ذلك، يزيد خفقان قلبي فلا احتاج الى ممارسة التمارين الرياضية. كما أن التدخين يفقدني الشهية الى الطعام ويدفع عني السمنة.

الآن لم أعد أدخن للحفاظ على الصحة، فصحتي لا تحتمل هذه العناية. لقد أصبت بنوبة قلبية وأنا في الحادية والخمسين زعزعت كل أفكاري، فالعوامل المساعدة على الاصابة بالنوبة القلبية في سن مبكرة هي: ضغط الدم المرتفع، مرض السكري، أمراض القلب لدى أفراد العائلة، نسبة كوليسترول عالية في الدم، التدخين. وكانت جميع العوامل الخارجة عن سيطرتي في مصلحتي، لكني اخترت أن أدخن. واذ تعود بي الذاكرة أعجَب كيف أن العلاقة بين التدخين وأمراض القلب التبست علي حينذاك، بينما تبدو الآن مقنعة الى حد بعيد.

لِمَ أتوقف الآن؟ ان المدخنين الذين يتوقفون بعد النوبة القلبية الاولى لديهم أمل بنسبة ٨٠ في المئة أن يحيوا عشر سنين أخرى، وان لم يتوقفوا انخفضت النسبة الى ٦٠ في المئة.

حين كنت مدخناً كنت أشعر

بالامتعاض، لأننا نحن معشر المدخنين لا نلقى أي تقدير، بل نقابل بازدراء غير المدخنين. كيف يعلمون أن التدخين غير مضر اذا لم يدخنوا ليتحققوا من ذلك؟ لا شك أن كون المرء عضواً في الجماعة المجربة يستحق تقدير مجتمعه. اما انا فقد ساهمت بقسطي في تلك الجماعة، واني على استعداد للانضمام الى الجماعة الاخرى.

ترى هل سأشعر بالحنين الى تلك الرحلات الليلية وانا اجوب الشوارع بحثاً عن دكان مفتوح يبيع السجائر؟ ألن أفتقد بحثي المضني بين المنافض عن عقب سيجارة طويل؟

الزمن وحده كفيل بالاجابة.

هل من السهل ان يتوقف المرء عن التدخين؟ طبعاً، واليك ما ينبغي عمله:

اولا، الشعور بألم ممض تحت عظم الصدر وأنت على وشك انهاء السيجارة الاخيرة.

ثانياً، دخول وحدة العناية بالقلب عارياً من الثياب.

وأخيراً، البقاء في الوحدة في راحة تامة لاربعة أيام يحظر فيها التدخين.

هذا ما دفعني الى تبديل عاداتي. وما عليك سوى أن تجرّب، فالتجربة أكبر برهان.

■ الدكتور فرانك أوسكي

*****

## راكب في مرأب

في ليلة حالكة ماطرة، وأنا أقود سيارة الأجرة التي أملكها، أوقفني رجل اوصلته الى حيث أراد، وهو مرأب للسيارات. وبعدما نقدني ما عليه سمعتُ صوته في الخارج وهو يقول: "يا لها من ليلة ليلاء. الأفضل أن نجد لك سيارة." وفتح باب سيارتي الخلفي وأقفل، وانطلقتُ من غير أن أنظر ورائي قط.

وبعد قليل سألتُ الراكب عن وجهته، لكني لم أسمع جواباً. وظننت أنه سكران هو أيضاً، فتابعت طريقي. ثمّ طرحتُ السؤال عليه من جديد. وإذ لم يأتني جوابه أيضاً، نظرت الى الوراء لأرى كلباً ضخماً. فما كان مني إلا أن عدتُ به الى المرأب وتركته هناك.

ك.م.

---

## فوائد القمامة

يُقال ان القمامة يمكن تحويلها وقوداً في المستقبل القريب. وهذا لا يبدو غريباً اذا تذكرنا ان ذوي الاختصاص نجحوا في تحويلها كتباً وافلاماً سينمائية وبرامج تلفزيونية.

ر.ا.

---

## حرارة الثلج

أسمعتَ عن رجل الثلج الذي وقع في غرام فتاة الثلج؟ بعد ذلك ضمها بدفء وذاب واحدهما بين ذراعي الآخر.

ش.ف.

## منذ بدء الخليقة كان، ولا يزال، هناك

## أناس يحددون إتجاهات التطور و يضعون العلامات على طريق التقدم،

## و منتجات تؤكد هذا وتظهره.

رادو دياستار بوريليه. بتاريخ قطع من الماس الحقيقي. معدن صلب مقاوم للخدوش وزجاج ياقوتي قيم يسبغان عليها لمعانا دائما وبريقا فريدا في نوعه. ولذلك تبقى ساعات رادو دياستار على مر الزمن قطعة من الحلي الكريمة، التي تحتفظ بقيمتها دوما.

رادو مبدعة الساعات المقاومة للخدوش.





# قناة السويس أعجوبة العالم الثامنة

Photo: Tor Eigeland / Black Star

**حين اقفلت قناة السويس بين ١٩٦٧ و١٩٧٥**
**بلغت الخسائر في التجارة العالمية ١٤ مليار دولار**

في الحادية عشرة والربع ليلا انطلق مرشد السفن في مياه البحر المتوسط الزرقاء تاركاً وراءه انوار مدينة بورسعيد. وفيما هو يجوز المراكب الراسية في الميناء متوجهاً الى الجنوب ليعبر قناة السويس كان جهاز الاتصال اللاسلكي يلتقط مزيجاً من لغات مختلفة ناجماً عن الاتصالات التي تجريها تلك المراكب. وفي عرض البحر كانت السفن الكبيرة تنتظر بأضوائها المتلألئة في الأفق كأنها مدينة عائمة.

جلس قربنا ستة ربابنة كان كل

منهم متوجهاً الى سفينة معينة ليرشدها الى مدخل القناة. وقال أحدهم واسمه محمد عبد الوهاب (٦٧ سنة): "إننا نستغل هذا الوقت في التدرب النظري على إنجاز عملنا." ويبلغ معدل السفن التي يرشدها عبد الوهاب لدخول القناة أو الخروج منها قرابة ٦٥ سفينة شهرياً.

لم يمض وقت طويل حتى اقترب مركبنا عبر الامواج السوداء من سفينة شحن كبيرة. فوثب عبد الوهاب برشاقة الى السلم وأشار الينا ان نتبعه، فانتقلنا الى متن السفينة "غرينا" التي تحمل شحنة من الاسمنت يبلغ وزنها ٣٨ طناً من مدينة برشلونة (اسبانيا) الى مدينة جدة.

يبلغ طول الممر المائي الذي كنا نجتازه ١٩٥ كيلومتراً. وهو يمر عبر الصحراء التي تفصل أفريقيا عن اسيا. وفي العام ١٩٨٣ وحده اجتازه نحو ٢٥ ألف سفينة ترفع أعلام اكثر من تسعين دولة ويزن مجموع شحناتها قرابة ٢٥٠ مليون طن أي ما يزيد على سبعة في المئة من شحنات التجارة البحرية في العالم. وتعبر القناة أيضاً سفن حربية تابعة لدول مختلفة من بينها ليبيا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة واسرائيل. ويقول أحد موظفي القناة: "ليس للاعلام أي مدلول هنا ونحن نرحب بسفن جميع الدول."

إن الوقت الضائع بالنسبة الى سفن الشحن هو مال ضائع، لذلك فهي تعوّل على القناة التي توفر لها الوقت. وعلى سبيل المثال فناقلة النفط التي تبحر من الكويت الى اليونان تختصر ٤٣ يوماً حين تسلك طريق القناة بدلا من الطريق الوحيدة الأخرى التي تمر برأس الرجاء الصالح. وتختصر قناة السويس المسافة بين مدينتي ليفربول (بريطانيا) وبومباي (الهند) بنحو عشرين ألف كيلومتر. ويوفر التجار في الشرق والغرب سبعين في المئة من نفقات النفط باستخدامهم القناة. وقد بلغت الخسائر في التجارة العالمية ١٤ مليار دولار من جراء إقفال هذا الممر من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ الى يونيو (حزيران) ١٩٧٥ بسبب السفن التي غرقت فيه والالغام التي زرعت أثناء "حرب الايام الستة."

**ربان واحد** — في بداية الرحلة وقف الربان سفاين روسلاند (٥٢ عاما) قرب عبد الوهاب على منصة السفينة "غرينا". وجعلت السفينة تشق طريقها في الممر البحري الضيق المؤدي الى سيناء مهتدية بعلامات مضيئة حمراء الى ميمنتها وأخرى خضراء الى جهة المرفأ. وأبحرت وراءنا قافلة تضم ٢٧ سفينة كان من المقرر أن تتبعنا جنوباً في رحلتنا التي تستغرق عشرين ساعة عبر القناة.

وفيما كانت "غرينا" تتقدم صاح عبد الوهاب ليعلم مدير الدفة بالاتجاهات التي ينبغي اتباعها كي تحافظ السفينة على موقعها في وسط القناة. واتفق أن الجو كان صافياً في تلك الليلة. أما في الايام العاصفة الشديدة المطر حين تحجب الرؤية فان




الربابنة يعتمدون على الذاكرة والتدريب وسنوات الخبرة ليبقوا السفن بعيدة عن المياه الضحلة. ويقول عبد الوهاب: "ان أي انسان يمكن ان يكون رباناً اذا كان الطقس صحواً. أما إذا كان الطقس رديئاً فليس هناك ربان سواي."

وما لبثت السفينة ان دخلت المياه المحصورة بين سدين ضخمين يمتد احدهما مسافة كيلومترين في اتجاه البحر حيث تخترق القناة الصحراء. وشاهدنا في محاذاة "غرينا" زورقاً بخارياً آخر ذا كشافات ضوئية. وما لبث ان صعد الى ظهر سفينتنا الربان سمير عبد المجيد (٤٤ عاماً) يرافقه عامل فني يحمل شيئاً اشبه بصندوق من الزجاج المغزول (فايبرغلاس) ربطه به هوائي. وعلمنا ان سمير عبد المجيد هو الربان في الطور المقبل من رحلتنا. وفيما كان عبد المجيد يثبت الجهاز الى جناح المنصة الايمن اخبرنا انه جهاز التقاط وبث ينقل الى مركز الكتروني وسط القناة في مدينة الاسماعيلية معلومات دقيقة حول سرعة "غرينا" وموقعها والمسافة التي تفصل بينها وبين السفن الاخرى خلال الرحلة.

أما عبد الوهاب فقد ركب الزورق الذي كان على ظهر السفينة ورجع الى مدينة بور سعيد التي يبلغ عدد سكانها أربعمئة ألف والتي كانت انوارها تومض على ميمنة سفينتنا. وقد أنشئت مدينة بور سعيد في العام ١٨٦٩ الذي افتتح أثناءه فرديناند دي ليسبس قناة السويس. وفرديناند هذا رجل فرنسي يعود اليه الفضل في شق القناة. ومدينة بور سعيد التي تشبه في بعض خصائصها الريفييرا الفرنسية هي اليوم ميناء حر تملأ مخازنه البضائع المختلفة من أجهزة التلفزيون اليابانية الى الازياء الفرنسية.

**ممر حيوي** – في الجهة المقابلة لمدخل ميناء بور سعيد تقع مدينة بور فؤاد حيث تعمد السلطة المسؤولة عن قناة السويس الى بناء مراكب تستخدم للعناية بهذه القناة. ويقول المدير المسؤول عن تنظيف القناة شلبي بركات: "إن وجود الوحل في شمال القناة والرمل في وسطها والصخر في جنوبها يحتم علينا اللجوء الى كل الوسائل الممكنة من أجل تنظيفها. ونحن ننتشل من القناة سنوياً ٤٠ مليون متر مكعب من الركام كي نحافظ على نظافتها."

في جنوب بور فؤاد استعمل بعض الركام الناتج من تنظيف القناة في ردم مساحة تسعة كيلومترات مربعة من البحر شكلت ما يشبه جزيرة صغيرة. وهذا جزء من الركام الذي استخرج من القناة عندما أزمعت السلطات المسؤولة توسيعها. والواقع أن شق قناة السويس يعد واحداً من أعظم الانجازات الهندسية في العصر الحديث.

في الفترة الممتدة بين شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٥، عندما أعيد فتح القناة، وشهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ استخدمت مصر ٤٤ سفينة خاصة لتنظيف قعر القناة جُلبت من اليابان وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا والبرازيل ومصر نفسها لتزيد عرض القناة ١٧٢ متراً وتزيد عمقها أربعة أمتار، بحيث يفوق عرضها سبعة أضعاف طول بركة السباحة الاولمبية ويفوق عمقها ارتفاع بناء مؤلف من ست طبقات. وذكر لنا بركات: "ان القناة باتت جاهزة لاستقبال سفن قد يزيد حجم الواحدة منها على ضعفي حجم تلك التي كانت تعبرها قبل توسيعها، فهي الآن لا تنوء بسفينة تحمل ١٥٠ ألف طن أو أكثر أحياناً. وتوسيع القناة لم يكن منه بد لاستيعاب السفن الضخمة."

لقد ساهم اليابانيون في تطوير صناعة هذه السفن الضخمة، وهم يعتبرون القناة ممراً حيوياً بسبب تجارتهم الرائجة في أوروبا والساحل الشرقي للولايات المتحدة. وهم أحضروا عند توسيع القناة سفناً لتنظيفها ضخمة جداً أنجزت شق الطريق عبر الصحراء.

**رسوم وغرامات** – لقد قطعنا الى الآن مسافة خمسين كيلومتراً الى أسفل القناة ورحنا نتابع سبيلنا بحذر عندما غطى ضباب صباحي مقدم السفينة واضطر الربان عبد المجيد

الى التوجه نحو شاشة الرادار· وقال لنا: "إنني أعرف كل سنتيمتر في القناة من بور سـعـيد الى الاسماعيلية·" ولم يكن هناك بد من هذه المعرفة لأن الشمس طلعت ذلك الصباح فوق ضباب سيناء كأنها كرة قاتمة، والتف ضباب كثيف حول "غرينا" فحجب الرؤية على نحو تام· فصاح عبد المجيد: "أوقفوا السفينة!" وأمر اثنين من معاونيه بركوب القارب الصغير المتدلي الى جانب السفينة وانزاله الى الماء وجر الحبال لتثبيت السفينة الى أحد المرابط الموزعة على طول القناة تحسباً للطوارىء· واتخذت السفن الأخرى في القافلة الاحتياطات نفسها عملاً بقوانين سلطات قناة السويس· وهناك قوانين كثيرة أخرى مشابهة· وهي تقضي بتغريم السفن المخالفة رسوماً باهظة تراوح بين مئتي جنيه مصري لمخالفة الطلقات النارية و١٥ ألف جنيه لتجاهل نصيحة أحد ربابنة سلطات القناة· أما السفن التي تتعدى سرعتها أثناء عبور القناة ١٣ أو ١٤ كيلومتراً في الساعة فتخضع لرسوم إضافية· وقد تصل الغرامات الى أكثر من ضعفي رسوم القناة التي تفوق أحياناً مبلغ ٢٠٠ ألف دولار عن السفينة الواحدة·

**تدابير السلامة** – قرابة السابعة صباحاً كنا قطعنا مسافة ثمانين كيلومتراً الى أسفل القناة وتجاوزت "غرينا" مدينة الاسماعيلية التي يبلغ عدد سكانها ٣٢٠ الف نسمة· وقد شيدت فيها مبان ضخمة تتضمن وحدات سكنية مجهزة بأثاث بسيط يقيم فيها ١٥ ألف شخص من موظفي القناة·

من خلال مراقبة هذا البرج كنا نعرف مدى تقدم "غرينا" والسفن الأخرى في سيرها عبر القناة سواء أكان الضباب يحجب الرؤية أم لم يكن· وهذا البرج هو جزء من نظام الادارة الخاص بمراقبة حركة سير السفن والذي أنشأته السلطة المشرفة على القناة وبلغت كلفته ١٨ مليون دولار· وهو يعد أحد أكبر أنظمة المراقبة البحرية واحدثها في العالم، إذ إنه يحتوي على تسعة أدمغة الكترونية تتلقى إشارات من ثلاثة أجهزة رادار تراقب السفن منذ دخولها الممرات المائية المؤدية الى القناة والتي تمتد ٣٥ كيلومتراً من كل ميناء الى عرض البحر· والى ذلك فهو يتضمن ثلاث محطات إنذار في الصحراء وجهاز التقاط وإرسال في كل سفينة· والأدمغة الالكترونية لا تنقطع عن تبادل المعلومات وهي تتابع كل سفينة أثناء مرورها·

أما إذا أخفقت هذه الوسائل المتطورة جميعاً فلا مناص من العودة الى نظام الاتصال البصري القديم الذي صممه دي ليسبس قبل مئة عام· وفي الساعة الحادية عشرة شاهدنا على طول الممر رجالا يلوحون بأيديهم ومراقبي النقل يرفعون أعلاماً وألواحاً معدنية ذات أشكال هندسية يرشدون بها الربابنة الى أحوال الرياح والتيارات المائية ويخبرونهم ما إذا كان الممر أمامهم صالحاً للعبور· كذلك يذيع هؤلاء اسم كل سفينة تمر

ويحددون وقت مرورها وينقلون هذه المعلومات الى موجه في غرفة العمليات في الاسماعيلية يعين تحركات السفن على خريطة ضخمة. وكان المهندس الالكتروني عصام علي قال لنا في إحدى زياراتنا السابقة للاسماعيلية: "قد تبدو هذه الاعمال غير مجدية مع وجود جميع تلك الأجهزة الالكترونية، لكن علينا ان نلتزم الحذر."

أدت هذه الاحتياطات الى انخفاض شديد في نسبة الحوادث في القناة مما أدى الى خفض التأمين على البضاعة المشحونة عبرها. كما أن هذه الاحتياطات ساهمت في إضفاء سمعة حسنة على القناة. وتغدو أهمية هذا الامر كبيرة إذا أخذنا في الاعتبار أن عائدات مصر من قناة السويس بلغت في العام ١٩٨٣ نحو مليار جنيه مصري أي أكثر من ثمانية في المئة من دخلها بالعملة الأجنبية.

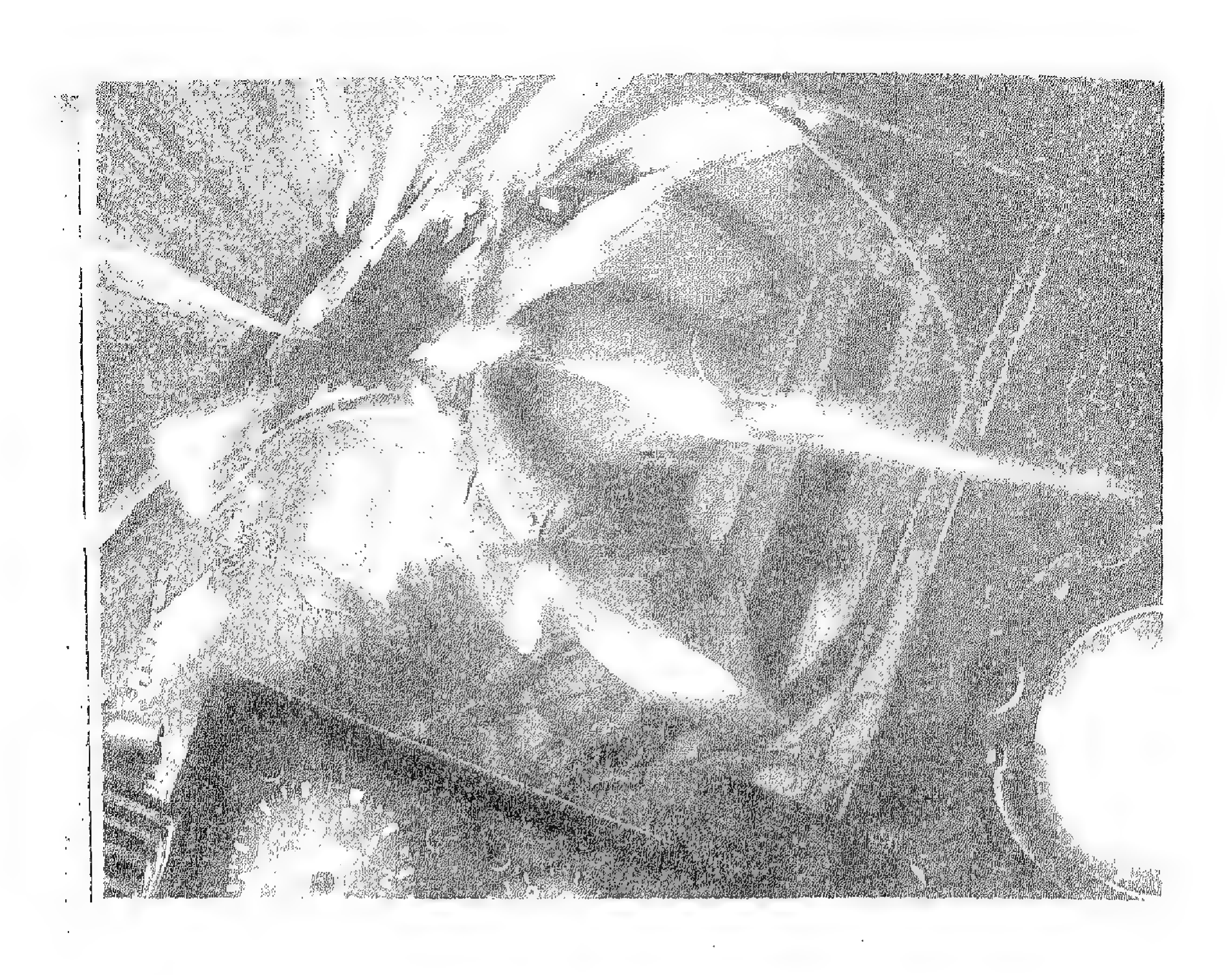
**البحر الأحمر** — في الاسماعيلية انضم الينا الربان حسين عبد السلام (٣٧ عاما) ليقود السفينة في الطور الثالث من الرحلة. وأخذت "غرينا" تتقدم بسرعة ثابتة في طريقها الى مدينة السويس الواقعة على مدخل البحر الأحمر. لقد انقشع الضباب الآن وبدت ضفة القناة الغربية خضراء زاهية تحف بها أشجار النخيل والاوكالبتوس التي تسقيها مياه عذبة من النيل. ورأينا الرجال في الأزقة يركبون الحمير وقد لبسوا "جلابيات" طويلة يلمسون بها الارض. وبدت أكواخ الطين قائمة وسط بساتين المانغو وحقول الخضر. وفي الشرق امتدت رمال سيناء المتموجة الى الأفق.

دخلنا البحيرة المرة الكبرى التي تشكل أكبر مساحة مائية في الطريق وألقت السفينة مرساتها هناك. وحذت حذونا السفن الاخرى في قافلتنا مسترشدة بتعليمات الموجهين في الاسماعيلية. وبقيت سفننا تنتظر وصول قافلة من ٣٥ سفينة متوجهة شمالا كانت دخلت القناة من طرفها الآخر في السادسة صباحاً. وشرح لنا عبد السلام الامر قائلا: "بما أن السفن المتوجهة نحو الشمال يمكن أن تكون محملة شحنات خطرة كالبنزين والغاز فانها تمنح أفضلية المرور."

بعدما رسونا خمس ساعات عبرت القافلة المنتظرة وتابعت "غرينا" سيرها. ثم راحت القناة تضيق ثانية وتتحول ممراً أزرق المياه تحيط به رمال براقة. وعلى الضفة الشرقية لمحنا ركاماً من قطع الحديد الصدئة الملتوية جعلنا نتذكر القتال العنيف الذي نشب قبل عشر سنين.

عندما دخلت "غرينا" أخيراً البحر الاحمر في السويس كان المساء حل وانبعث من السماء الداكنة بعض احمرار. واذ اقترب مرشد السفن الرابع ودّعنا الربان روسيلاند الذي قال لنا: "لقد أمضيت في البحر ٣٥ سنة وراقبت تغير القناة وتطورها. انها أعجوبة من أعاجيب الهندسة واقرار بعظمة التقنية الحديثة. وأظن أن في وسعكم القول إنها أعجوبة العالم الثامنة."

■ إميلي وأولا دولير



# الرحلة المشؤومة

علا أزيز الطائرة
في حلكة الليل وقد تحطمت
مروحتها وغاب ربانها
عن وعيه، فأخذ
حلم الطيار يتحول
حقيقة مروعة

كانت المهمة في تلك الليلة المشؤومة من أبريل (نيسان) ١٩٨٢ تدريباً عادياً لأحد طواقم الملاحين في المجموعة الاستطلاعية ١٢٤ من الحرس الوطني الامريكي، وكان من المقرر ان تطير المقاتلة من طراز "فانتوم رف ـ ٤ س" المعروفة باسم

"فانغو - ٤٥" على علو منخفض فوق الاقليم الاوسط من ولاية أوريغون.

انسل الربان كريغ انغلبريت الى قمرة القيادة، وهو مهندس تسويق في الخامسة والثلاثين من العمر. وجلس خلفه الطيار فرد ويلسون (٣٢ عاماً) وهو مدير في شركة معدات نفطية طالما راوده حلم ان يصبح طياراً في مقاتلة لكنه اضاع الفرصة بسبب تجاوزه السن المطلوبة.

رأى ويلسون من مكانه خلف انغلبريت الجهاز المزدوج من العدادات وهو يتحرك الى الأمام لدى اقلاع الفانتوم من مدرج غوين فيلد ثم انطلاقها في الفضاء وأزيزها يخترق السماء المظلمة. ورأى في مقعد الربان على بعد متر امامه خوذة انغلبريت وكتفيه وقد حددتها اشعة الشمس الغاربة. لم يكن الطيران مستحسناً في أوقات كهذه.

وسرعان ما أصبح الطياران فوق جبل كينغ وهما يحلقان بسرعة أدنى قليلا من سرعة الصوت. ولم يلمح أي منهما الطائر العملاق وهو يرتطم بقمرة الطيار بقوة تعادل قوة قذيفة مدفع من عيار ٣٧ مليمتراً، مهشماً اللوح الأيسر من الزجاج الأمامي. واخترقت قطع الزجاج القمرة كشظايا انفجار هائل. وفقد انغلبريت وعيه وتمزقت ذراعه اليسرى بفعل الشظايا المتناثرة.

**سكون رهيب** - للحال بدأت الطائرة تهتز وتهوي الى سفح الجبل. ونجا ويلسون من الاصابة بفضل المقعد القاذف العالي ووحدة معداته الخاصة التي تفصل مقصورته عن مقصورة الربان.

ومع ان الطيار صعق للاصطدام المفاجىء وتلطخت خوذته بالدم الا انه تشبث غـــريزياً بذراع القيادة وجذبها الى الخلف.

صاح ويلسون في مذياع الرأس المثبت على خوذته: "فانغو - ٤٥ تطلب النجدة! النجدة! لقد تهشمت قمرة القيادة بضربة طـــائــر. نحن موجودون على ٢٦٥ درجة الى الغرب من بواز على ارتفـــاع ٣٠٠ متر. النجدة!" وهدرت الريح داخل القمرة كالرعد ولم يتمكن ويلسون من سماع صوته. واخذ الحطام يلتف في دوامة داخل القمرة. وسالت مادة حمراء على جوانب الغطاء الشفاف، وحجب مقعد الطيار الرؤية امام ويلسون، فلم يعد يرى الا من خلال جزء صغير الى اليمين من ركنه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. ففي حين كانت اجهزة العدادات المزدوجة وذراع القيادة في متناوله، لم تكن اجــهزة التحكم الرئــيســية الثلاثة قريبة منه فهي موجودة في مقصورة الربان وتشتمل على جهاز الشفــار ومحــرك الهبــوط والخطــاف الكابح. وكان ويلسون طيار "فانتوم" متمرساً الا انه لم يحظ بأي من اجهزة الضبط اللازمة لهبوط الطائرة الضخمة ذات العشرين طناً.

وأنى له ان يعلم انه بجذبه ذراع القيادة الى الخلف تأخذ الطائرة في الارتفاع بينما يريد هو خفض سرعته والتقليل من آثر التيارات الهوائية. لكنه واصل ارتفاعه واستمر الضجيج

من حوله وتابع صراخه: "النجدة!" ثم جذب مقابض الصمامات الى يسار لوحة العدادات فهمدت المحركات للحال وخف التيار الهوائي. وأنصت بعد حين الى سكون الطائرة، وادار جهاز الاتصال الداخلي: "كريغ! أجب." ولا جواب.

تابعت "فانغو ـ ٤٥" أزيزها في الظلام عائدة الى جبال أويهي غرب بواز. وتفحص ويلسون العدادات المضيئة في وحدة الاجهزة. وعندما اشار مقياس الارتفاع الى ١٥٠٠ متر أرخى ذراع القيادة الى الأمام فاستوت الطائرة. وبلغت سرعة الريح ٤٧٠ كيلومتراً في الساعة. كان يعلم ان هذه السرعة ستمكنه من الاحتفاظ بالوقود الكافي لساعة ونصف ساعة من الطيران.

لكن ماذا بعد ذلك؟ من الواضح ان انغلبريت لا يمكنه ان يرمي نفسه خارج الطائرة، فعلبة مظلة الهبوط محطمة وقد تناثرت الحبال على مقعده كخيوط المعكرونة. وبصرف النظر عما يخبىء المستقبل اقسم ويلسون على البقاء في الطائرة مع الربان.

وأخذ يدعو بالسعادة لعائلته وعائلة انغلبريت. ان زوجته لويز وزوجة انغلبريت كيم تستطيعان تدبر شؤونهما، لكن طفله ذا السنوات الاربع وطفل كريغ ذا السنتين سيقاسيان الأمرين. وتضرع ويلسون: "رباه، ساعدنا على النجاة."

وحاول مراراً ان يوقظ انغلبريت بواسطة جهاز الاتصال الداخلي، لكن الربان لم يبد حراكاً. وأدرك ويلسون ان هبوط فانغو بأمان يحتاج الى أعجوبة في غياب الشفار المتحركة ومحركات الهبوط والخطافات.

**أعجوبة اخرى** ـ فجأة تحرك شيء أمام الطيار. انه انغلبريت يحاول ان يرفع نفسه داخل الغطاء الشفاف. وصاح ويلسون في المذياع: "كريغ! كريغ! عليك ان تنزل الاطارات والأجنحة الاضافية." لكنه لم يلبث ان رأى رفيقه يسقط مرة ثانية ثم ينهض ببطء مستجمعاً كل قواه.

وابتهل ويلسون وهو يمسك الذراع بثبات. ومرت لحظات التوتر كساعات طويلة وهو يرقب الربان يخرج من غيبوبته ليعود اليها. وما لبث ان تحرك عداد مشيراً الى انزال محرك الهبوط وتلاه مؤشر الشفار المتحركة. وتدنت سرعة الطائرة الى ٣٧٠ كيلومتراً في الساعة. وغمغم ويلسون فرحاً: "كريغ، أحسنت. سننجو، لا تقلق. سننجو!" لكن انغلبريت كان سقط في غيبوبته من جديد.

وعاد جهاز الاستقبال لدى ويلسون الى العمل فجأة. "فانغو ـ ٤٥، اننا نراكم على شاشاتنا، ما هي مشكلتكم؟" هذا صوت مراقب الملاحة الجوية ينساب في منتهى الهدوء. "هنا فانغو ـ ٤٥. لقد صدمنا طائر ضخم. غطاء الربان ممزق وهو غائب عن الوعي." وسادت لحظة صمت. "اننا نرصد طائرة اخرى. ابقي معنا يا فانغو." مرت خمس دقائق طويلة قبل ان يعود الصوت الى جهاز الاستقبال: "فانغو ـ ٤٥! هنا فانغو ـ ٤٤. أنتم في مجال رؤيتنا." هذا

صوت الرائد المحنك بيل ميلر ومعه الطيار مايكل ماك غرات٠
قال ميلر مطمئناً ويلسون: "لديك عجلات وأجنحة في حال جيدة يا فرد٠"
من خلال الفتحة الصغيرة في الغطاء الشفاف للقمرة رأى ويلسون خطوط الفانتوم التي تحلق على بعد ١٥ متراً من طرف جناح طائرته الأيمن: "فانغو - ٤٥٠ هل يمكنك اللحاق بجناح طائرتي؟ سنجرب ذلك لدى الاقتراب من ماونتن هوم٠"
كان للقاعدة الجوية في ماونتن هوم مدرج عريض يبعد ٦٥ كيلومتراً جنوب شرق بواز وهو مزود بتجهيزات واقية للصدمات٠ أجاب ويلسون وقد ملأته ثقة بالنفس لم يشعر بها قبلا: "حسناً يا ٤٤، لنهبط٠"
أذاع ميلر النبأ الى مركز المراقبة في ماونتن هوم٠ وبدا من الضروري استعمال الخطاف اضافة الى خفض محركات "فانغو - ٤٥" وشفارها، فمن دونه يزداد احتمال اصطدام الطائرة بالارض٠ وأدرك ميلر وويلسون انهما يحتاجان الى اعجوبة أخرى وبسرعة٠
حرك ويلسون الذراع قائداً الطائرة ومتبعاً جناح طائرة ميلر٠ فالربان المتمرس سيقوده الى المدرج٠ واذاع ميلر: "الارتفاع ٧٦٠ متراً، الاتجاه ٣٠٠٠ اننا تقترب يا فرد٠ ابق مكانك٠ انك تؤدي عملك على أحسن وجه٠"
أرخى ويلسون ذراع القيادة الى الأمام وتبع اضواء جناح الطائرة الأخرى: ٧٣٠ متراً، ٦٧٠ متراً، ٦١٠ امتار٠ لو أنهم يستعملون الخطاف! وصلى الطيار كي يستجيب كريغ مرة ثانية٠
وهذا ما حصل فعلاً، فقد لمح ويلسون ظلا يتحرك في القمرة٠ لكنه ذهل عندما رأى ضوء انذار أصفر يومض على لوحة المفاتيح٠ والضوء نذير بوجود خلل ميكانيكي، وفي بعض الاحيان يكون الهبوط من الطائرة ملحاً بعد لحظات من لمعان الضوء٠ وأسر ويلسون في نفسه: "ليس الآن! ليس الآن٠" واتصل بميلر وهو يحاول السيطرة على صوته: "لدي انذار رئيسي يا بيل، ثمة خلل ما٠"
وأجرى ميلر فحصاً دقيقاً، وشده لما رآه: لقد انخفض الخطاف محدثاً الضوء الاصفر٠ فأبلغ ويلسون النبأ السار، وتنفس هذا الصعداء٠

**لغز محير** - اقترب ويلسون فرأى وجهين مقنعين يلمعان داخل قمرة الطائرة الاخرى٠ قال ميلر: "من الآن فصاعداً سنبقى متلاصقين يا فرد٠"
وشرعا في الهبوط: ٣٠٠ متر، ١٥٠ متراً، ٩٠ متراً٠ وانطلق صوت ميلر مترنماً عبر المذياع: "هبوط ممتاز وثابت يا فرد٠ اهنئك٠ رائع٠ بديع!" وجاء صوت انزلاق الاطارات على الأرض مباغتاً٠ وانطلقت الطائرة على المدرج بسرعة ٣١٥ كيلومتراً في الساعة وطائرة ميلر تنزلق في موازاتها٠
واصطدم الخطاف بسلك الطوارىء في المدرج مما أدى الى توقف الطائرة فجأة٠ ورأى ويلسون طائرة ميلر تتابع سيرها على المدرج ثم

تقلع عائدة الى القاعدة الجوية.
رفع ويلسون الغطاء الشفاف وهمس مخاطباً انغلبريت الغائب عن الوعي: "اصبحنا على الارض يا كريغ. لقد نجحنا!"

صدم اعضاء فريق الانقاذ الطبي لمنظر الطائرة. فدم الطائر واشلاؤه منتثرة في كل مكان، وذراع انغلبريت اليسرى مشوهة على نحو فظيع، وثمة فجوة كبيرة في اعلى كتفه اليسرى.

واذ أخرج انغلبريت من القمرة صاح هاذياً: "فرد، اين انت؟ ماذا جرى؟"

أجابه ويلسون وهو يمسح جبينه: "أنا هنا يا كريغ. نحن على الأرض في ماونتن هوم. ونحن بخير."

نقل انغلبريت وويلسون في سيارة اسعاف الى غرفة الطوارىء في المستشفى التابع للقاعدة الجوية. وفي البداية ظن الاطباء ان انغلبريت لن تكتب له الحياة. ولكن بعد مرور ساعات واجراء جراحات عدة ونقل دم ازدادوا املا بنجاته.

وفي اليوم التالي كان ويلسون بادي الحيوية والمرح في حديثه مع قائد المجموعة الكولونيل روبرت كوربك: "انه فعل ذلك، فعله حقاً!" ومضى يردد هذه الكلمات. قال كوربك: "لقد فعلتما ذلك معاً. انت رفضت ان تستسلم، وهو كافح بغريزته حتى النهاية."

لا يزال فرد ويلسون اليوم يمارس العمل كطيار في الحرس الوطني الامريكي. وقد غادر كريغ انغلبريت المستشفى بعد اجراء جراحات عدة وزرع للجلد. والأطباء الآن متفائلون انه قد يحرك ذراعه على نحو طبيعي. وفي هذه الاثناء تسلم ويلسون "وسام الطيران للمتفوقين" وهو ثاني اعلى وسام يمنح للطيارين الشجعان في سلاح الجو الامريكي وقت السلم.

ولكن بقي لغز محير: كيف امكن كريغ انغلبريت، وهو عاجز عن الرؤية والسمع ولا يعي ما يحدث له ولطائرته، ان يدرك متى يتوجب عليه ان يخفض الشفار ومحرك الهبوط والخطاف الكابح؟ ثم ان جهاز التحكم بالأجنحة كان الى يساره، وذراعه اليسرى مشلولة، فكيف استطاع تشغيل الجهاز؟

لا جواب لدى انغلبريت، فهو لا يذكر شيئاً. أهي الحاسة السادسة التي قاربت بين ويلسون وانغلبريت ام تراها، كما يعتقد الاثنان، صلوات ويلسون استجيبت في تلك الليلة الرهيبة؟

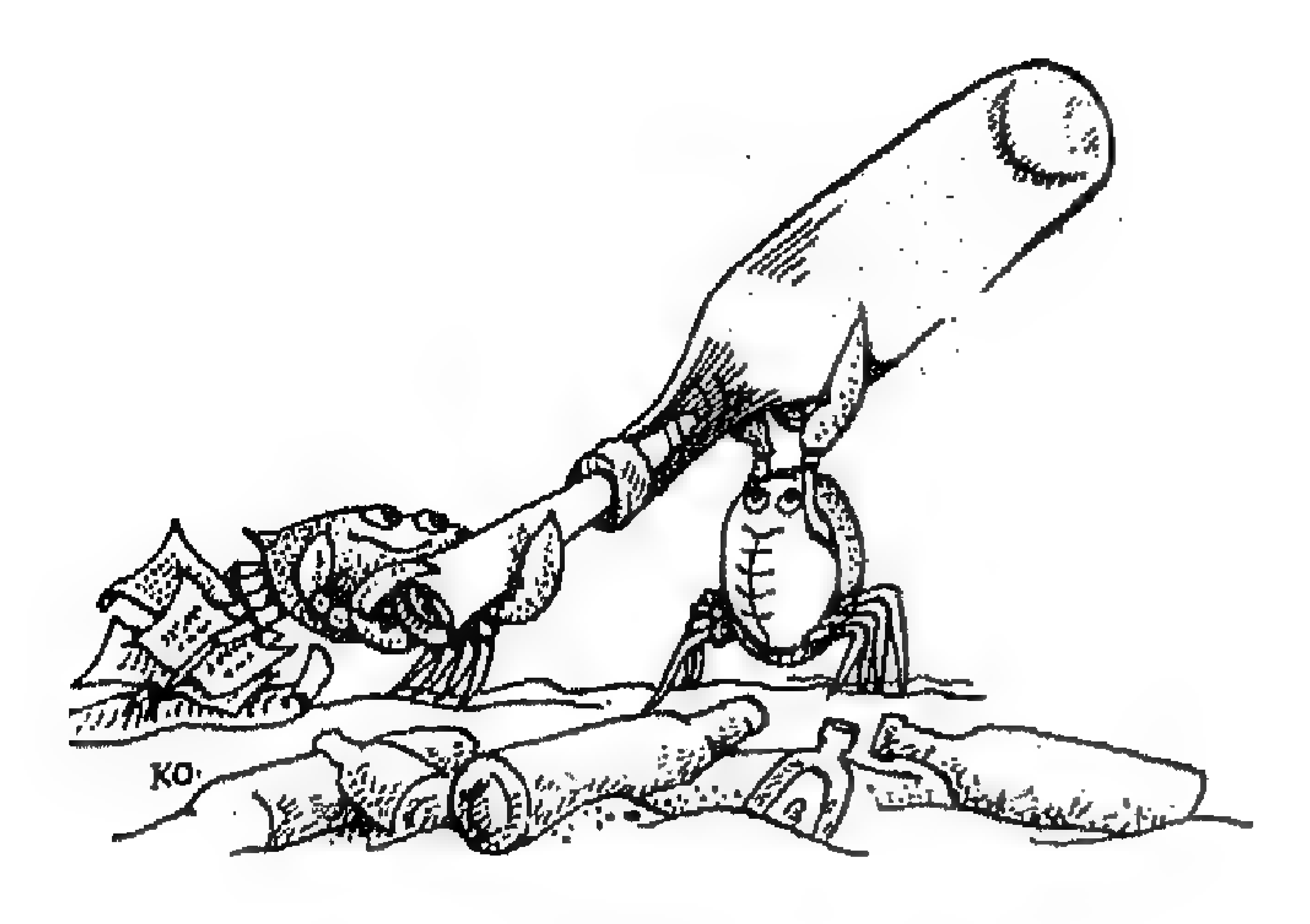
■ شلدون كيلي

---

**الروتين يصل الى الاطفاء**

شاء مزارع نقل منزله المتحرك بعد شرائه مزرعة جديدة. وفيما الشاحنة تجتاز نفقاً سرت النار في أعلى البيت الخشبي. وهرع المزارع الى أقرب هاتف وخابر دائرة الاطفاء قائلا ان النار اندلعت في منزله ومحدداً مكانه. وجاءه الجواب الآتي: "ان المنطقة المذكورة خارج حدود عملنا." لكنه ألح قائلا: "لكن منزلي سيكون بعد دقائق في منطقتكم."

ج.ه.




# حكايات من العالم

## كلمة من سري لانكا

ابتكرت ادارة الشرطة في سري لانكا طريقة لخفض كلفة البزّات التي يرتديها رجالها ولزيادة دخل عائلاتهم في الوقت نفسه، فعمدت الى توظيف زوجات الشرطيين واولادهم لصنع البزات، وجاء عدد انتاجهم السنوي ٤٠ الف بزة، وقد سجل البرنامج نجاحاً حدا قيادة الجيش على تبنيه.

وكالة الصحافة الفرنسية

## حمام زاجل

توصلت شركة تعمل في حقل المواصلات الفضائية الى طريقة سريعة ورخيصة في المراسلات تقوم على استخدام الحمام، والشركة هي "لوكهيد"، ومبتكر الطريقة هو الكيميائي ويرنر ديغ الذي درب سرباً من الحمام على نقل معلومات الكترونية من مقر الشركة في بلدة سانيفيل (ولاية كاليفورنيا) الى محطة الشركة الاختبارية في بلدة سانتا كروز في الولاية نفسها.

وبعد تعليق الجذاذات المصورة (الميكرفيلم) في قوائمها، تقطع الحمائم رحلة الأربعين كيلومتراً في نحو اربعين دقيقة، اي نصف الوقت الذي يستغرقه ساع يركب دراجة نارية، علماً ان الساعي العادي يتقاضى خمسين دولاراً في اليوم ويتعرض للتأخر من جراء ازدحام السير.

وقد نفذت الطريقة المذكورة من غير تسجيل اي حادث حتى اليوم من ناحية شرود الحمائم او تلف الأفلام. ويقول ديغ، الذي يزمع على زيادة سربه من ثماني حمائم الى عشرين، ان العامل الوحيد الذي يعوق ذهاب الطيور في مهمتها هو سوء الأحوال الجوية. ويضيف ان طعام طيوره يكلف خمسين دولاراً سنوياً.

صحيفة "غلوب"

## سنديانة العشاق

أطرف مكتب للزواج في العالم شجرة سنديان في بلدة يوتن الألمانية يحملها طلاب الزواج رسائلهم المفصّلة ويضرب العشاق مواعيدهم تحت فيئها.

وقد بدأ ذلك عام ١٨٨٠، عندما كان أحد رجال الاعمال يلتقي صديقته هناك. واعتاد العاشقان ترك الرسائل عند جذع الشجرة. وهي اليوم تُعرف باسم "سنديانة الزواج".

ومن طرائف هذه الشجرة أنها تتلقى رسائل بريدية يومية من أنحاء العالم، يصف كتابها طلباتهم بالنسبة الى مستقبل حياتهم.

صحيفة "غلوب"

## المسبح والقمامة

توصل المسؤولون في بلدة فورت بروفيدنس الكندية الى طريقة مجدية للحفاظ على النظافة العامّة. فقد أقاموا موضعاً لرمي القمامة بالقرب من مسبح مسقوف هو أهمّ وسيلة للتسلية في تلك المقاطعة الشمالية الغربية الباردة. أما رسم الدخول الى المسبح فهو أن يحمل كلّ شخص أربع قطع قمامة من الشارع.

ر.هـ.

## حلوى الخضرا

ابتكر صاحب محلّ في ولاية كاليفورنيا الامريكية نوعاً من الحلوى المجلّدة يرضي الاطفال ويغذيهم في الوقت نفسه. ويقول تد هانسون، مبتكر هذه الطريقة، انها استغرقت سبع سنوات من الاختبار، كان خلالها يقدّم الآيس كريم (الجيلاتي) مع أنواع من الفاكهة والـخضَر، ومنها الآفوكـادو والجـزر والذرة الحلوة والشمندر. أما النوع الجديد فيحوي الكرفس والبقلة والجزر والشمندر واللوبياء والقرع والفاصولياء والسبانخ. ويضيف: "معظم الزبائن يقولون انهم يحبون هذه الحلوى كثيراً، لكنهم يغيرون رأيهم حين يطلعون على العناصر التي تركبها."

صحيفة "ستار"

## الساعة الذرية

في ليلة رأس السنة للعام ١٩٧٧ قرعت مئات الاجراس في اوروبا دفعة واحدة بفضل ابتكار سويسري. الساعات العامة يضبطها جهاز للتحكم عن بُعد عبر موجة قصيرة، مركزه بلدة برانغان بالقرب من جنيف. ويتم ضبط الوقت بواسطة الساعة الذرية في مرصد نوشاتل.

وهذه الطريقة توحد التوقيت في الساعات الالكترونية العامة في سويسرا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية، وحتى في مالطا. ودقة هذه الساعات تضاهي دقة الساعة الذرية التي لا يتجاوز خطأها ثانية واحدة كل ثلاثة آلاف سنة.

اسوشيتد برس

## اوراق في الريح

هل تعلم أنّ طيارة الورَق تحمل أحياناً معاني عميقة تتجاوز التسلية المجرّدة؟

أنّ جماعة الماوري في نيوزيلندة يرفعون طيارات الورق في أجواء قريتهم علامة السلام والأمان. واذا سقطت الطيارة، وان على بعد ثلاثين كيلومتراً، أرسلوا من يأتي بها لأنهم يعدّون ضياعها نذير شؤم.

أما الكوريون فيحبون فقد طيارات الورق احيانا. ذلك بأنهم يكتبون الهموم التي يعانونها على ورقة يعلقونها بالطيارة. وعندما تحلق عالياً وبعيداً يقطعون الخيط لكي تذهب همومهم مع الريح.

ر.غ.

## هل تبقى للمليون قيمة؟

لا يتوقع أن تواجه لجنة الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة لمدينة انكوراج (ولاية الاسكا الامريكية) اي مشاكل مالية. فبعدما انهت لجنة الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية اعمالها، بقي لديها الف دولار. ووضع هذا الفائض في احدى مؤسسات الايداع بفائدة مركبة مقدارها ٧،٥ في المئة سنوياً لتستعملها لجنة الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة للمدينة عام ٢٠٧٦. ووقتها ستصبح الالف دولار مليوناً و٣٨٣ الفاً و٧٧ دولاراً.

ا.ف.

# قراراتك اتخذها بنفسك



عندما اخبرت استاذي في المرسم اني قد التحق بمعهد الفنون في الشتاء اكتفى بالتعليق: "ان السنوات الخمس المقبلة ستمضي في اي حال."

وأخذت افكر قلقاً: ما معنى ذلك؟ وشعرت اني لم الق التشجيع الذي انتظرت. تلك الليلة أجلت عبارة الأستاذ في ذهني، وفجأة أدركت مغزاها. سوف تمضي السنوات الخمس المقبلة في اي حال، سواء أقمت بعمل ام لم اعمل. وفي نهايتها سأنظر الى الماضي وأقول: "حسناً، لقد ذهبت الى معهد الفنون وانا اليوم متقدم خمس سنوات عما كنت حينذاك." او اقول: "بما اني لم

التحق بالمعهد فأنا، كرسام، لست افضل مما كنت. فماذا فعلت بتلك السنوات؟"

الآن، حينما اواجه باختيار بين فعل شيء أو عدم فعله، أحدث نفسي: "ستمضي السنوات الخمس الآتية في كل حال." وهذا يجلو لي الخيارات.

لكن ماذا لو ان الخيار ليس بين أمر وعدمه، بل بين أمر وآخر؟ هذا ما واجهته حين أدركت ان علي دفع المال الذي ادخرته لشراء أريكة جديدة لكي اسدد القسط الدراسي في معهد الفنون. غير أني وجدت حلاً، فعقدت اتفاقاً مع احد الحرفيين المحليين يلزمني برسم صورة لزوجته في مقابل تنجيد أريكتي القديمة.

وقد زودني أحد معارفي بتعبير مناسب لحالة كهذه: عندما تكون في حيرة افعل الأمرين معاً.

وسرعان ما وجدتني استعمل التعبير في ظروف وأحوال شتى. أأذهب الى الريف في العطلة ام أقبل دعوة الى الغداء في المدينة؟ اذا كنت في حيرة من امرك فافعل الاثنين معاً، اذهب الى الريف وعد باكراً. هل اتم دراستي ام ابحث عن عمل؟ ابق في مدرستك واعمل في الوقت نفسه. الجميل في هذا القول السائر ان المرء يستطيع انجاز الخيارين بدلا من انتقاء واحد وخسارة الآخر.

**مقاومة التيار** – هل تشعر ان لا خيارات لديك على الاطلاق؟ هذا هراء. هناك خيارات عدة دائماً. اذا شعرت انك في مأزق، ازرع بذرة في أرض بكر. أنظر الى المسألة من زاوية مختلفة.

رغبت احدى الأرامل في العيش مع ابنتها المتزوجة. في البدء احست الابنة ان ليس في وسعها رفض الطلب، ففي ذلك قسوة على امها. كانت تفكر كأنها ما زالت طفلة. وهذا اسلمها الى جواب معتاد: عليها ان تماشي رغبات والدتها.

غير ان الابنة نظرت الى الأمر نظرة راشدة. فهي الآن تحيا حياة مستقلة مع زوجها وطفلها. وكانت ترتاب في أنها وأمها ستتفقان على طريقة تربية الطفل. كما ان زوجها لن يكون مرتاحاً في بيته بوجود حماته الدائم هناك. ولذا قالت لا، وأوضحت لأمها بأسلوب رفيق لكنه حازم انه من غير المناسب ان تنضم الى الأسرة الحديثة التكوين.

وكانت الابنة في اعماقها تخشى ان تحاول امها الانتحار. لكن الأم في نهاية المطاف انتقلت الى مدينة اخرى وعقدت صداقات جديدة وتزوجت ثانية.

اذا ما خير الانسان بين خياتين، فعليه التصرف كالطبيب في ساحة الوغى: ينقذ حياة الأقل اعتلالا.

واليك ما حدث لأحد أصدقائي في الجامعة. فهو تزوج امرأة جميلة مخلصة ولم يرزقا اولاداً، ولم تكن لدى زوجته هواية محببة. وسرعان ما اخذت تمضي النهار في السرير برفقة كتاب حيناً وبرفقة زجاجة كحول حيناً آخر.

واصبحت حياة الزوجين مملة وخالية من المرح والسعادة. قلنا له:

"اهجرها." فأجاب: "مستحيل، فذلك قد يقضي عليها." لكنه اثناء عمله التقى امرأة لطيفة تفيض حيوية وحناناً، فتزوجها وهجر زوجته، وقد احسن معاملتها وتكارم في نفقتها. ترى هل اخطأ في ما فعل؟

الشأن شأنه ان اراد البقاء او الرحيل. ولزوجته اكثر من خيار: فاما ان تجمع شتات نفسها وتعيش حياتها كما فعلت الارملة، واما ان تندب حظها. وقد أدرك الزوج ما يأتي: لا يمكنك ان تقرر نيابة عن سواك، ولا يجوز ان تدع سواك يقرر عنك. يجب ان تفكر لنفسك وان تكون ذاتك. واذا لم يؤد قرارك الى نتيجة، فان مجرد القيام بعمل يفتح آفاقاً للقيام بأعمال أخرى. أما التقاعس عن العمل فيزيد امكان الانسياق مع التيار السائد لدى اتخاذ قرار في المستقبل.

والانجراف مع التيار سهل وقد يكون مغرياً عندما يلوح ان البديل هو الوقوف والتجذيف في الاتجاه المعاكس.

ويقول احد اصدقائي: "انك لا تستطيع التجذيف ثمانين كيلومتراً عكس التيار في يوم واحد، ولكن في وسعك ان تجذف ثمانية كيلومترات يومياً لمدة عشرة ايام. عندما يكون الاختيار بين الصعب والسهل، بين الاستسلام أو الاستمرار، تذكر ان ثمانية كيلومترات يومياً قد تعني جهداً شاقاً لكنه ممكن."

**القرار السهل** — ما الذي يفعله الأشخاص الناجحون في الحياة؟ اولئك الذين يتخذون قرارات محفوفة بالأخطار ويتمسكون بها؟ انهم يسألون انفسهم: ما اسوأ الذي يمكن ان يحدث؟

لدى سؤالي احدهم كيف ترك العمل المضمون في شركة كبرى في نيويورك سعياً الى ادارة عمل متواضع خاص في الريف اجابني بهذه التساؤلات المتتالية: "أود ان أباشر عملا خاصاً بي. فما اسوأ الذي يمكن ان يحدث؟ ان اخفق واخسر كل مالي. واذا خسرت مالي كله، فما اسوأ ما يمكن ان يحدث؟ التحق بأي عمل احصل عليه. ثم ما هو الأسوأ؟ ان اكره هذا العمل ايضاً لأني لا احب ان اعمل في امرة شخص آخر، ثم سأجد وسيلة لأنطلق مرة اخرى. وبعد؟ سيحالفني النجاح في المرة المقبلة لأني اعرف الأخطاء التي ينبغي اجتنابها." وهذا ما حصل فعلا.

من المثير ان تمتلك حياتك، ان تجد لديك ارادة خاصة بك وتدرك انك لست تحت رحمة الحظ العاثر او الاشخاص الآخرين او الواقع. لا تدع الواقع المعاكس يقف عثرة في سبيل اتخاذ قرار ملائم.

جلست احدى صديقاتي، وتبلغ الثمانين، تفكر ملياً: هل تبقى في بيتها ام تنضم الى دار العجزة؟ كانت سنها واقعاً لا مفر منه، وكانت صحتها المتدهورة واقعاً آخر. ولدى الموازنة بين الأمرين بدا ايثار الأمان في دار العجزة اقرب الى المنطق والواقع. ولكن كم كانت رائعة اذ تجاهلت الوقائع واستقرت حيث كانت. وها هي الآن في السادسة

والثمانين، وبمساعدة بسيطة من أصدقائها تدير شؤونها بنفسها سعيدة باستقلالها ·

واتخذت صديقة اخرى قراراً معاكساً ولسان حالها يقول: "انا تعبة وأحب ان يعتني بي آخرون · " ونالت ما تتمنى، فهناك من يطعمها ويرافقها الى الفراش ويصحبها الى هنا والى هنالك،غير انها تكره ذلك كله · حاذر أختيارك، فقد يتحقق·

احياناً نتخذ قراراً نبالغ في توقع النتيجة التي نرغب فيها حتى اننا نخفق في اعتبار ما يؤدي الى تلك النتيجة · فلدى بعض الناس مثلا حنين الى حياة الريف البسيطة من غير ان يتخيلوا العمل الشاق الذي يرافقها · وهناك آخرون يسعون لاهثين الى الشهرة والثروة من غير اعتبار التضحيات الواجب بذلها · لدى اتخاذك قراراً، وازن بين ما تكسبه وما تفقده ·

والقرارات في الحقيقة رحلات وليست محطات وصول فحسب · لا تدع وعورة الدرب تثبط عزيمتك · فالصعوبات تتقلص كلما ازددت منها اقتراباً، والقرار السهل ليس القرار الحسن في كل الأحوال كما ان القرار العسير هو كالتمرين الصعب يزيدك قوة واحتمالا ·

ان الاندفاع مع التيار قد يبدو جذاباً للوهلة الاولى، لكنك قد تنظر الى الوراء يوماً وتدرك ان الانجراف قرار كذلك، ولعله ليس باحسن القرارات ·

ان حياتك ليست تمريناً في الجري ولا استعداداً او تمهيداً للعمل الفعلي · لا تدع الحياة تفلت منك بسبب عجزك · وتذكر ان كل سني عمرك ستمضي في اي حال، وباتخاذ القرارات الصائبة يمكنك ان تباهي بأنك عشت تلك السنين حقاً ·

■ جو كودير

## علاج بالمجوهرات

دخلت امرأة محل مجوهرات وراحت تنظر الى كل قطعة بمفردها · وسألتها الموظفة: "هل لي أن أساعدك يا سيدتي؟"

ـ كلا، فأنا لا أريد أن أشتري شيئاً · وكل ما أريده هو أن أنسى الساعة التي أمضيتها لدى الطبيب النفسي · انه من العناد بحيث يرفض أن يفكر بحسب طريقتي ·

ل·ا·ز·

## نهج مائع

فيما المحاضر يلقي درساً في قاعة جامعية تتسع لسبعمئة طالب، دخل كلب القاعة وأخذ يلهو مع الجالسين في المقاعد الخلفية · وبعد وقت قصير راح الكلب يركض الى الصفوف الامامية وينبح، مما أزعج الاستاذ كثيراً · عندئذ علت ضحكات الطلاب، فقال الاستاذ من غير تردد: "أليست هذه النتيجة المنطقية للنهج المائع الذي اعتمدته الادارة في القبول؟"

ر·م·

كانت كلمات مؤلمة...
لكنها خرجت من قلب حنون

# إرحل بسلام!



جر والدي قدميه متثاقلا نحو الكرسي، وجلس فيه ووضع جورباً في أحدى قدميه. بعد ذلك استراح قليلا. على رغم فقده بصره كان يفرق بين الوان جواربه من مواضعها في خزانته. واذ هم بارتداء الجورب الآخر صاح مستنجداً بوالدتي: "سوا أشعر بالغثيان."

كانت والدتي تصعد السلم حين شاهدته مرتخياً في الكرسي. أسرعت اليه وصرخت خائفة: "ميكي... لا تتركني!".

أغمض والدي عينيه ثم حرك شفتيه. وللحال ألصقت والدتي أذنها اليسرى بفمه وسمعته يتمتم بصعوبة: "لن أتركك أبداً." ثم أنزلق جسده الى الارض وصرخت أمي فزعة باكية: "ميكي!".

سافرت لأبقى بالقرب من والدي، وساءني أن أجد أبي طريح الفراش في دار للعجزة. قال الطبيب انه يعاني من تمدد الاوعية الدموية في بطنه (أنورسما) وان حاله خطرة. ومع ذلك وجدته في حال أفضل مما توقعت. كان نظيفاً حليق الذقن مرتب الشعر تفوح منه رائحة طيبة، وقد جلس في سريره ممسكاً بيد والدتي مرتاح البال. وانتابني شعور لذيذ يشبه احساسي وأنا طفلة صغيرة، وسألت والدتي بصوت خفيض: "هل تذكرين يا أماه يوم سقطت عن الدراجة وأنا في الخامسة من عمري؟" وهزت رأسها ثم ابتسمت وهي تعود

بالذاكرة الى ليلة صيف حين طلبت من والدي ان يخرج ليشاهدني أركب دراجتي الجديدة. كنت أرتدي البيجاما، واذا بها تعلق في سلاسل العجلة فتوقعني عنها. يومئذ حملني والدي داخل البيت وغسل رجلي ونظفها بمطهر. كنت أصرخ من الالم بينما كان هو ينفخ فوق جروحي ويشدني الى صدره ويعتني بي. ولا تزال صورته مرسومة في مخيلتي كأنه بطل قصة تدور أحداثها وسط ريح الشمال العتيقة في ظلام الشتاء القاسي.

قلت لوالدتي: "كان أبي يضحكني حتى وانا ابكي! "وأحسست بدفء الذكريات، كذلك والدتي التي ابتسمت ابتسامة حزينة راضية وهي تسترجع ذكرياتها معه وقالت: "لقد حملك الى صدره حيث الدفء والامان وأخبرك كم كنت صغيرة يوم ميلادك قبل شهرين من الموعد المحدد. كان مولدك مفاجأة للجميع، حتى الطبيب قرر استحالة بقائك على قيد الحياة، ومع ذلك نجحت في صراعك." وسرحت والدتي بنظراتها بعيداً وهي تسترجع تلك الايام السعيدة.

وظهر تعب شديد على والدي فوضعت والدتي يده على خدها وهي تتكلم بلهفة: "ميكي! هل تعرف؟ الآنسة بيرتا موظفة المصرف حضرت لك حساء خضر. وباري عامل محطة المحروقات نصحني بتغيير زيت السيارة. وبائع الصحف مصر على اخبارك طرفة يوم تخرج معافى الى البيت."

وضع والدي أصابعه فجأة على شفتي والدتي محاولا اسكاتها، فصمتت تنتظره أن يتكلم. وعندما خرجت الكلمات بصعوبة من فمه قال متمتماً: "سوا لا تفقدي أعصابك." ثم غرق في سباته. فمسحت والدتي وجهه بيدها كأنها تريده ان يتكلم، لكنه لم يفعل.

في المساء جلستُ مع والدتي في البيت نشرب القهوة ونثرثر عن والدي وأيامنا السعيدة الهانئة وعن مرضه ورأي الاطباء. ثم تذكرت رجاءها اياه ألا يتركها وحدها عندما شعرت بدنو أجله. وكانت لا تزال تخاف ان يتركها ويرحل. لكنه بات متعباً جداً، وبدأت دموعها تنسكب بغزارة رغم ارادتها. فقمت اعانقها، لكنها مسحت عينيها بمنديلها وجلست منتصبة ثم نظرت الي آمرة وطلبت مني أن أنام قليلا لارتاح.

وعندما استيقظت وجدتها غادرت البيت الى المستشفى، وقررت أن ألحق بها بدلا من انتظار عودتها.

حين اقتربت من غرفة والدي وجدت ممرضاً يخرج حاملا طعامه على طبق، وعرفت انه لم يتناول منه شيئاً. وكان باب الغرفة مشقوقاً فدخلت مترددة وأنا خائفة مما سأرى.

كانت والدتي منحنية فوقه وهي تمسك بكلتا يديه الناحلتين فيما جسده مسجى بلا حراك وعيناه مغمضتان. كانت تضغط وجهها على وجهه وشفتاها تلامسان أذنه وفي عينيها بريق خفيف. وقبلت أذنه قبل أن تقول بحنان: "ميكي، أرجوك ارحل. لا تبق من أجلي."

■ لولا غيلبارد

# أمير الصحراء

"حركة الحصان العربي أقرب الم
الطيران منها الى وطء الثرى"

والتر سكود

شمس الصباح كانت تلقي أشعتها الذهبية على أهرام الجيزة العظيمة حين ركبنا الخيل التي اتى بها شاب مصري من الاسطبلات القريبة، وما لبث ان انضم الينا دليل من البدو، وانطلقنا عبر وادي النيل الخصيب من دون ان ينبس احد منا بكلمة، ولكن عندما وصلنا الى الصحراء صاح دليلن بجواده فطار به وسبقنا جميعاً.

أطلقنا لخيلنا العنان كي نلحق بـ فراحت تجري مسرورة عبر الصحرا كأنها الريح، وكانت أرض الرمال تتحرك تحتنا بسرعة كبيرة. ولقد

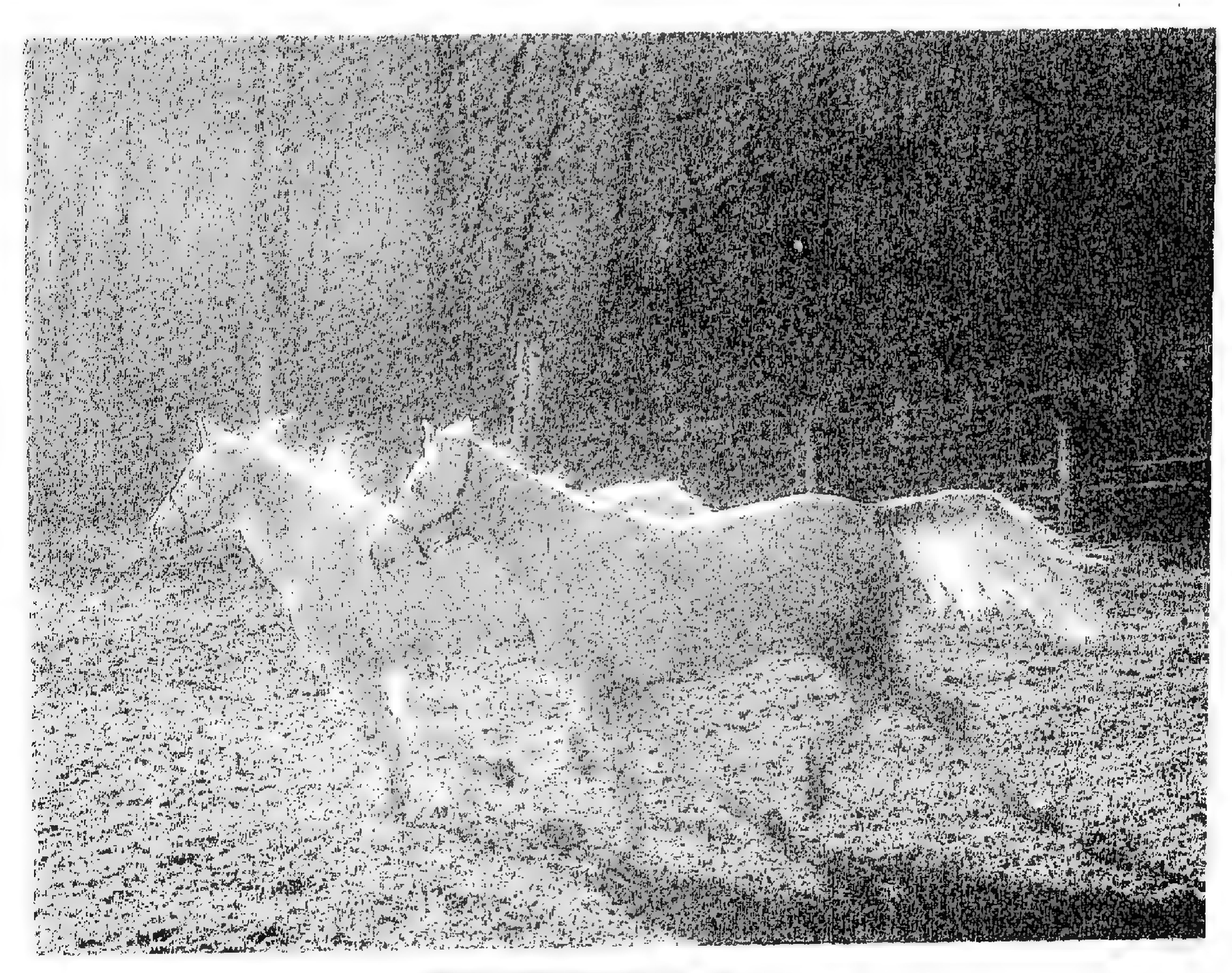


Photo: Walter Ghandoha

ركبنا من قبل خيلا أكبر من هذه، الا ان اياً منها لم يكن يبدي امارات حبور مماثل. ويرجع ذلك الى ان هذه هي من الخيل العربية التي تعيش في الصحراء وتعتبر "أجمل الخيل وأثمنها في جميع العصور."

يذهب الكاتب البريطاني السير والتر سكوت الى ان الخيل العربية هي "من النسل المجنح" ويلاحظ "ان حركتها هي أقرب الى الطيران منها الى وطء الثرى."

وكان جنكيز خان ونابوليون وجورج واشنطن يمتطون جميعاً خيولا عربية أصيلة. لذلك فليس غريباً ان يلقب هذا النسل بأنه "صانع الملوك."

الحصان العربي أعلى قليلا من المهر ويراوح وزنه بين ٣٥٠ و٤٥٠ كيلوغراماً، بينما يبلغ وزن بعض الخيل الاصيلة الاخرى ٥٤٠ كيلوغراماً ووزن الخيل الضخمة التي كان يمتطيها الفرسان في اوروبا ٩٠٠ كيلوغرام. فما الذي جعل الحصان العربي يتمتع بشهرة واسعة على رغم خفة وزنه بالقياس الى غيره من الخيل؟

الواقع ان ضمور هذا الحصان يعطيه القدرة على الاندفاع ويمكنه من الدوران والانعطاف والتوقف برشاقة مذهلة. ورئتاه كبيرتان وقويتان وتنفسه أبطأ واكثر فاعلية من تنفس معظم الخيل الاخرى. وفي وسعه ان يقطع براكبه مئة كيلومتر عبر الصحراء في يوم واحد من دون طعام أو ماء.

**خيول سليمان** – يختلف الحصان العربي عن الخيل الأخرى في وجوه كثيرة. فعدد الفقرات في ظهره وذنبه اقل مما هو في سواه من الخيل. أما جلده، الذي يغطيه وبر مخملي كُمَيْت او رمادي أو كستنائي، فهو قاتم ربما ليقيه شمس الصحراء المحرقة. وهو الى ذلك صغير الرأس أنيقه، وله عينان بيضيتا الشكل كبيرتان تنمان عن ذكائه. وفي خطمه الدقيق منخران واسعان يمكنانه من تنشق الكمية اللازمة من الهواء.

ولئن تكن معظم الخيل ذوات أنوف مستقيمة أو معقوفة فان الحصان العربي ذو أنف مقعر قليلا. وعلى رغم صغر رأس الحصان العربي فان قحف دماغه هو في الواقع أكبر من قحف اي حصان عادي آخر، كما ان فلقتي دماغه اللتين تضبطان حركة العضلات وتوجهان الذكاء هما أكبر مما في الخيل الأخرى. من هنا فالحصان العربي يكاد يملك قدرة تامة على توقع ما يدور في خلد راكبه.

ان هذا الحصان "المتفوق" هو أحد اقدم الخيل التي عرفها الانسان. وكان البدو يؤمنون بأن ريح الصحراء الجنوبية الحارة هي التي أوجدته. والشائع ان اسماعيل بن ابرهيم كان أول من روّض "حيوان الصحراء". ومنذ ذلك الزمن بات الحصان ذا شأن كبير في اساطير البدو. ومن تلك الأساطير ما رواه ابن هذيل الاندلسي وهو كاتب عربي عاش في القرن الرابع عشر. وتذهب اسطورة ابن هذيل الى أن الملك داود كان يحب الخيل فجمع ما وجده منها

على وجه الارض فبلغ عدده الفاً جعلها كلها في اسطبلاته. وبعد موت داود ورث الملك سليمان هذه الخيل. وذات يوم طلب احضارها اليه "كي يتسنى له معرفة أجناسها وأسمائها وأصلها."

لم يكد سليمان يؤدي صلاة الظهر حتى احضرت اليه هذه الخيل الجميلة فأنسته كل شيء سواها وبقي معها حتى المغرب وغفل عن تأدية صلاة العصر. وعندما انتبه من غفلته كان شاهد تسعمئة من حيواناته الرائعة، فصرخ قائلا: "ان الاشياء الجميلة التي تجعل المرء ينسى ربه ويغفل عن اقامة صلواته ليست في الحقيقة أشياء حسنة." ولم يلبث ان أمر بقتل جميع الخيل التي عرضت عليه، لكنه أبقى على المئة التي لم يشاهدها. وتضيف الاسطورة ان الخيل العربية التي لا تزال موجودة حتى اليوم هي من نسل تلك المئة.

**حصان محنط** – دأب البدو عبر القرون على تكريم خيلهم، فكانوا عند اشتداد العواصف الرملية يربطون ابلهم خارج خيمهم ويدخلون خيلهم العربية فيقاسمونها طعامهم المكون من حليب الابل والتمر ويقدمون اليها الكلأ والشعير لدى توافرهما. والى ذلك فان ولادة المهر هي الحدث الذي لا ينساه هؤلاء البدو الرحل، وهم يحفظون أباً عن جد أنساب خيلهم حتى ليكادون يصلون بها الى عهد اسماعيل.

لم تقتصر مزاوجة الحصان العربي على الافراس العربية بل تعدتها الى ضروب من الخيل مختلفة، ونتج من ذلك ظهور أنواع من الخيل جديدة من بينها هجين الليبيزانر الشهير الذي هو عربي جزئياً ولم يكن له وجود قبل نهاية القرن السادس عشر. والواقع أنه يمكن ارجاع انساب كل الخيل الأصيلة المسجلة الى ثلاثة أحصنة عربية كانت وصلت الى بريطانيا قرابة العام ١٧٠٠ وزوجت أفراساً انكليزية.

ومما يسترعي الانتباه ان المصريين القدماء نحتوا صورة الحصان العربي على الحجار الرملية. وتزين صورته كنوز قبر توت عنخ أمون. وفي العام ١٩٣٦ اكتشف في مصر ناووس يحتوي على حصان محنط في حال ممتازة يعود تاريخ تحنيطه الى ٣٥٠٠ سنة خلت، وأغلب الظن أنه كان في حوزة أحد كبار العاملين في بلاط الملكة حتشبسوت. وقد بدا هيكله العظمي صغيراً نسبياً، الا أنه في ما عدا ذلك مطابق للحصان العربي الحديث.

أخذت تربية الخيل العربية الاصيلة تحوز اهتمام المصريين في العصر الحديث، وهم اليوم يعتبرون هذه الخيل جزءاً من تراثهم القومي. ويعود الفضل الاكبر في ذلك الى سيد مرعي صاحب مزرعة البادية لتناسل الخيل. وتقع هذه المزرعة قرب القاهرة وتعد واحدة من أكبر مزارع تناسل الخيل الخاصة في مصر. والحق ان سيد مرعي لم يأل جهداً للمحافظة على الخيل العربية الاصيلة في مصر.

يروي سيد مرعي (٧١ سنة) قصته مع هذه الخيل فيقول: "بعد الانقلاب

العسكري الذي اطاح بالملك فاروق في العام ١٩٥٢ ارادت السلطات الجديدة ان تبيع جميع الخيل الموجودة في الاسطبلات الملكية باعتبارها كماليات تافهة، وكلها خيل عريقة النسب حفظت سجلاتها أجيال من الخلفاء والسلاطين والباشوات والبكوات. فقلت للمسؤولين ان الاسطبلات هي جزء من التراث وثروة لمصر كالاهرام تماماً." واستطاع مرعي اقناع الحكام فباتت هذه الخيل التي يبلغ عددها نحو خمسين ملكاً للدولة المصرية.

عهدت الحكومة بهذه المجموعة النادرة من الخيل العربية الى منظمة الزراعة المصرية. ويقول ابرهيم زغلول مدير مزرعة الزهراء الوطنية لتربية الخيل، وهي مزرعة تابعة للمنظمة تبلغ مساحتها ٢٤ هكتاراً وتقع قرب الاسطبلات الملكية القديمة: "ان هذه الخيل هي بذور الخيل العربية الاصيلة التي ستولد في المستقبل."

في الزهراء الآن مئة وعشر أفراس وأربعون فحلا وقرابة مئة مهر ومهرة. ويقول زغلول: "الأفراس هي أثمن الخيل العربية لأنها مصانعنا." فثمن المهر المربى في الزهراء هو ٣٠ الف دولار فيما يبلغ ثمن المهرة ٧٠ الفاً. ويضيف زغلول: "ان همنا الرئيس هو حفظ نقاوة النسل، وبيعنا الخيل للخارج هو في المقام الاول سبيل الى تغطية نفقاتنا."

ان الخيل الموسومة بعلامات منظمة الزراعة المصرية (★) منتشرة في جميع أنحاء العالم، من أسوج (السويد) الى افريقيا الجنوبية ومن اوستراليا الى الأرجنتين. وقد قال لنا سيد مرعي: "يظن بعض الناس ان الخيل العربية لا تعيش الا في الصحراء. والواقع ان هذا ظن خاطىء لأن لهذه الخيل قدرة عجيبة على التكيف. ونحن أرسلنا بعضها الى كندا حيث استطاعت العيش بين الثلوج من دون تذمر."

**حيوانات عجيبة** – على رغم ان كثيراً من الناس لا يزالون يعتبرون مصر المصدر الأساسي للخيل العربية الأصيلة، فان هذه الخيل تربى اليوم في ٣٥ بلداً. وفي الولايات المتحدة وحدها نحو ٢٢٥ الفاً من الخيل العربية اي نصف عدد هذه الخيل في العالم كله. وفي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٣ أقيم مزاد علني في ولاية أريزونا وبيع ٢٦ حصاناً عربياً بمبلغ تسعة ملايين دولار. وقد بلغ رواج بيع الخيل في التجارة العالمية حداً مذهلاً، وتتداول في سبيلها ملايين الدولارات من بريطانيا الى الأرجنتين ومن المانيا الغربية الى اوستراليا ومن الولايات المتحدة الى اسرائيل ومن بولونيا الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

تعد بولونيا من اوائل البلدان الاوروبية التي وصلت اليها الخيل العربية الأصيلة. وفي كل عام يأتي الى بولونيا محبو الخيل الأثرياء

(★) يستعمل في وسمها الحديد المبرد في النيتروجين السائل، وهذه الطريقة اكثر سلامة واقل ايلاماً من وسمها بالنار.

ويجتمعون في مزرعة جانو بولاسكي لتربية الخيل حيث يقام مزاد علني لبيع الخيل العربية. وفي العام ١٩٨٣ بيعت فرس في هذا المزاد بمبلغ ٢١٦ الف دولار، وقبل سنتين بيع احد الفحول بمبلغ ٨٠٦ آلاف دولار. اما الاتحاد السوفييتي فقد تعزز شأنه في مجال حيازة الخيل العربية بعدما أهدى جمال عبد الناصر جوادين ممتازين الى نيكيتا خروتشيف. واللافت ان بعض الخيل العربية التي ربيت في أمريكا تشحن الى المملكة العربية السعودية حيث باتت اصالة الخيل امراً مشكوكاً فيه. وهنا تكتمل الحلقة اذ يعود الحصان العربي الى منشأه في الصحراء.

ان قيمة الخيل العربية ليست وقفاً على ثمنها. فمحبوها يجمعون على ان فيها ما يتخطى الرباط العادي بين الانسان والحيوان. ويقول هاو يربي عدداً من الخيل العربية في الولايات المتحدة: "انها حيوانات عجيبة. ولا نستطيع ان نقيس هذه المخلوقات الخارقة الجمال بمقياس عادي مألوف."

لم تكن نظرة سيد مرعي الى الحصان العربي تختلف عن نظرة الاعجاب هذه. فعندما كنا نجول برفقته في مزرعة البادية اشار الى فحل أبيض رائع يطفر نحونا كراقص باليه وقال: "هذا هو أمير الصحراء. ان جلده رقيق الى حد يتيح رؤية كل شريان تحته. ونحن نرى ان رقة الجلد هي دليل على ذكاء الحصان ورهافة احساسه. انظروا اليه ولاحظوا كم هو مزهو بنفسه. فالخيل العربية تعلم انها أفضل الخيل ولديها شعور واضح بأصالتها."

■ اميلي وبير أولا دولير



**اختلفت الاسباب...**

سمعت فتاة في السادسة عشرة والديها يتحدثان عن تمضية نهاية الاسبوع في الريف، فقالت أنها تودّ البقاء وحدها. ولما رفض أبواها ذلك سألتهما: "ولمَ لا؟ كنتما ترفضان هذا بحجة أني صغيرة. فما حجكتما الآن؟".

فانبرى لها والدها: "الآن صرت كبيرة على ذلك."

ب.ك.

---

**بقي القليل**

جلس صحافيّ يصغي الى صديق وهو يروي قصة لا تنتهي. وبعد سحابة من الوقت تنهّد الراوي وقال: "اذا شئتُ اختصار الأمر..."

فقاطعه الصحافي: "لقد تأخّرت كثيراً."

هـ. ت.

# أمّي و"الجوارب الحمر"

**لا أنكر أن يوم الأم هو عيد أمي، لكنه عيد ميلادي أيضاً**

كيف تكون النعمة مزدوجة حين يصادف عيد ميلادي يوم عيد الأم، فأجد احتفالي وقد ضاع في غمرة الاهتمام الذي تستحوذ عليه أمي؟ ولكن لا يسعني الادّعاء أن تنازع الاهتمام هذا ضايقني كثيراً إلا في سنة واحدة هي ١٩٤٧. ففي ذلك اليوم اجتمع عيد ميلادي الثاني عشر وعيد الأم ومباراة فريق "الجوارب الحمر" ضد فريق "يانكيز".

كانت أمي من غلاة أنصار "الجوارب الحمر" طوال سنوات على رغم أنها لم تحضر أي مباراة ولم تعبّر مرة عن رغبة في مشاهدة



واحدة، بل استعاضت عن الملعب بالاذاعة فيما زودتها الصحف بكل ما يلزمها للمشاركة. وكانت تشترك فعلا فتدير المباريات وهي تصغي الى الراديو وتعلق من حين الى آخر: "سام، يا أبله!" أو "كلا، لا ترم الكرة الآن!" وكانت دوماً على حق، ولكأن في الامكان تحقيق الفوز في مباريات لا تحصى لو هي رافقت الفريق شخصياً.

في بداية ربيع ١٩٤٦ بادرتني أمي بالسؤال: "هل تريد مشاهدة الخائبين الحمر هذا العام؟" وهذا هو الاسم الذي كانت تطلقه عليهم عندما لا تدعوهم "الجوارب الميتة".

- تعنين أن أحضر المباراة؟

"طبعاً. قد تشاهدهم يربحون هذه المرّة على غير عادتهم."

وحقاً رأيتهم في تلك المباراة يربحون بطولة الاتحاد الامريكي بسهولة مما أوقعني في حيرة من تشاؤم أمي المتصلّب في شأن حظهم في الفوز. ولم أكن أدرك آنذاك أن أمي كانت تتألم وحدها (لأن والدي لم يكن من هواة الرياضة) للاخفاق الذريع الذي مني به هذا الفريق موسماً تلو موسم قبل أن أولد وطوال سنوات طفولتي.

لذا بكيت عندما خسر الفريق البطولة الدولية السادسة والاربعين أمام "سانت لويس" في المباراة السابعة بفارق ٤ - ٣، وكانت هذه الخسارة اكبر صدمة عاطفية عرفتها. أما والدتي فتلقت النتيجة برزانة رواقية وقالت: "انتظر العام المقبل." وذلك يعني: اكرههم ولا تفقد الأمل، لكنه لم يكن ليعزّيني خلال الشتاء الطويل.

وهكذا أعلنت في اليوم الذي سبق الافتتاح عام ١٩٤٧ أنني قد لا أحضر أي مباراة هذا العام لأن "الجوارب الحمر" ليسوا ممن يربحون الجوائز الكبرى. وكنت التقطت هذا التعبير من صفحة الرياضة في احدى الصحف.

فقالت أمي: "بل ستذهب. أثبت أنك ما زلت تدعمهم."

فاعترضت قائلا: "ماذا عن موقفك أنت؟ ألا تصيحين باستمرار انهم خائبون؟ لماذا لا أحذو حذوك؟"

فأجابت بهدوء: "يمكنني اتخاذ هذا الموقف لأني بقيت أناصرهم سنوات طويلة حتى أصبحنا كالعائلة الواحدة."

وراجعت برنامج المواعيد ثم قالت: "احزر من سيكون في المدينة يوم عيد ميلادك؟" وكنت أعرف قبل أن تعلمني: "اليانكيز! ستحضر المباراة."

- لكن عيد ميلادي يصادف يوم الاثنين، والمدرسة؟"

"سيكونون هنا الأحد، فتذهب الاحد وتحلّ المسألة."

في اليوم التالي أخبرتني أنها حجزت لي أربعة مقاعد في المدرج المسقوف، وكنا عام ١٩٤٦ نحجز المقاعد الرخيصة غير المسقوفة. وأضافت: "هكذا يمكن بوبي وفيلي وشلدون مرافقتك."

ولكن قبل أسبوع واحد من موعد المباراة جاءتني أمي بانباء رهيبة: "أتعلم ماذا يصادف يوم الأحد المقبل؟"

ـ طبعاً أعرف.

"انه عيد الأم. ونحن خططنا قبل أسابيع لنزهة في الطبيعة في هذه المناسبة مع العم سول والعمة ليلي والاولاد."

ـ هل تقصدين أنه عليّ الذهاب معكم؟

ـ "أعتقد ذلك."

ـ أرجوك يا أمي، لا تطلبي هذا مني. لدينا تذاكر لحضور المباراة.

"ستكون هناك مباريات أخرى."

ـ لن تكون كهذه.

لم تضف أمي شيئاً. ولكن مع تقدم الاسبوع لم تكفّ عن التلميح الى مدى اعتمادها على حضوري: "هل اطلب منك أموراً كثيرة؟"

ـ على الدوام. ثم ان هاغسون هو الرامي يوم الأحد.

"لا تخف عليه، ستسير أموره على ما يرام من دون اشرافك. أتظن انه كان سيعامل أمه على هذا النحو في يوم عيدها؟"

ـ ولكن يا أمي وعدت بوبي وفيلي وشلدون بالذهاب، فكيف أخذلهم؟

"يمكنهم الذهاب وحدهم."

بدا لي هذا الاقتراح أسوأ الحلول على الاطلاق.

صباح يوم عيد الأم أعلنت أن لا شيء في الدنيا سيمنعني من مشاهدة تلك المباراة. فارتسمت على وجه أمي أمارات الاستسلام والاستياء، ثم أخرجت التذاكر من حقيبتها وناولتني اياها وكأن مسافة شاسعة تفصل بيني وبينها، وتمنت لي عيداً سعيداً وقالت: "سأعد لك غداء تأخذه معك." ودخلت المطبخ لتخرج منه بعد ربع ساعة وتضع كيساً من الورق أرجوانياً على الطاولة قرب باب المدخل.

كان يوماً رائعاً للبيسبول (كرة القاعدة). فالشمس مشرقة دافئة والسماء خالية من الغيوم. وصلنا الى حديقة فنواي في الوقت المناسب لنشاهد التمارين التحضيرية. وزغرد فيلي فرحاً بالمقاعد: "انها رائعة!" اذ لم يسبق أن كنا يوماً أقرب الى الملعب مما نحن الآن. وتابع: "أمك أعظم الأمهات. لنأكل."

فصرخت "غدائي. لقد نسيته في البيت. سأموت جوعاً."

ـ اشتر شطيرة مقانق.

عددت نقودي فاذا بها تكاد لا تكفي زجاجة مرطبات وتعريفة العودة الى البيت. وسألت أصدقائي: "هل تعيرونني بعض المال؟" ولكن لم يكن في امكانهم ذلك.

أعطاني بوبي أحدى كعكتيه وقدّم الي فيلي برتقالة، لكن الجوع لم يكف عن عصر معدتي فيما كان بائعو الطعام يسيلون لعابي.

ولمحها بوبي في اللحظة التي رأيتها ولكمني قائلا: "أنظر! أنظر هناك، الى أسفل!" لم تكن اشارته ضرورية اذ كنت أحدّق اليها مذهولا وأنا لا أصدق عيني. كنت شبه مصعوق. وتابع: "أليست هذه أمك؟"

على مسافة عشرين صفاً وقفت امرأة سوداء الشعر ترتدي ثوباً قطنياً أنيقاً وتنظر الى فوق وهي ترفع بيدها كيساً أرجوانياً من الورق رآه الجميع. غدائي! أمي!

أول ما تبادر الى ذهني هو أن أتظاهر بأنني لم أرها. لكن بوبي

قضى على تلك الفكـرة: "أنظر، أمـك هنا. لقـد أحضـرت لـك كـيسـك الأرجوانـي." وأخـذ يقهقـه وتبعـه الآخران.

لم يبق أمامي خيار. فوقفت وأنا أشعـر بحـرج شديـد وبـأن مئـات الاشخاص يتفرّجون عليّ ويسخرون لمأزقي. ثم نزلت وقد احمر وجهي الى حيث وقفت أمي تعرض كيس غدائي على اكبر عدد من جمهور القسم الأيمن من المدرج.

وهتفت: "ها هو!" فصفق جمع من المتفرّجين وامتقع لوني.

– شكراً يا أمي. كنت أتضوّر جوعاً.

"افتحه بعناية وتمتع به." ثم استدارت ونظرت الى الملعب كأنها تريد طبع المسرح الحقيقي لمآثر "الجـوارب الحمـر" الاذاعـيـة فـي مخيلتها الى الأبد. وقالت: "هاغسون ليس الرامي. الاذاعة قالت ان تومي فاين هو الرامي."

– ومن هو؟

"مبتدىء. هل تغير رأيك؟"

– اننا هنا الآن. لا أستطيع ذلك.

– "أعرف." واستدارت نحو أقرب المتفرجين الذيـن بـدوا غايـة فـي السرور: "ألم أقل لكم انني سأجده؟ انه اكبر أولادي، لكنه ليس ذكياً بمقـدار مـا يتصـوّر." فالتهـبـت وجنتاي. وفي لحظة اختفت.

عدت الى مقعدي وفتحت الكيس وسحبت منه شطيرة أكلتها فيما كنت أراقب الرماة يتمرنون وراء الحاجز. تومي فاين المبتدىء هو الذي سيرمي الكرة الاولى محل هاغسون عن فريق "الجوارب الحمر". واذ التهمت لقمتي الأخيرة مـددت يـدي الـى الكيـس فلمست ظرفاً أخرجته، واذا داخله أربع تذاكر في المدرج المسقوف لمباراة في شهر أغسطس (آب) مع فريـق "يانكيـز". وصـاح بـوبـي: "اشترت تذاكر أخرى!"

لم أفهم القصد من ذلك. كنت أشعر بالنشـوة وبالاضطـراب معـاً. بـدأت المباراة وسجـل "الجـوارب الحمر" ستة أشواط في الجولة الاولى بينما سجل "اليانكيز" أربعة أشواط في نهاية الجولة الثانية. وكان فكري لا يزال مشغولا بغدائي. قالت لي: "افتحه بعناية."

وسجـل "الجـوارب" شـوطـاً فـي منتصف الجولة الثانية وفي نهاية جولتيـن كـان الترتيـب: "الجـوارب الحمر" ٧ و"اليانكيز" ٤. جلست مرتاحاً وقـد انهيـت غدائـي بينمـا المبـاراة تجـري امامـي والتـذاكـر الجديدة في جيبي. لكن افكاري كانت مع أمي.

قاربت الساعة الثانية بعد الظهر عندما بدأت الجولة الثالثة. فنهضت قائلا: "أنا ذاهب يا رفاق. أراكم في الغد." وقبل ان يتمكنوا من سؤالي لماذا هبطت متجهاً خارج الملعب.

قفزت الى سيارة أجرة أقلتني الى بيت عمي الذي لا يبعد كثيراً عن الملعب. وعلت ابتسامة خفيفة وجه أمي اذ رأتنـي.

سألتها: "أما زال الترتيب ٧ في مقابل ٤؟"

فأجابت: "٨ في مقابل ٤. ربحنا شوطاً في الجولة الرابعة."

ـ انها مباراة سيئة. أخذناها في وقت قصير.

"أتمزح؟ ما زالت هناك خمس جولات ومتسع من الوقت للخسارة. كيف كان غداؤك؟"

ـ جيداً. شكراً يا أمي.

"لا تضيع التذاكر."

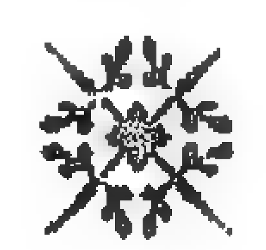
كاد "الجوارب الحمر" أن يخسروا المباراة فعلا اذ سمعنا الاذاعة تعلن مجموع النقاط النهائي: "الجوارب الحمر" ٨ و"اليانكيز" ٧.

عندما انتهى كل شيء قالت أمي: "في جميع الاحوال أنت شاهدت القسم الافضل من المباراة."

ـ تومي فاين خائب ذريع. لقد خصصوا له ستة أشواط فربح لهم ثلاثة. انه يثير اشمئزازي.

"عليك أن تتعلم الصبر. انه مبتدىء، وهو يتعلم."

■ موريس بريسلو



## صحّ النوم

ذات صباح باكر أيقظ موزعُ البريد رجلا من النوم ليوقع رسالة مسجلة. وبعد فتحه الباب بجهد حمل الرجل الدفتر على الحائط ووقّع غير أن عامل البريد نظر الى السجل الفارغ مندهشاً، ثمّ زالت دهشته اذ رأى التوقيع على الجدار.

ل.ب.

## عودة التجار الملحين

تلقى مدير محل كبير مخابرة هاتفية في منزله وقت العشاء. وجاء عبر الخط صوت انثوي ناعم يسأل: "كيف حالك؟"

ـ جيد جداً.

"هذا عظيم... يسرني ان تكون أحوالك كلها حسنة"

ـ ولكن من أنت؟ اتظنين اني اعرفك؟

"اننا لم نتقابل البتة. لكني ارتأيت انّه من الجميل ان أُخابرك."

ـ لكنه وقت العشاء، ولديّ ضيوف.

"أعرف جيداً انه وقت العشاء. لكني ظننتك تؤثر ان يخابرك الناس في هذا الوقت بالذات."

ـ ماذا تقولين؟

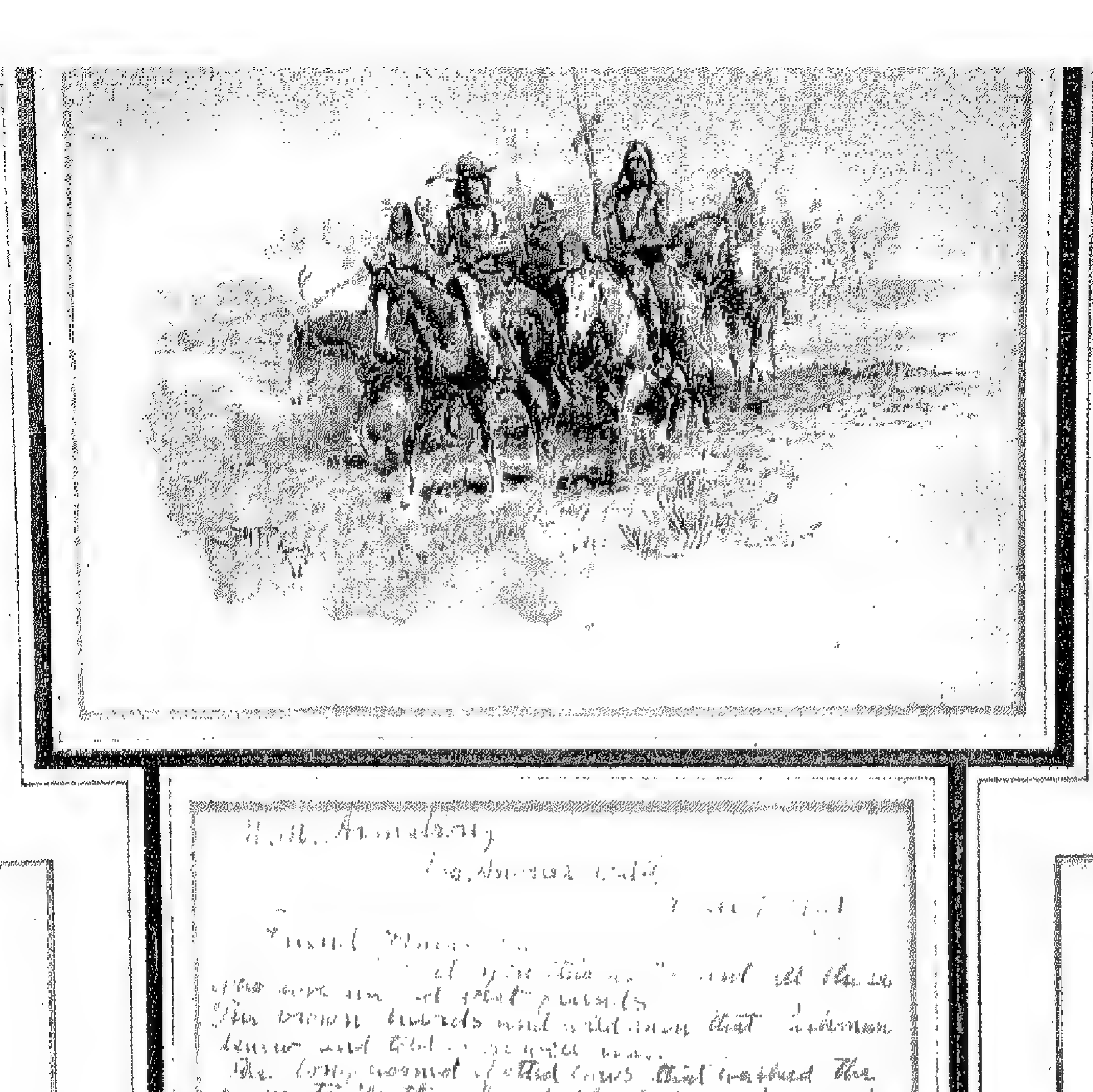
"ان وكلاء البيع في محلك يخابرونني دائماً في مثل هذا الوقت ليعرضوا عليّ السلع المختلفة التي تبيعونها. وقد اخبرتهم بعدم اهتمامي، لكنهم يصرّون على ازعاجي. لذلك قررت ان اخابرك في هذا الوقت ايضاً."

ـ انتظري لحظة...

"أرجوك، سجل اسمي وعنواني، وقل لجميع عملائك ان يكفوا عن مخابرتي. وتأكد أني ساخابرك كل مرة يزعجونني."

... وكان ذلك آخر عهد لتلك السيدة مع التجار الملحين.

ج.د.



W. M. Armstrong
Pasadena Calif
[illegible]

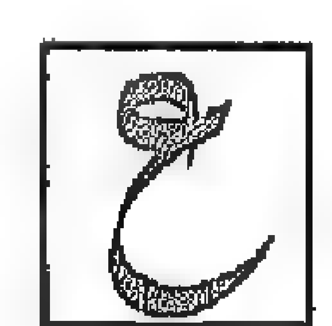
Friend Armstrong
[illegible] of your time [illegible] and all these [illegible] are [illegible] guests
The brown [illegible] and wild [illegible] that [illegible]
[illegible]
The long horned cattle cows that walked the same trails their humped backed cousins made have joined them in history and with them went the [illegible]
[illegible] today in books. The [illegible] of thirty years ago is as much history as Parkmans Trapper. The west is still a great country but the picture and story part of it has been plowed under by the farmer. Prohibition makes made the west better. But its [illegible]
[illegible]
[illegible] Stage drivers and cowpunchers didn't feel life on [illegible] as [illegible]
[illegible]
To make sketches in [illegible] has been a pleasure to me.
When I read [illegible] I seem to live in [illegible] and travel the trails with him.
Wishing you and yours health and happyness

Your friend

C M Russell

# ريشة الراعي





عام ١٨٨٠ انطلق تشارلز ماريون راسل (١٦ عاماً) من سانت لويس غرباً. ولدى تجواله عبر مونتانا عمل في نصب الشراك ورعي البقر لمدة تربو على عقد من السنين. وأبدى تعاطفاً مع الهنود الحمر فعاش مع قبيلة "القدم السوداء" ردحاً من الزمن.

وسرعان ما وجد راسل المجال الذي يأنس إليه. لم يكن في وسع أبويه الثريين أن يبقياه في المدرسة، فهو ما فتىء يتغيب بلا عذر منذ العاشرة من عمره. وطفق يحلم ويرسم الغرب الامريكي. ودرس اعمال فناني الحدود كارل بودمر وجورج كاتلن. ولما بلغ الخامسة عشرة كان ملأ كراس الرسم لوحات بدائية تصور في معظمها هنوداً حمراً. واستمر في الرسم وحاز شهرة واسعة في تلك المراعي ولقب "راسل الفتى، فنان رعاة البقر."

عام ١٨٩٣ غدا حلم راسل حقيقة، فعزم على تجسيد الغرب وما يوحيه له من معان بألوان مائية وزيتية. تخلى عن عمله في المرعى وأصبح، بعون زوجته نانسي، فناناً متفرغاً يجذر نفسه وفنه في التراث الأمريكي الى أن حان أجله في مونتانا عام ١٩٢٦.



Photos: Charles W Swain / Rockwell Museum

# THE OREGON TRAIL.



## CHAPTER XIV.

### THE OGILLALLAH VILLAGE.

This is hardly the place for portraying the mental features of the Indians. The same picture, slightly changed in shade and coloring, would serve with very few exceptions for all the tribes north of the Mexican territories. But with this similarity in their modes of thought, the tribes of the lake and ocean ...s, differ greatly ...en domesticated ...e wildest of the ... pr... ...hen... ...hat ... int... ...eir ... ...gree... ...v n... ...e m... children would scream in terror when t... Their religion, superstitions, and prejud...

## CHAPTER XXVII.

### THE SETTLEMENTS.

The next day was extremely hot, and we rode ...m morning till night without seeing a tree, a bush,

## CHAPTER IV.

### "JUMPING OFF."

Our transatlantic companions were well equi... for the journey. They had a wagon drawn b...

a little distance, and saw moving above the tall bushes the branching antlers of an elk. I was in the

found them in July;
when winter sets in,
trees are bent to the
the
asc
editi
e so
ga
ow w
you
in
tra
tho

CHAPTER
THE "BIG MUDDY."

The great medley of Oregon and California emigrants at their camps around Independence had heard

whole night the awful chorus of the wolves would resound from the frozen mountains around them, yet within their massive walls of logs they would lie in careless ease before the blazing fire, and in the morning shoot the elk and deer from their very door.



يعدّ راسل الذي
علم نفسه بنفسه،
من أكبر فنانـي
الغرب الامريكي.
ولكان ورد ذكره في التاريخ
كراعي بقر متمرس، غير أنه
لم يطمح الـــى ذلك، وان
بقـي فخوراً بعمله. كان
راسل نزاعاً الى الصداقة،
وتمثلت نزعته هذه على
نحو غير مألوف، فكان
يزين رسائله برسوم من



ريشته. عام ١٩٢١ أهدى اليه صديق يدعى آرمسترونغ نسخة من كتاب "قافلة أوريغون" بقلم فرنسيس باركمان، متمنياً أن يبعث راسل جوابه مزداناً برسوم. ففعل أكثر من ذلك، اذ لم يكتف برسم على الرسالة، بالالوان المائية، لقبيلة هندية محاربة بل انه زين حواشي الكتاب الذي يقع في جزءين بثمان وأربعين لوحة رائعة.

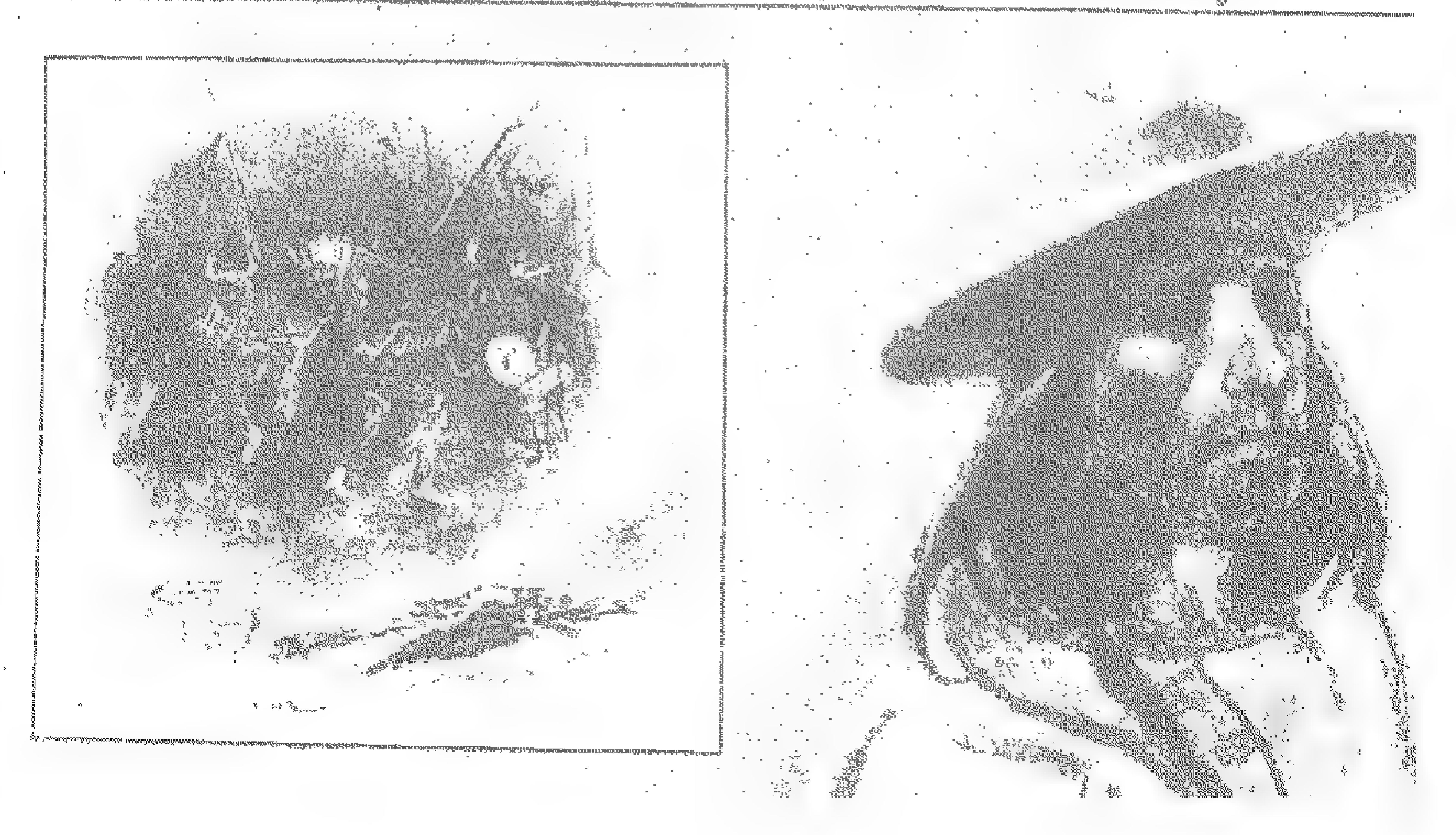
لو عرف تشارلي راسل القيمة الحالية لأعماله الفنية لأصيب

THE OREGON TRAIL.

CHAPTER I.

THE FRONTIER.

LAST spring, 1846, was a busy season in the city



بالذهول. فلوحاته، حين كان يرسم، علقت في المقاهي وعلى جدران المنازل المتواضعة. كان يملكها رعاة البقر، وهي استعملت لدفع الفواتير المستحقة وأهديت الى اصدقاء ومعجبين وبيعت بأسعار زهيدة.

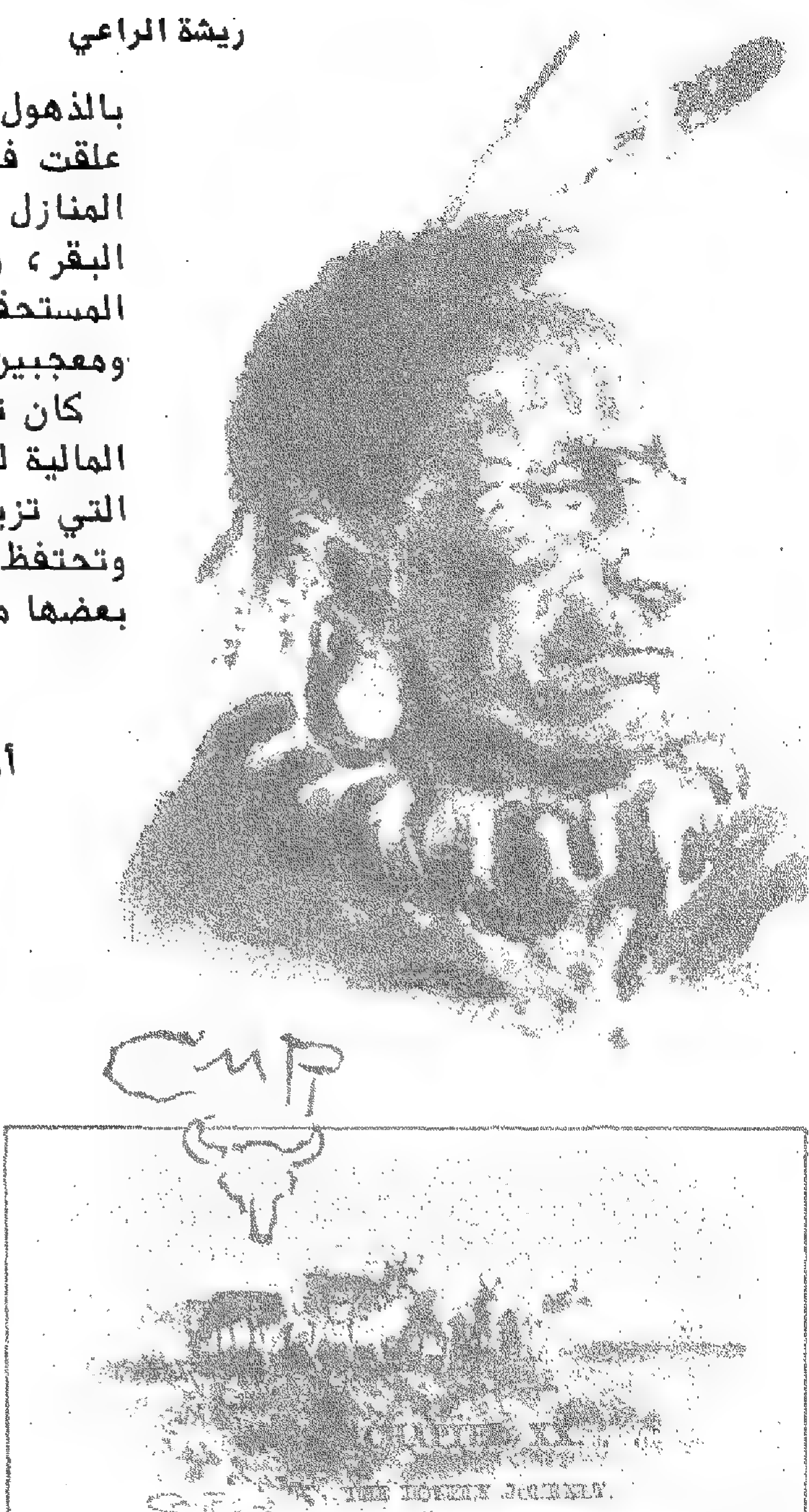
كان تشارلي راسل يستخف بالقيمة المالية لرسومه. أما اليوم فان لوحاته التي تزيد على ٣٥٠٠ ويقتنيها الهواة وتحتفظ بها المتاحف يبلغ ثمن بعضها مليون دولار وأكثر.

كان راسل ليسر لو علم أن نقاداً كثيرين يعتبرونه أهم فناني الغرب الأمريكي في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ويعتبر راسل وزميله فريدريك رمنغتون الذي يوازيه موهبة، من روّاد رسم الشخصيات النابضة بالحياة التي سادت في الايام المأسوية الاخيرة على الحدود الأمريكية: رعاة البقر والهنود وسكان الجبال والسهول وناصبو الفخاخ.

ولقد تمثل راسل في كل رجل رسمه.

■ جاك دنتون سكوت



*****

## الحب الحقيقي

الحبّ الحقيقي ياسمين عابق وجوهرة في الظلام، وهو خفقةُ قلب لم يسمعها طبيبٌ قلبٍ قطّ. والحبّ أكثر المعجزات انتشاراً... إنه حفنةُ نجوم نُثرت في سماء الليل.

جيم بيشوب

## بعد إحدى واربعين سنة سنحت الفرصة لتعويض ما فات

انتاركتيكا غير المأهولة في منطقة القطب الجنوبي ومعنا فريق تصوير تلفزيوني. ونفذنا معظم مهمتنا الاستكشافية براحة نسبية، متنقلين من مكان الى آخر في طائرات شحن وطائرات مروحية ومركبات انزلاقية. وهكذا تناسينا الاخطار المحدقة ونعمنا بالرحلة.

وذات يوم ركبنا عربة جليدية صعدت بنا الى رفّ روس الصخري حيث أشرفنا على محطة ماكموردو عن بعد ١٦ كيلومتراً. وهذه المحطة هي القاعدة الامريكية الرئيسية في تلك القارّة. وكان اثنان من متسلقي الجبال هما ديف لازورسا وطوني باركر يدربان العلماء على طرائق تعينهم على الصمود. وكان معنا جاك رينيري رئيس قسم الاعلام في المؤسسة الأمريكية الوطنية للعلوم، كذلك فرانك وليمسون كبير علماء المؤسسة بما يخصّ برامج الابحاث القطبية.

وتغطي ذلك الرفّ الصخري مياه الينابيع المتجلدة. وهو عظيم المساحة، إذ يبلغ طوله ٨٠٠ كيلومتر وعرضه ٦٥٠ كيلومتراً، ويتجه تدريجاً نحو البحر بضغط جبال الجليد الزاحفة إليه من السهل القطبي. وربما بلغت كثافة الجليد حيث كنا ٣٠٠ متر. غير أننا وجدنا أنفسنا فوق منطقة تخللتها الصدوع الناشئة عن حركة الرفّ المستديمة. وبعض تلك الصدوع قد يستحيل مكمناً قاتلا إذا لم يتنبه المرء للقشرة الثلجية الرقيقة التي تكسوه.

**في الهوّة** - وقفنا ننظر الى ديف وطوني يربطان العلماء الذين يدربانهم بعضاً الى بعض ويتجهان نحو الأجراف والصدوع الجليدية وقد حمل كلّ منهما فأسه الثلجية. ووجد ديف واحداً من تلك الاجراف، فتوقفت الجماعةليصور هيو شريطاً للمشهد يتم تظهيره لاحقاً في نيويورك. وقرأ ديف المقطع الآتي من تعليمات مؤسسة العلوم الوطنية حول مواجهة الاخطار: "إذا سقط شخص غير مربوط بحبل في فجوة، فهذه السقطة من شأنها أن تقضي عليه، إن لم يكن بفعل الصدمة نفسها فبفعل فتور الحرارة المفاجىء الذي يؤدّي الى الهلاك في ساعات قليلة." وكان وراء هيو، على مقربة مني، رجل مربوط الى زملائه اختفى ضمن الفجوة ثم

اصعد منها سالماً، وبعد التقاط عدد من الصور تابعنا طريقنا نحو الاجراف الجليدية.

وعبر المتدرّبون صدعاً فوق جسر جليديّ حمل ثقلهم. ولم أكن أنا ولا هيو ولا فرانك وليمسون مربوطين معاً، كما لم نكن مجهّزين بأحذية مسمارية أو مماسك، إذ لم نضع في نيتنا تسلّق الأجراف. أما المصور جيم واط ومهندس الصوت توم روبنسون فقد رُبطا معاً وشدّهما جاك رينيري إليه.

وقفز هيو، ثم تبعته فوق الصدع الذي يبلغ عرضه متراً واحداً، بينما تابع فرانك طريقه فوق الجسر الجليديّ. وفي تلك الاثناء باشر الآخرون تسلقهم فوق الاجراف.

وتوقف فرانك وسألني إن كان الثلج يبدو أميناً من ناحيتي. وكنت على وشك أن أُجيبه بالايجاب حين زلت قدمه وصاح مرتبكاً. ورفع ذراعيه الاثنتين وهو يسقط، إلا أن ذراعه اليسرى لم تقبض إلا على الهواء. لكنّ ذراعه اليمنى سقطت على القشرة الثلجية بجانبي.

وفي لحظة واحدة غدا عالمي كله تلك الذراع، برُدنها الأحمر وقفازها الصوفيّ. ولا أذكر إلا وقد أكببتُ على ركبتي وبذلتُ جهدي كله لكي أقي رفيقي السقوط في الهوّة. ويبدو أني ابتعدتُ مترين عن موضعي. وتحققتُ في ما بعد أن ذلك كان عملا أهوج، إذ كاد أن يأخذني الى حيث فرانك، وحيث لا بدّ من أن نلقى مصيرنا المحتوم. غير أني لم أفكرّ قطّ في التراجُع. وانصبت أفكاري كلها على إنقاذ فرانك. وقلتُ لنفسي: "يجب أن أُتيح له فرصة."

"**لقد أنقذتُه**" - ناديتُ هيو بأعلى صوتي، وما أن سمع ندائي حتى أصبح عند حافة الصدع بقفزة واحدة. وأمسك فرانك من كتفه وثبت أصابعه تحت إبطه، فيما بقيتُ أنا متشبثاً بمعصمه. وبجهدنا المشترك أوقفنا فرانك على جدار الصدع. وكانت ثلاثون ثانية كافية لاستسلامي لو لم يهبّ هيو الى نجدتي. لكننا بتنا نواجه خطراً جديداً، وهو أن فرانك أخذ ينزلق تحت سترته الفرائية. وإذ لم نستطع سحبه ولا تثبيته في موضعه، قلتُ له مطَمئِناً: "لا تخف يا فرانك، إن الامور ستجري كما يُرام." وجاء صوته يقول: "كلا، هذا غير صحيح. فأنا موقن من انحداري في الهوة."

وكان جاك رينيري سمع صوتاً خفيفاً، فنظر وراءه ورآنا. وقال لنفسه: "يا إلهي! لقد كانوا ثلاثة... لكنهم الآن اثنان فقط."

وأسرع جاك مع جيم واط وتوم روبنسون في اتجاهنا. وما أن وصلوا إلينا، وهم ما زالوا مقيّدين بعضهم الى بعض، حتى حفر جيم وتوم الجليد تحت قدمي جاك ليثبت في مكانه ولا يهوي هو أيضاً الى الفجوة. ثمّ مدّ جاك يده وأمسك فرانك من قاعدة سرواله. وذلك زاد أمله في الخلاص.

وفي دقائق معدودة وصل ديف لازورسا وطوني باركر الى المكان. وقفز ديف فوق الهوّة وثبت ملزمته

في الجليد، ومرر ديف وطوني الحبال تحت ذراعي فرانك ولفاها حول صدره، ثمّ تولى أكثر من عشرة رجال سَحْبَه. وطوال تلك العملية لم نرفع أيدينا ـ هيو وجاك وأنا ـ عن فرانك لكي نأمن لسلامته.

ولما عدنا الى محطة ماكموردو سألَ توم: "ما الذي حدث هناك؟ اني لم أتمكن من رؤية كل شيء." وإذ أنهى هيو سرد ما حدث قال لي توم: "لقد أنقذتَ حياة ذلك الرجل يا جورج."

وللحال حضر في ذهني مشهد من طفولتي. وللمرّة الاولى خلال إحدى وأربعين سنة أتحتُ لنفسي أن أعيش أحداث تلك الأمسية.

**حلم ليلة صيف** ـ كنتُ واقفاً على رصيف مرسى القوارب خارج منزلنا الصيفي على بحيرة أوتر (القُضاعة) وسط جبال اديرونداك في ولاية نيويورك. كان ذلك في أواخر يونيو (حزيران) قبل نحو ساعة من غروب الشمس. ونظرتُ الى المياه الهادئة حيث كان عدد من الرجال في قارب تجذيف على بعد ٣٠٠ متر. وفجأة انقلب القارب بهم، وأخذ أحدهم يصيح: "انه تحت الماء... أخرجوه، أخرجوه." وكنتُ سباحاً قوياً. ووجدتُ تحت قدميّ قارب تجذيف راسياً. وكان في استطاعتي بلوغ مكان الحادث في دقائق ثلاث، فأغوص من هناك لرفع الغريق من المياه التي لم يتجاوز ارتفاعها المترين ونصف المتر. إلا أنني بقيتُ حيث أنا ولم أذهب.

كنتُ إنساناً آلياً، كبلّت شخصيتي سنوات طوال من العقاب الجسدي والكلامي على يد أبي الذي لم يسمح لي أن أفعل شيئاً الا بمشيئته. وهكذا كنتُ مريداً، ولكن من غير إرادة تنفيذية، كما كنتُ حانقاً ومكتئباً لحالي، لكنني لم أكسر طاعتي يوماً. لذلك لم أجرؤ قطّ على فكّ المرساة وأخذ القارب، حتى وإن كانت حياة إنسان آخر في خَطَر.

وهرعتُ الى شرفة المنزل حيث كان أبي جالساً فوق مقعد أزرق هزاز. وقلت له: "أتسمح لي بأخذ القارب؟ إن شخصاً هناك يغرق ويوشك على الموت." وحدّق أبي بعينين جامدتين الى البحيرة. وانقضت دقائق قبل أن أُعيد عليه السؤال مرّة ثمّ اخرى. وأخيراً تفوّه قائلا: "اخرس أيها الحيوان."

وعدتُ الى الضفة ووقفتُ أراقب شاباً نزل الى الماء من مكان آخر وراح يسبح في اتجاه القارب. ووصلت قوارب أخرى الى المكان، وغطس الرجال الى الماء ووجدوا الضحية. وسُحب الغريق الى رصيف لا يبعد عن مَرسانا. وشلني الخجل فيما وقفتُ أراقب. وما لبث أبي أن سمح لي بأخذ القارب بقصد "التحرّي". وجذّفت على الشاطئ حتى دنوتُ من الرجل. ورأيتُ قدميه الزرقاوين العاريتين وسمعتُ وقع أنفاسه الاصطناعية. ودام ذلك ساعة حلّ بعدها الظلام. إلا أن الرجل كان فارق الحياة.

وفي اليوم التالي أشرقت الشمس من جديد وعادت العصافير تصدح.

وقلتُ لنفسي: "يا إلهي! يبدو كأنّ شيئاً لم يحدث." لكنّ الحقيقة أنّ شيئاً ما حدثَ فعلاً. فقد غرق رجل ومات، ولم أفعل شيئاً كي أُعطيه فرصة للنجاة.

في ذلك اليوم بالذات قطعتُ علاقتي الطفولية بأبي. ومنذ ذلك الحين لم آخذ أي أمر منه يعارض مبادئي الخُلُقية.

إلا أن القرار الحاسم تأخر كثيراً. وهو لم يحصل إلا بعد وقت طويل، وفي آخر الارض في أنتاركتيكا.

وما فتئت الكوابيس تطاردني منذ عودتي الى نيويورك. فكنتُ أتقلب محموماً في الفراش، وأنهض عشرين مرّة خلال الليلة الواحدة لأمتحن ذاتي بطرح أسئلة من النوع الآتي: أصحيح أني وهبتُ فرانك فرصة للحياة؟ وهل كان ذلك الشخص الذي قضى غَرَقاً في البحيرة عاش لو تحدّيتُ أمر والدي؟

الحق أن عقدة الذنب لا تفارق صاحبها بسهولة قبل التأكد التام من بعض الأمور. وهكذا رحتُ اراجع الحادثين، فلا أحصل إلا على هذا الجواب: إني لم أُعطِ الشخص الغريق فرصة للحياة، في حين أعطيت فرانك هذه الفرصة. وإذ ذاك لم أشكّ البتة في أني أُعطيت فرصة لاصلاح ذلك الخطأ الفادح.

**المصالحة** ــ طوال إحدى وأربعين سنة رَفَضتُ أن أعرف اسم ذلك الانسان الذي قضى غَرَقاً تحت نظري. أما اليوم فيجب أن أعرف اسمه. ونتيجة لتحرياتي جاءني اسم ذلك الشخص: جو لولي. وهو عاش في يوتيكا في نيويورك، وكان في السادسة والعشرين يوم مات. وقصدتُ أخاه الذي دلني على الرجال الثلاثة الذين كانوا في القارب يومذاك. وذهبتُ الى يوتيكا لمواجهتهم. وتخلل لقاءنا الطعامُ والشراب والحديث عن جو. وفي آخر السهرة قال لي أحدهم: "أراهن على أنك فكرتَ في ذلك اليوم أكثر مما فعل أيّ منا."

وبعد أسبوع خابرتُ أبي الذي لم أُكلمه لأكثر من عشرين سنة. وقلتُ له: "أظنّ أنّ الوقت حان لمصالحتنا." أجاب: "ولمَ لا؟"

وذهبتُ الى شينيكتادي (نيويورك) حيث وجدتُ أبي في حال جيدة وقد قطع شوطاً في تسعيناته. وزرنا ضريح أمي، ثم جلسنا نتحدث كصديقين حَذِرَين شاء كل منهما اجتناب ما يجرح الآخر. وقال أبي: "ينبغي أن تفهم اليوم أنك كنت شقياً في حداثتك."

وسردتُ قصة وفاة جو لولي على مسمع أبي، وأتبعتها بحادث انتاركتيكا. وقلتُ له ان معظم الكآبة التي لازمتني منذ ذلك الحين تبدّدت هناك في أقصى الارض وسط القارّة الجليدية. إلا أنه لم يستطع تذكُّر حادث الغَرَق.

وفيما أنا أهمّ بالانصراف قال أبي: "اتعرف اني لم أشأ البتة ان تولد، ولا أن يولد أخوك؟" فأجبتُه: "لقد عرفنا ذلك بعد حين."

وعدتُ الى حقيقتي لأستعيد طفولة بائسة وأُبوّة مخفقة يلفها الندم. للمرّة الاولى في سنوات طويلة

جلستُ وأبي، ينظر أحدُنا الى الآخر وجهاً لوجه، ونحن نأمل زوال الأذى والألم والحقد وحلول التفهّم مكانها.
غير أن انعتاقي من حسّ الجريمة لم يتحقق مرّة واحدة. وراح المفتاح يدور في قفل لينتقل الى آخر. وها هي أبواب حياتي الموصدة لم تنفتح كلّها بعد. ولقد واجهتُ شقيق جو لولي وأصدقاءه ووجدتهم جميعاً متفهمين. كما واجهتُ أبي ووجدتُ أنّ عدائي له زال. وها أنذا اليوم، كلما قابلتُ أحداً، تبين لي أن الانفتاح على الآخرين يحمل البهجة وأنّ البهجة تولد رغبة في المزيد.
وفي حوزتي اليوم شهادة تثبت أني ذهبتُ الى القطب الجنوبي. وهي بالنسبة اليّ تعادل أعظم لقب يمكن أن يسعى إليه إنسان. لأن ما حدث في تلك الدقائق في اقصى العالم أتاح لي أخيراً أن أحيا حياتي بملء وانفتاح.

■ جورج أوريك

## ام مضيافة

كنتُ في الحادية والعشرين عندما أخبرت أمي عن صداقتي لشاب يكبرني سناً، طالبة منها أن تستقبله على أحسن وجه عندما يأتي ليأخذني بعد العشاء. وفيما أنا أرتدي ثيابي قرع الجرس. فقلتُ لأمي: "لا تنسي ما طلبتُه منكِ. وساوافيكِ بعد دقائق."
وبعد ربع ساعة دخلتُ غرفة الجلوس لأرى رجلا غريباً في منتصف العمر وهو يحمل كأس شراب في يده وأمي تحادثه بلطف.
واليوم، بعد هذه السنين، أظنّ أنّ ذلك البائع المتجوّل لا يزال يجهل أسباب تلك الحفاوة.

ب.س.

## رئيس لا يخطىء

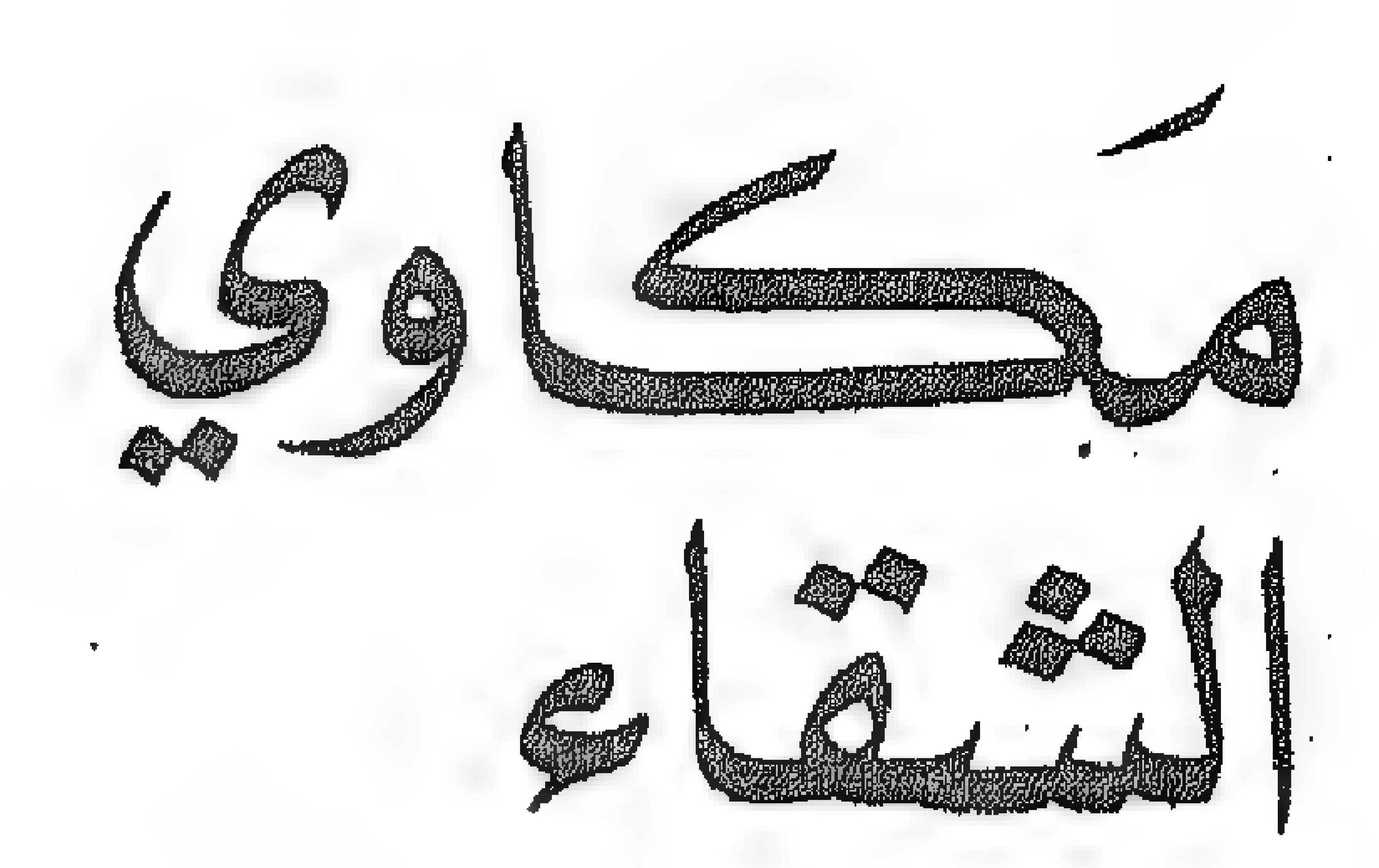
قال محرّر صحيفة لرئيس التحرير: "أتعرف أنكَ عنيد جداً، وأنك تظنّ نفسك دائماً على حقّ؟ لكنك تعرف جيداً أنّ ثمة مواقف أخطأت فيها".
ـ أجل، هناك موقف كنتُ فيه مخطئاً.
"إذاً أنتَ تعترف! وأيّ موقف كان هذا؟"
ـ لقد حصل ذلك قبل وقت، عندما ظننتُ نفسي مخطئاً ولم أكن هكذا فعلا.

و.ب.

## أمنية متبادلة

بعدما ألقيتُ خطاباً أمام مجموعة من المتقدمين في السنّ، صادفتُ أحدهم في المصعد وهو في كرسيه المتحرّك. فقلت له: "أتمنى أن تتحسن حالك فاراك قريباً."
لكنه ابتسم بمرارة وأجاب: "لقد سمعتُ خطابك أيها المحاضر الشاب... وأنا أيضاً أتمنى أن تتحسن حالك."

ج.ك.






حين انتخب ليندون جونسون عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي عام ١٩٣٧، وكان في الثامنة والعشرين من عمره آنذاك، كانت الكهرباء جزءاً لا يتجزأ من الحياة في المدن والقرى الكبيرة في الولايات المتحدة. لكن الكهرباء لم تكن وصلت بعد الى المزارع الامريكية. ومن أصل ستة ملايين و٨٠٠ ألف مزرعة في البلاد بقي أكثر من ستة ملايين مزرعة من دون كهرباء، كذلك لم ينعم بها ٩٠ في المئة من سكان الارياف الذين بلغ عددهم ٣٠ مليون نسمة. وقد كتب أحد القادة الشعبيين: "جميع الشوارع النيرة تنتهي عند حدود المدن. وأما بعد فظلمة داجية."

وقد انتخب ليندون جونسون ليمثل في الكونغرس سكان احدى تلك الارياف الظلماء. وكانت قلة ضئيلة من قرى منطقته، وهي تلال تكساس غرب أوستن، منارة بالكهرباء. وكانت الرسوم المترتبة باهظة جداً بحيث أن عائلات قليلة طلبت ايصال الاسلاك الى بيوتها. وقد رفضت شركة الكهرباء حتى درس امكان مد الخطوط الى المزارع المنعزلة النائية المنتشرة على التلال.

كان المزارعون في تلك التلال الفقيرة يعيشون حياة كد وشقاء. فالماء يجب تأمينه يدوياً لسقي البقر، وفي فصل الصيف الحار كان هذا يعني رفع دلاء لا تحصى من بئر عميقة بدلا من تشغيل مضخة كهربائية. ومع ان آلة الحلب كانت اخترعت قبل عقدين، فما فتىء المزارع يستيقظ قبل الرابعة فجراً ليحلب بقراته بيديه قبل انبلاج الصبح. فهو يحتاج الى كل ساعة من ساعات النهار للعمل في الحقول.

وانعدام الكهرباء يعني انعدام الثلاجات.



Condensed from «The Years of Lyhdon Johnson: The Path to Power,»

كان الحليب يحفظ في الثلج الذي يذوب سريعاً، وكانت مصانع الاجبان والالبان ترفض تسلم الحليب اذا علت حرارته فوق عشر درجات مئوية. واذ يرى المزارع الخط الاحمر لميزان الحرارة يتخطى الرقم ١٠ قبل وصول جامع الحليب، كان يدرك لحزنه ان ساعات العمل في الظلام ضاعت.

لكن قسوة حياة المزارعين في غياب الكهرباء لم تكن تقارن بعذاب زوجاتهم.

أن كانت النساء هن من ينقل الماء في الغالب. وكانت الحاجة ماسة الى كميات كبيرة من المياه اذ ان العائلة المزارعة المتوسطة تستهلك ٧٥٠ ليتراً كل يوم. ويتم نقل المياه على النحو الآتي: ترفع الزوجة في قرية هيل كانتري الغطاء الخشبي عن فوهة البئر. وهو الغطاء الذي يحمي الماء من الجرذان والسناجب. ثم تسحب الدلو المملوء وهو أمر شاق حتى باستعمال البكرة. وكانت معظم النساء يلقين بثقل أجسادهن لجذب الحبل يداً بعد يد. ويتم بعد ذلك نقل الماء الى البيت.

وقد اعترت الدهشة أحد القادمين من المدينة لدى رؤيته نساء هيل كانتري المسنات حَدباً أكثر من نساء المدينة. واستوقفه أكثر من مرة قول احدى الزوجات في هيل كانتري: "أترى استدارة كتفيّ؟ لقد تقوّس ظهري من نقل المياه، وهو منحن هكذا منذ صغري."

وتعمل الزوجة ايضاً في جمع الحطب للموقد. والمتزوجات يكرهن مواقد الحطب لأنها صعبة الايقاد بسبب قذارتها. وعندما يتم اشعال الموقد الحديد الضخم كانت الكتلة المعدنية الكبيرة تتوهج. وفي الشتاء كانت الحرارة مطلوبة، لكن الصيف في هيل كانتري يطول خمسة أشهر. ومهما كان الطقس حاراً فلا مناص من اشعال الموقد معظم الوقت للطهو والخبز. فالزوجات في هيل كانتري لا يستطعن دفع ثمن الخبز من الافران، ولذا كن يخبزنه بأنفسهن مما يستغرق نهارهن كله.

والصيف في هيل كانتري موسم للتجفيف والتعليب. فنظراً الى بعد المحلات وقلة النقود أيام الجمود الاقتصادي في الثلاثينات، أخذت معظم الأسر تعتمد على الخضر والفاكهة المقطوفة في الصيف والمحفوظة في الجرار غذاء لها في الشتاء. ولما لم تكن الثلاجات معروفة في القرية، كان يتم تعليب الخضر والفاكهة حين نضجها.



والتعليب يتطلب الانتباه المستمر للموقد. وربما أمضت المرأة نهارها في غرفة صغيرة وضعت على سطحها صفيحة معدنية تستقطب أشعة الشمس اللاهبة، واقفة قرب الموقد الحديد حيث تتأجج النار. وكلما خبت النار قليلا أضرمتها من جديد.

**عجائز في الاربعين — في**

كل اسبوع كان يوم للغسيل. تأتي المرأة بقدر ضخمة فيها مياه مغلية وتضعها في الخارج على نار مستعرة وبجانبها ثلاثة أحواض غسيل كبيرة من الزنك (التوتياء) وطبق غسيل موضوع على أحد المقاعد.

تدعك المرأة الثياب على لوح فوق الحوض الاول. ثم تعصر كل قطعة وتضعها في القدر الكبيرة الغالية، وتحاول ازالة الاوساخ بتحريك الملابس في المياه المغلية نحو عشر دقائق بواسطة عصا مكنسة طويلة، وتضغطها في اتجاه القعر او على الجوانب مقلدة الخضاضة الموجودة في آلة الغسل. بعد ذلك ترفع الثياب على طرف العصا خارج القدر لبضع دقائق ريثما يقطر منها الماء. وتلقي بها من ثم الى حوض الشطف. هنا تمرر الماء على كل قطعة. وتعصر الملابس وتضعها في الحوض الثالث الذي يحوي سائلا نيلياً وتحفها في شكل دائري، ثم تعيد الحركات نفسها في الطبق المملوء بمادة النشاء.

لدى بلوغ هذه المرحلة ينتهي حمل غسيل.

ويتكوّن غسيل اسبوع لعائلة المزارع النموذجية في هيل كانتري من ثمانية أحمال. لكن ينبغي عند كل حمل ابدال المياه في الاحواض الثلاثة.

الاثنين للغسيل، ويليه الثلثاء للكي. وفي هيل كانتري آنذاك، في الثلاثينات، كانت المكواة اسفيناً يزن نحو ثلاثة كيلوغرامات. ويتم تسخينها على موقد الحطب وتحتفظ بالحرارة لدقائق معدودة. ولدى زوجة المزارع ثلاث منها أو أربع كي يتم تسخينها بينما تستعمل احداها. وثمن المكواة ذات المقبض الخشبي يزيد دولارين على ثمن مكواة من دون مقبض، ولذا كانت الزوجات يعمدن اما الى نقل المقبض الخشبي الوحيد من مكواة الى أخرى واما يحمين أيديهن من الحرارة باستعمال ممسك قدر. وقد ينزلق المقبض من يد الكاوية فيلامس جلدها المعدن الحامي، وقد تشكو بحلول الظهيرة من البثور والقروح في يديها.

وبمرور الزمن تصبح المكاوي متسخة من وجودها على الموقد. واذا ما بقيت الرطوبة عالقة بالمكواة بفعل رذاذ الثياب المكوية، فان اي دخان ضئيل منبعث من الموقد قد يحدث طبقة رقيقة من الاوساخ على المكواة. ومهما حاولت المرأة ان تنظفها وتكشطها يبقى بعض السخام الذي تكتشفه لدى تمرير المكواة على قميص أبيض نظيف، عندئذ ينبغي غسل تلك القطعة ثانية.

وكانت النساء في هيل كانتري يطلقن على الادوات التي يستعملنها كل ثلثاء اسم "مكاوي الشقاء". والى الرتابة اليومية والاسبوعية ثمة مناسبات خاصة،

كمواسم الحصاد او التجمعات حيث يتوجب على المرأة ان تطهو ليس لعائلتها فحسب، بل لرهط من عشرين أو ثلاثين رجلا.

ولعدم توافر الطاقة الكهربائية معان كثيرة لسكان هيل كانتري فهم محرومون ألوان التسلية الليلية كارتياد دور السينما وسماع الراديو التي قد تجعلهم أكثر تحملا للكدح خلال النهار.

والمطالعة صعبة ليلا، اذلم يكن الازواج يستطيعون القراءة في العشيات الا على النور الباهت لمصابيح الكاز.

الا ان اكثر ما كان يشغل بال النسوة في هيل كانتري هو تقدمهن في السن قبل الاوان، فكن يبدين عجائز في الاربعين او الخامسة والثلاثين، حدبا نال منهن التعب والارهاق.

**موعد مع الرئيس** - بقيت وفود المزارعين لمدة عقدين وأكثر في كل الولايات المتحدة تتقاطر الى مكاتب شركة الكهرباء وأعضاؤها يمسكون قبعاتهم بأيديهم ويلبسون قمصان الاحد التي غسلت باليد وكويت بمكاوي الشقاء، راجين دخول عصر الكهرباء. وكان الجواب واحداً يكاد لا يتغير: "ان مد خطوط الكهرباء الى كل مزرعة على حدة عملية مكلفة جداً."

...الى ان جاء فرانكلين روزفلت (الرئيس الامريكي الاسبق) وهو من محبذي الطاقة الكهربائية الرخيصة. فوقع في ١١ مايو (ايار) ١٩٣٥ أمراً اجرائياً لانشاء "ادارة انارة الارياف". وفي مايو (ايار) ١٩٣٦ صدر حكم يجيز لتلك الادارة منح قروض للتعاونيات التي أقامها المزارعون.

وتم في الاشهر الثمانية عشر التالية تزويد نصف مليون مزرعة بالكهرباء.

لا شك في ان الايام تتحول، لكن ليس في هيل كانتري. فقد قدم اقتراح لاقامة سد على نهر كولورادو في تكساس يزود القرية بالطاقة الكهربائية، لكن المشروع بقي من غير تمويل. وحتى اذا بني السد فلن تهتم "ادارة انارة الارياف" بكهربة المناطق القليلة السكان مثل هيل كانتري.

ثم بدأت تتردد كلمات أخرى في تلك القرية. فقد أوقف المزارع بايب سميث المطالبة بالتمويل اللازم للمشروع بعدما خاب أمله. فدعي الى الاجتماع بعضو الكونغرس (مجلس الشيوخ) الجديد ليندون جونسون. وجلس الرجلان يتحادثان في أحد مطاعم بلدة بورنت الصغيرة. وقال ليندون جونسون انه في حال استمرار مسعى سميث والوجهاء المحليين الآخرين فسيوصل اليهم الكهرباء: "سأذهب بنفسي الى ادارة انارة الارياف واقصد رئيس البلاد اذا لزم الامر. لكننا سنحصل على المال."

وذهب ليندون جونسون الى الرئيس فعلا. وكان من الصعب الحصول على موعد معه، لكن جونسون نجح في أخذ

موعد لبضع دقائق. وفي هذه الدقائق ناشد عضو الكونغرس الشاب الرئيس ببلاغة جعلت روزفلت يقول لأحد مساعديه: "أعطِ الشاب سداً." وعندما رفض الموظفون الاداريون المطالب وماطلوا في مد اسلاك الكهرباء من السد الى التلال رجع جونسون الى الرئيس. فرفع هذا سماعة الهاتف وجونسون ما زال في الغرفة وطلب المسؤول آنذاك في ادارة انارة الارياف جون كارمودي وقال له: "جون، هيا وافق على منح هذا القرض. فهؤلاء الناس سيحلون مشكلة النقص السكاني لأنهم يلدون بسرعة."

**"البيت يحترق!" – العقبة الاخرى** أمام جونسون كانت مع ناخبيه الذين لم يرغبوا جميعاً في توقيع عرائض المطالبة بالكهرباء. ونبعت ممانعتهم جزئياً من جهلهم الاستعمالات الكثيرة للطاقة الكهربائية.

وكان معظمهم لا يملك الدولارات الخمسة التي ترفق بكل طلب.

ومن الاسباب ما جاء من خوف. فقد توجس القرويون من فكرة الكهرباء التي كانت غامضة بالنسبة اليهم. فهي تشبه البرق، ثم ماذا سيحل بالطفل الذي يمس أحد الاسلاك؟ خافوا من الاوراق التي دعوا الى توقيعها أيوقعون ما قد يتيح لشخص ما أن يسلبهم أرضهم في المستقبل؟

وبذل جونسون جهده في اقناعهم. تلاعب بعواطف النساء حسبما يذكر بايب سميث، وتكلم عن امه وكيف كان يراقبها وهي تنقل دلاء الماء من النهر. الكهرباء ستريحهم من هذا العناء وستساعدهم في ضخ المياه وغسل الثياب. وعندما يحصلون على الثلاجات لن يعودوا في حاجة الى الطبخ كل يوم. وقال لهن: "ستبدون أكثر شباباً في الاربعين مما كانت امهاتكن." وعلى الأثر وقعت العريضة ٢٩٠٠ أسرة في هيل كانتري. وفي ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٨ منحت ادارة انارة الارياف تعاونية الكهرباء في هيل كانتري قرضاً بمليون و٣٢٢ الف دولار لمد ٢٧٦٥ كيلومتراً من الاسلاك التي ستنقل الكهرباء الى القرية.

وعمل ٣٠٠ رجل في المشروع، بينهم حطابون وحفارون وناصبو أعمدة. وكدوا أشهراً طوالا وهم يمدون الاسلاك ليصلوا هيل كانتري بالقرن العشرين. وانتظر المزارعون التيار والاسلاك تتدلى من سقوف بيوتهم وفي اطرافها مصابيح عارية.

وذات عشية من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٩ كانت احدى الاسر في هيل كانتري عائدة من أمسية شعرية في مدينة جونسون. ولدى اقتراب افرادها من بيتهم في المزرعة صاحت الام: "يا الهي، ان البيت يحترق!" ولكن عندما اقتربوا أكثر رأوا ان النور لم يكن حريقاً، فقالت الابنة: "لا يا أمي! انها الكهرباء!"

وانتشرت الكهرباء في ارجاء هيل كانتري. وبدأ السكان يسمون أولادهم ليندون وجونسون تيمناً بعراب الكهرباء.

■ روبرت كارو

# فنّ التأجيل

يشبه فرن الطبخ بؤرة وسخة ينبغي تنظيفها، ولكن لا بأس من تأجيل ذلك الى الغد حيث متسع من الوقت. ويأتي الغد ويتأجل تنظيف الفرن نظراً الى تراكم الاعمال التي يجب تنفيذها. وهكذا تتأجل المهمة اسابيع وربما اشهراً، ويبقى الفرن ينتظر متسعاً من الوقت لتنظيفه.

والتأجيل هو فن انجاز اعمال البارحة، وذلك فن نمارسه جميعنا. كل انسان نزاع الى تأجيل الأعمال الصعبة او الكريهة. والتأجيل آفة بشرية لا ضرر منها، لكنها عندما تصبح عادة تعرقل تنفيذ اعمال الحياة.

يقول وليم كناوس، وهو عالم نفس امريكي، في كتابه "افعل الآن!" ان في وسع الانسان ان يتخلص من عادة التأجيل التي تمتص طاقته وأحاسيسه ووقته.

ومن أسباب التأجيل الخوف وعدم الثقة بالنفس وصعوبة احتمال تنفيذ اعمال مقيتة. وهذه الأسباب قد تؤدي الى ادمان الكحول والقلق الشديد والانقباض النفسي.

أيكون التأجيل سوء تدبير للوقت وكسلا عادياً؟ تقول عالمتا النفس لينورا يوين وجاين بوركا من مركز علم النفس في ولاية كاليفورنيا ان التأجيل مشكلة نفسانية معقدة نادراً ما تحل بمداواة سهلة بسيطة. علينا أولا ان نعرف أسباب التأجيل والطريقة التي نؤجل بها تنفيذ الاعمال.

ربما تبدو أسباب تأجيل تنظيف الفرن غاية في العقلانية لكننا اذا بحثنا جيداً عن الاعذار فسوف نكتشف انها غير مقبولة على الاطلاق. احياناً نقنع أنفسنا بوهم سطحي يعبر بوضوح عن الصراع الداخلي الناتج عن مشكلتين: عدم الثقة في النفس والتهرب.

يقول كناوس ان الاشخاص الذين يؤجلون أعمالهم يشعرون بعدم كفايتهم. وهذا يشل انجازهم خوفاً

من الخيبة المرتقبة. فهم يؤجلون عملا يتوقعون له الاخفاق.

يصل الشك في القدرة وعدم الثقة في النفس الى أقصى الحدود عند الاشخاص المثاليين الذين يضعون نصب عيونهم اهدافاً مثالية، فيخافون تنفيذ اي عمل. لنأخذ محامياً شاباً يخاف ان يتولى قضية قد تسقط وتسيء الى سجله الدراسي الخارق. وهكذا يدرج على تحضير مرافعاته في اللحظة الاخيرة، فيجد ذريعة مناسبة اذا أخفقت حججه ويقول لنفسه: "كان في امكاني تحقيق عمل افضل لو تسنى لي اسبوع آخر من التحضير." وهكذا يتهرب من وضع كفايته ومثاليته على المحك.

ويقول كناوس ان المتهربين يؤجلون خوفاً من القلق او الانقباض الذي يشعرون به مع بداية اي عمل جديد. وبما ان جميع اعباء الحياة تشكل قلقاً وضغطاً وتتضمن خيبات امل، فانهم يصبحون مدمنين على التأجيل.

والمؤجلون يتميزون بموهبة خارقة في خداع أنفسهم. وغالباً ما يسيئون تقدير الوقت اللازم لتأدية عمل ما. عندما كانت لينورا يوين استاذة في جامعة بركلي في ولاية كاليفورنيا، كان احد طلابها يتأخر دائماً على صف التاسعة صباحاً. وبعد البحث معه تبين لها انه يخصص ربع ساعة كل صباح للاستحمام وارتداء ثيابه والوصول الى صفه.

طلبت يوين وزميلتها بوركا من طلابهما ادراج لائحة بأسباب التأجيل. قال احدهم: "لقد عملت بجهد كبير، واستحق الراحة." وقال آخر: "انا انتظر هبوط الالهام قبل البدء في تنفيذ اي عمل." واتحفهما ثالث: "لدي متسع كبير من الوقت في الغد."

ان معرفة اسباب التأجيل والاعتراف بها يشكلان نصف المعركة في محاربته. وتبقى المشكلة الآتية: كيف نفرق بين التفكير في تنفيذ عمل ما والقيام به فعلا ؟

اليك بعض النصائح:

حدد اهدافك واجعلها واضحة. تقول يوين ان المؤجل ينزع الى التفكير في عمله على نحو شمولي بدلا من التحديد. كذلك ينزع الى الاقتصاد في الوقت والطاقة.

فكر في انجاز العمل وليس في مثاليته.

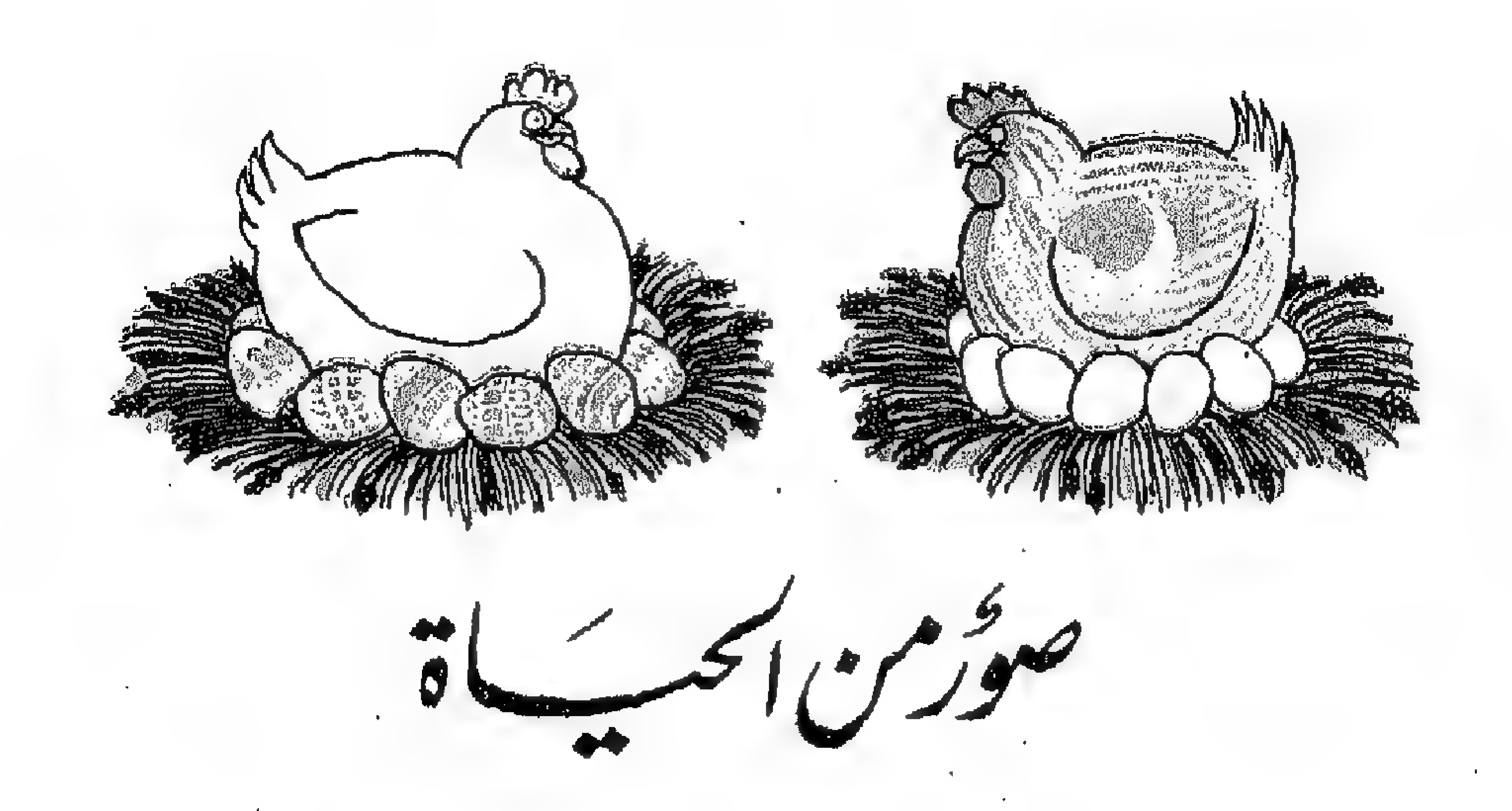
ينصح الخبير الاداري آلن لاكين باعتماد طريقة "الجبن السويسري": أحدث ثقوباً كلما تسنى لك الوقت. وهكذا ينجز العمل في النهاية ويتحقق المشروع تدريجاً.

بعد الشروع في عمل ما يمكنك تحويل طاقتك الى مشروع آخر ككتابة رسالة طويلة مهملة. ان اتمام عمل ما قد يكون اسهل من الشروع في عمل جديد.

كافىء نفسك بوضع جدول لانجاز عمل ممتع بعد ان تنتهي من عمل مضجر.

ولا تنتظر نتائج فورية في حربك ضد التأجيل. تذكر دائماً ان كل ربح صغير يقربك اكثر من هدفك البعيد: التغلب على تلك العادة المتأصلة.

■ ستيفان بيكتل



# صور من الحياة

## تصنيف جديد

غرقتُ في كرسي طبيب الاسنان فيما معاونته جالسة تنظر اليّ. وبعد قليل جهز عدته وأخذ بطاقتي من يد المعاونة، وتوقف عند الحرف "ج" الذي كانت تحتوي عليه بين معلومات اخرى، وسأل: "ما معنى هذا؟" فبادرته الممرضة بقولها: "جبان".

ر.هـ.

## الاغراء لا يعلّم

لا تحاول التعليم عن طريق الاغراء. واذا كانت طفلتك لا تحب الجزر، فاياك ان تقول لها: "ألا تعرفين يا عزيزتي انك تحبين الجزر في الحقيقة؟ ان اترابك الصغار كلهم يحب الجزر: ناديا تأكل الجزر... سامية تأكل الجزر... كذلك سعاد.

ولدى بلوغ فتاتك السادسة عشرة، تأتي اليك طالبة السماح لها بمرافقة شاب في الثامنة عشرة الى نزهة في سيارته. واذ ترفض طلبها، تقول لك: "غير ان والدة ناديا تسمح لها بالذهاب، ووالدة سعاد تسمح لها ايضاً، ووالد هيام كذلك".

لكنك تجيب: "لا يهمني ما يفعل الآخرون"... وهكذا تقضي على مبدأ دافعتَ عنه طوال حياتك.

كن صريحاً ومباشراً. وما اهمية اكل الجزر في اي حال؟

م.غ.

## الغناء والجنون

اشتهرت عمتي في الاوساط العائلية بالمرح لأنها تؤدي واجباتها المنزلية وهي تغني. وذات يوم رحت أصغي الى كلمات اغنيتها، فاذا بها على النحو الآتي: "لأرى الآن اين وضعت المفاتيح... لا تنسي يا فتاة ان تطفئي الفرن".

وسألتها لماذا تغني هذه الامور التافهة فقالت: "اذا سمعني الآخرون اغني، فهم ينظرون اليّ كشخص مرح او سعيد. ولكن اذا سمعوني أكلم ذاتي، فهم يظنون اني فقدت رشدي ويأخذونني الى بيت للمجانين".

هـ.ا.هـ.

خلاصة جهود ربع قرن في تقصي الشطيرة المثالية

# شطيرة الجبن

منذما اكتشفت الفرق بين الخردل و"الكتشاب" كرست نفسي للبحث عن شطيرة الجبن (★) المثلى.

تتوقف نوعية شطيرة الجبن على عوامل متعددة متغيرة: مشبك الشيّ، الجبن، الخردل، الخبز، الطاولة، طريقة التقديم، المنظر، وطبعاً اللحم. وفي وسعك دائماً ان تجد شيئاً على غير ما يرام حتى في الشطيرة المدهشة فتضمن لنفسك سنوات سعيدة في تقصيه.

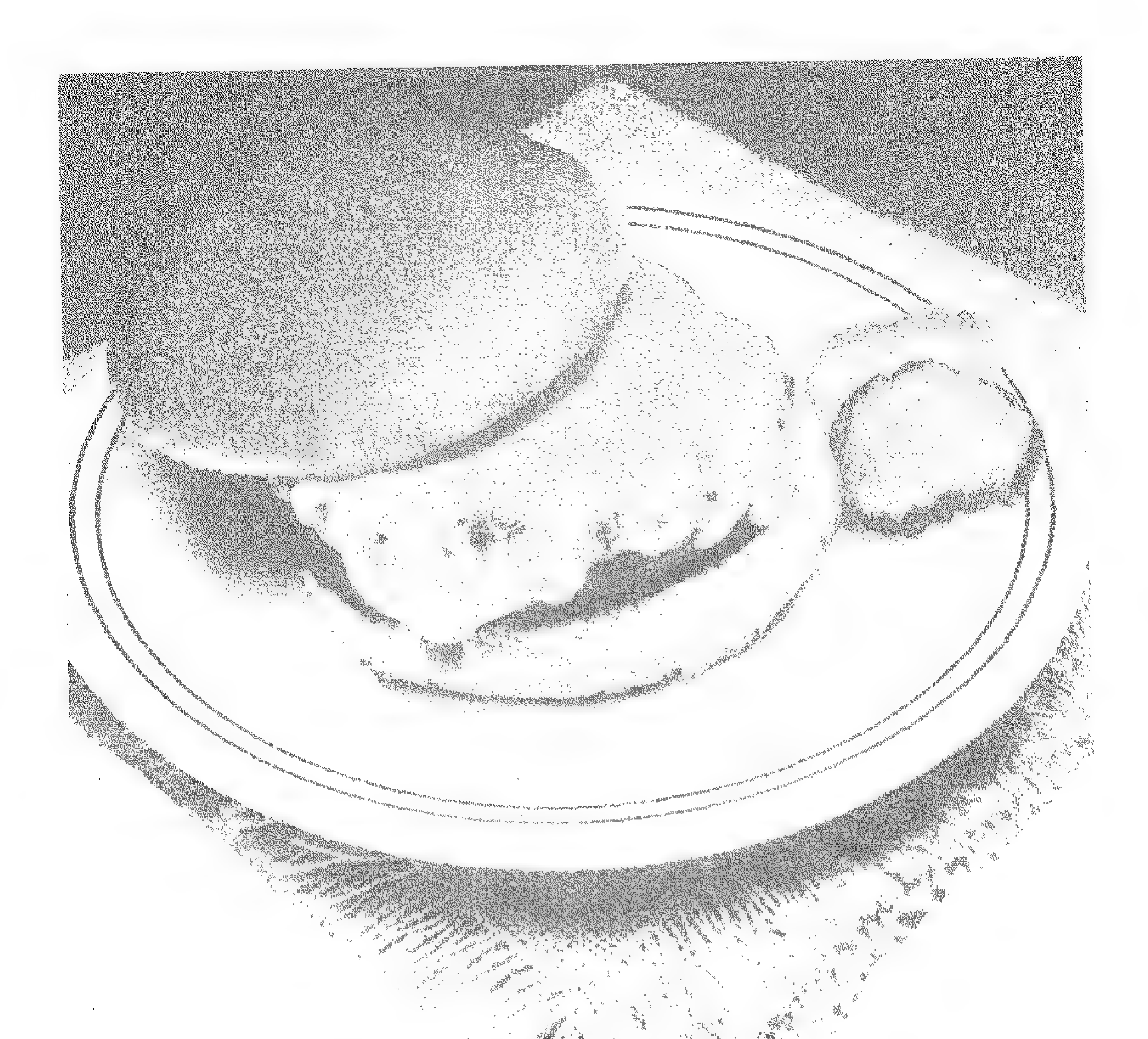
حتى الآن أمضيت ربع قرن في استقصاء الشطيرة التي تزن مئة غرام. وقادني بحثي من باريس الى خليج كام ران في الهند الصينية مع التوقف في أماكن مختلفة كنت أعرّج عليها. وقد أدى هذا التجوال الى رفع وزني من ٨٤ الى ٨٦ كيلوغراماً.

هاك بضع كلمات عن مواصفات شطائر الجبن: يجب ان تخبز في فرن يبعث أزيزاً وليس في فرن يطهو بالحرارة الاشعاعية. كما أن جو تناولها ينبغي أن يكون الجو المناسب تماماً. فالشطيرة الجيدة قد تفسدها الموسيقى الهادئة والشموع الموقدة وغطاء المائدة النظيف والنادل الأنيق الملبس.

ينبغي أن تكون الشطيرة شطيرة فحسب، أي شطيرة فيها قطعة لحم فوقها رقائق مربعة من الجبن. ويفضل أن تكون هذه سائلة قليلا حتى تصبح زواياها هشة على النار. ويجب تحميص الخبزة وربما طليها قليلا بالزبدة. وهذا كل ما في الامر.

لو كنت أرغب في تناول شطيرة من الكتشاب غارقة في الصلصة الحمراء أو تلك الشطيرة الشهية ذات الطعم السكري، لطلبتها على هذا النحو. غير أننا في هذه الايام نستنزف ارادتنا بفعل مرض خبيث متفش يدعى "هوس التوابل". واذا لم تحدد

(★) Cheeseburger



ما تريد، فسوف تجد كل هذه الاشياء تسربت الى شطيرتك. انها أيضاً خطيئة المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، كذلك خطيئة عامة الشعب الذين يتظاهرون صاخبين ضد الحروب والشؤون السياسية ولا يخرجون الى الشوارع احتجاجاً على طريقة اعداد شيء خطير كشطيرة الجبن.

ثمة خطر آخر داهم يطل على الساحل الغربي للولايات المتحدة الامريكية. انه ذلك "المايونيز" المقرف على الشطيرة الذي يكشف حقيقة الامور الغريبة التي تحدث في ولاية كاليفورنيا. وقد أخذ هذا ينتشر كالوباء وتجاوز نهر ميسوري الذي كان يعتبر سداً مانعاً، واستشرى الى أن بلغ ذلك المقهى في مدينة فوستر في ولاية وسكونسن.

وقالت نادلة المقهى: "ان شطيرة فوستر هي في الواقع شطيرة كاليفورنيا، فيها الجبن والخردل والبندورة والمخللات والبصل والمايونيز." وهي ذهلت حين علمت أن أحداً من الناس قد يعترض على هذا.

وثمة مطبخ متنقل كان في الواقع عربة قطار في هاملتون في ولاية مونتانا، وهو يعد" شطائر كبيرة دعيت "شطائر المقطورة"· انها والحمد لله خالية من التوابل، ومن نعمة الله كذلك أنها تقدم والى جانبها قطعة من الجبن والفطر المقلي"· تلك الشطيرة حازت الدرجة التاسعة في سلم تقديري ذات الدرجات العشر (اذا وجدت شطيرة تستحق الدرجة العاشرة، فسوف تتحول سلم التقدير هذه الى ١١ درجة)·

على ضفاف ميسوري في تشامبرلاين من ولاية داكوتا الجنوبية يتكرم مطعم "كايسي"، وهو مجمع يضم مقهى ومقصفاً وصيدلية ومعرض حلى، فيعد" لك شطيرة جبن مخمرة وفق المواصفات التي تطلبها، حتى وان طلبت فيها لحم الجاموس المفروم· شطائر الجاموس لذيذة وطعمها يشبه طعم شطائر لحم البقر انما هو اكثر جفافاً· ويمكن تتويجها بقليل من القشدة المنزلية·

ويحافظ مطعم "جاك" في مدينة تروي في ولاية مونتانا على الحساء الملازم للشطيرة· ثمة علاقة مباشرة بين نوعية الحساء المنزلي الذي يقدمه المطعم وشطائر الجبن، انه يقدم حساء جيداً وشطيرة جيدة وحساء معلباً ولحماً مصنعاً·

ويؤسفني أن أعلن أن كوخ الشطائر في مركز سوك في ولاية مينيسوتا يقدم شطائر الجبن كلها مع التوابل· ولكن على مسافة قصيرة من ذلك المكان سمح لي الشبان المتطوعون في فريق الاطفاء بالمشاركة في وليمة لحم مشوي ظهرت فيها شطائر الجبن كبيرة ولذيذة· كل ما كان علي أن افعله هو أن أروي بعض القصص المضحكة وآكل وأنا صامد في مكاني·

ولقد منحت الدرجة التاسعة والنصف مطعم "هاكني" على بحيرة زوريخ في ولاية أيلينوي، اذ لم يخالط المايونيز شطائره، وكانت هذه عبارة عن ٢٣٠ غراماً من لحم البقر المحمر المكسو بالجبن السويسري أو الامريكي فوق خبز الشوفان الأسمر، وبجانبها رقائق البطاطا المقلية وحلقات البصل المشوي· وقد أكدت لزوجتي أن ليس ثمة علاقة بين موقع مطعم "هاكني" وشرائنا بيتاً على مسافة قصيرة من المكان·

■ آندرو مالكوم

❦❦❦❦❦

### الضيف الشره

دعت طالبة جامعية زميلا الى بيت ذويها لتذوق وقعة عشاء من اعدادها· وسكبت له الصحن الثالث فيما أفراد عائلتها ينظرون اليه مستنكرين شراهته· ولدى سكب الصحن الرابع لاحظ الضيف شوكة الحلوى الصغيرة الى جانب الصحن، فسأل مضيفته: "ولم هذه؟"·

فأجابته دونما تردد: "انها شوكة اضافية تستخدمها اذا كُسرت الاولى·"

ب·ر·

حيّر الايمان الشاب المشكك
فوجده اخيراً حيث لم
يتوقع... في قلبه

# «أخبر العالمَ عنّيْ!»

وقفت قبل اربعة عشر عاماً اتأمل طلابي الجامعيين وهم يدخلون الصف لتلقي المحاضرة الافتتاحية في علم اللاهوت، ذلك اليوم رأيت تومي للمرة الاولى، كان يمشط شعره الأشقر الذي انسدل خمسة عشر سنتيمتراً فوق كتفيه. اعلم ان ما يهم هو العقل وليس شعر الرأس، لكني آنذاك لم أتقبل تومي ولم اعره أهمية واعتبرته غريب الأطوار.

تبينَ لي في ما بعد ان تومي هو الملحد في الصف. كان دائماً يعارض فكرة وجود إله يحب من غير شروط. وأمضينا معاً فترة سلام لمدة فصل واحد، مع انه كان يسبب ازعاجاً في بعض الاحيان. وفي نهاية الحلقة الدراسية سألني بلهجة ساخرة وهو يناولني ورقة الامتحان النهائي: "هل تعتقد اني سأجد الله في يوم من الأيام؟"

قررت ان يكون جوابي بمثابة صدمة شافية له، فقلت مؤكداً: "لا!"

قال: "أوه، ظننت ان هذه هي السلعة التي تروج لها."

ناديته بعدما مشى خمس خطوات من الباب: "تومي! أنا لا اعتقد انك ستجد الله في يوم من الأيام، لكني متأكد انه سيجدك!"

هز توم كتفيه غير مكترث وغادر



Condensed from «Unconditional Love,» copyright © 1978 by Argus Communications, published by Argus Communications, a division of DLM Inc., Allen, Texas

المكان. وشعرت ببعض امتعاض لأنه لم يفهم جوابي الذكي.

سمعت في ما بعد ان توم تخرج فسررت كثيراً. ثم جاءتني اخبار سيئة: تومي مصاب بسرطان لا شفاء منه. وقبل ان أبحث عنه جاء هو الي.

عندما دخل مكتبي كان جسمه هزيلا وقد تساقط شعره الطويل بفعل المعالجة الكيميائية. لكن عينيه كانتا تلمعان وكان صوته حازماً كما لم اعرفه من قبل. قلت له بسرعة: "لقد خطرت في بالي كثيراً يا تومي، وسمعت انك مريض."

ـ آه، نعم. مريض جداً. أنا مصاب بالسرطان، ولم يبق لي سوى بضعة اسابيع.

"هل تريد التحدث في الأمر؟"

ـ بكل تأكيد. ماذا تريد ان تعرف؟

"ما هو شعورك وأنت مشرف على الموت في السن الرابعة والعشرين؟"

ـ قد يكون هناك ما هو اسوأ.

"مثل ماذا؟"

قال توم: "كأن تبلغ الخمسين من العمر ولا تملك اي مبادىء او قيم. كأن تبلغ الخمسين وأنت تظن ان اهم ما في الحياة هو التسلية او اغراء النساء او جمع المال.

"لكن الذي جعلني أرغب في رؤيتك هو ما قلته لي ذلك اليوم الدراسي الأخير. سألتك حينذاك هل سأجد الله يوماً، وأجبتني بلا! وهذا ما فاجأني. ثم قلت لي: لكن الله سيجدك. لقد فكرت في ذلك كثيراً مع ان بحثي عن الله لم يكن قوياً في ذلك الوقت. (لقد فكر كثيراً في عبارتي الذكية!)

"ولكن عندما أخرج الأطباء كتلة من فخذي واخبروني ان الورم خبيث، انطلقت جاداً أبحث عن الله. وعندما انتشر الورم في اعضاء جسمي بدأت حقاً طرق ابواب الجنة. لكن شيئاً لم يحدث. ثم جاء اليوم الذي رأيت الأمور بوضوح وتوقفت عن الاستغاثة بالرب الذي قد يكون موجوداً وقد لا يكون، قدرت اني لست مهتماً بالله او بحياة اخرى او بأي شيء من هذا القبيل.

"قررت ان أمضي ما تبقى لي من الوقت في تنفيذ اشياء أكثر افادة. فكرت فيك وفي شيء آخر قلته مرة: ان التعاسة الحقيقية هي ان تعيش من غير ان تحب او ان تترك هذه الدنيا من غير ان تقول للذين احببتهم انك تحبهم. ثم بدأت بأصعب الناس، بوالدي.

"كان يقرأ الصحيفة عندما اقتربت منه وقلت له: أود التكلم اليك يا ابي."

ـ حسناً، تكلم.

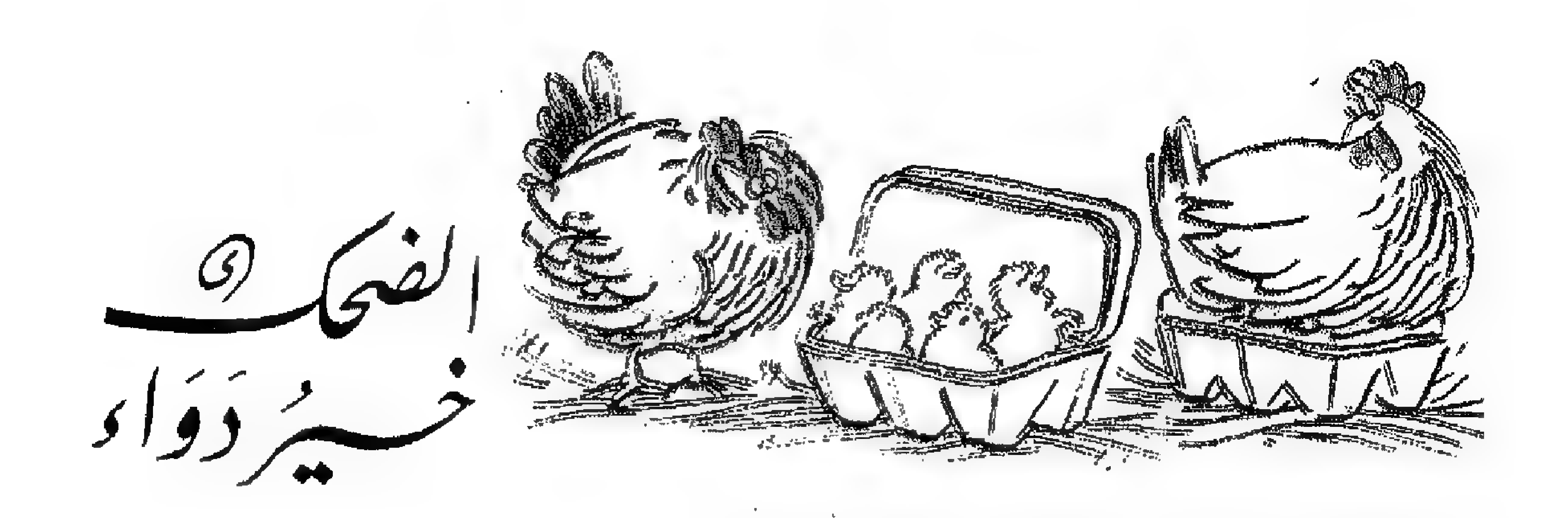
"اعني ان الأمر مهم."

"انزل والدي الصحيفة ثمانية سنتيمترات قائلا: ما الأمر؟

"أنا أحبك يا أبي. أردتك فقط ان تعرف هذا."

ابتسم لي توم وتابع برضا ظاهر كأنه يشعر بفرحة دافئة تسري داخله: "سقطت الصحيفة على الأرض، ثم بكى والدي وعانقني. وهذان امران لا أذكر حصولهما من قبل. وتكلمنا طوال الليل مع ان والدي كان سيذهب الى العمل في اليوم التالي.

"وكان الأمر اسهل مع أمي وأخي الصغير. بكيا معي هما ايضا وتعانقنا وتقاسمنا الأشياء التي ابقيناها سرية




## للضرورة احكام

قال الموظف لرب العمل: "اتسمح لي بأن اغادر المكتب باكراً هذا اليوم؟ ان زوجتي تود ان ارافقها الى بعض المحلات."

ـ آسف، فهذا غير ممكن!

"شكراً لك. لقد كنت ادري أنك لن تخذلني."

صحيفة "نيبلسبالتر"، سويسرا

## زمالة النيابة

كان نائبان في طريقهما الى حضور جلسة، فقال احدهما عن زميل في المجلس النيابي: "ما الذي قاله امس في خطابه حول الضرائب؟"

ـ لا شيء.

"اعرف ذلك، ولكن كيف عبر عن رأيه؟"

ن.س.

## قدم الزحافة الصغيرة

رجعت زحافة صغيرة من ذوات المئة قدم الى بيتها باكية وهي تقول: "لقد داس احد قدمي".

وهدّأت امها من روعها قائلة: "لا عليك يا صغيرتي. اي قدم تقصدين؟"

ـ لا ادري يا امي، فأنا لا اعد الا للعشرة.

س.م.هـ.

## الآلة الرائعة

سأل فتى جده: "هل انت سعيد يا جدي بآلة السمع الجديدة؟"

ـ انها رائعة. لقد جعلتني أبدّل وصيتي مرتين حتى الآن.

د.ف.

## تحب بالدزينة

الزبونة: "الديكم تلك البطاقات التي تقول: "الى حبيبي الوحيد؟"

البائع: "نعم يا آنستي".

الزبونة: "اذاً اعطني منها اثنتي عشرة بطاقة".

ل.م.

## طفل "يحب" امه

راح طفل يعانق امه ويقبلها، ثم يكرر هذا الأمر. ولما سألته لماذا يفعل ذاك، اجاب: "آمل ان استمد الرشح منك، فلا اذهب الى المدرسة."

ن.هـ.

## الغيرة والحاجة

سألت الأم ولدها: "كيف تجد اخاك الصغير؟"

فأجاب: "اذا شئت ان تعرفي رأيي حقاً، فهناك اشياء كنا نحتاج اليها اكثر في هذا البيت".

ن.ا.ف.



قصة قصيرة

# دُفِنَتْ حَيّة!

سمعت البنت الصغيرة أصوات الاستغاثة
وأدركت ان هناك امرأة مدفونة
لا تزال على قيد الحياة



اسمي مارغريت ليري وعمري عشرة أعوام. أنا وحيدة لا اخوة لي ولا أخوات. لدي اب وام محبان، غير انهما لا يعيرانني كثيراً من الاهتمام وعلى كل حال لم يخطر في بالنا قط ان تكون لنا علاقة بامرأة مقتولة. سوف اخبركم كيف حدث ذلك.

انه يوم سبت من أيام يوليو (تموز). الطقس حار وقد أرسلتني امي الى الدكان لاشتري قرن جيلاتي (آيس كريم). وفي درب عودتي مررت بقطعة الارض المهجورة خلف بيتنا غير مكترثة لما حولي. وفجأة سمعت امرأة تصرخ. توقفت وانصت. الصوت ينبعث من جوف الارض. انها امرأة مدفونة تحت الحجار والقذارة والزجاج، وهي تصرخ بضراعة منادية شخصاً ما يخرجها من مكانها.

هرعت الى البيت فوجدت أمي هادئة لا تعلم ما أعلم: ثمة امرأة على قيد الحياة مدفونة على بعد مئة متر، وهي تصرخ يائسة.

قلت: "أمي، هناك امرأة تصرخ، وهي مدفونة في..."

فقاطعتني: "لا تقفي هكذا وأنت تحملين الجيلاتي."

ـ لكن يا أمي، يجب ان نحفر ونخرجها وإلا فانها ستموت.

"أنا متأكدة ان في امكانها الانتظار الى ما بعد الغداء."

ـ امي، ألا تصدقينني؟

"طبعاً يا عزيزتي. والآن خذي هذا الصحن الى والدك. هيا، هيا، تحركي."

مضيت الى غرفة الطعام.

ـ مرحباً أبي، هناك امرأة تصرخ في الارض المهجورة.

"لم أسمع قط بامرأة لا تفعل ذلك."

ـ أنا جادة. علينا أن نحضر المعاول والمجارف ونحفر.

"أنا لست عالم آثار يا مارغريت."

كاد قلبي أن ينفطر. ها هو أبي يضع اللحم في صحنه، يقطعه ويمضغه ولا يلتفت إلي.

ـ أبي، يجب ان تساعدني. سأعطيك كل ما ادخرته من مال في الحصالة.

"مارغريت. بعد الانتهاء من طعام الغداء سأخرج وأستمع الى صراخ امرأتك مجاناً. ولكن ينبغي أن تأكلي أولاً."

**أغنية عاشقين** ـ امتدت وقعة الغداء مليون سنة! الجميع يتحرك ببطء. أردت ان أصرخ: أسرعوا، أرجوكم، انهضوا، اركضوا، اخرجوا، انطلقوا. لكن لا، علي أن أجلس حيث أنا، وها نحن جالسون نتناول طعامنا على مهل بينما تقبع المرأة هناك في الخربة المهجورة وحيدة والعالم ما زال يأكل.

قال أبي حين فرغ أخيراً: "ها قد انتهينا."

فناشدته متوسلة: "والآن، هل ستخرج لترى المرأة التي تصرخ؟"

ـ قبل ذلك سأشرب القهوة.

قالت أمي: "على ذكر صراخ تلك المرأة، لقد تشاجر تشارلي نسبيت وزوجته مرة أخرى الليلة الماضية."

ـ ليس هذا جديداً، فهما يتشاجران دائماً.

"لو سألتني عن رأيي لقلت ان تشارلي سيىء الطبع، وهيلين كذلك."

ـ أنا أراها لطيفة.

"انك متحيز لها. فانت كنت على وشك الزواج بها."

ـ هل ستثيرين ذلك الموضوع ثانية؟ دامت خطبتنا ستة أسابيع فقط. كانت حساسة جداً.

"وانظر ما جر ذلك عليها، لقد تزوجت رجلا كالوحش." قلت متوسلة: "أبي!"

ـ أوافقك في ذلك. تشارلي طبعه رهيب. هل تذكرين دور هيلين في المسرحية التي أقامتها مدرستنا؟ كانت حلوة كفتيات المجلات. وهي كتبت أغاني تلك المسرحية، كما نظمت قصيدة لي ذلك الصيف...

"لم تخبرني ذلك."

ـ انه شأن خاص بيني وبين هيلين. فلأتذكر... ما هي كلمات الأغنية؟

"من الافضل أن ترافق ابنتك الى الارض المهجورة قبل أن تنهار. ستنشد لي تلك الأغنية في ما بعد."

ـ حسناً، تعالي يا ابنتي.

**ظل غاضب** ـ مشيت مع أبي الى حيث الخربة. البقعة المهجورة ما زالت مهجورة، والزجاج يتلألأ ألواناً خضراء وبيضاء.

قلت: "أنصت!"

أرهفنا السمع "سمعنا" الشمس في وسط السماء.

سمعنا الريح تتغلغل في الاشجار. هدوء عجيب. صوت حافلة بعيدة. هدير سيارة عابرة. لم نسمع شيئاً آخر.

قال أبي: "مارغريت، أقترح أن تنامي وتضعي خرقة مبللة على جبينك."

صرخت: "لكنها كانت هنا. أنا سمعتها تصرخ وتصرخ وتصرخ. أترى؟ هنا حيث حفرت الارض."

وناديت الارض باضطراب: "أنت يا من ترقدين تحت التراب أجيبي."

قال أبي: "مارغريت. هذا المكان حفره السيد كيلي ليطمر النفايات."

عاد أبي الى البيت وسمعت صفق الباب الخلفي. دست الارض بقوة: "عليكم اللعنة!"

وعاد الصراخ مجدداً. جريت عائدة الى البيت وأغلقت الباب بقوة: "أبي، انها تصرخ!"

ـ اكيد...اكيد...؟

ثم ركضت الى المرأب وأحضرت مجرفتين وأسرعت الى الخربة المهجورة. بدأت الحفر، وطوال فترة حفري كان صراخ تلك المرأة يعلو.

بعد عشر دقائق مر بي ديبي سميث وهو من أترابي في المدرسة.

ـ مرحباً يا مارغريت، ماذا تفعلين؟

"اني أنبش السيدة التي تصرخ."

ـ لا أسمع أي صراخ.

"انتظر وستسمع. ساعدني في الحفر."

ـ اني لا أحفر حتى أسمع صراخاً.

انتظرنا معاً. فانبعثت صرخة من باطن الارض.

صاح ديبي: "ياه! هل تضعين تلك الصفارة في فمك؟"

قلت: "نـ...نعم." وكنت أكـذب، فقد أردت منه أن يساعدني: "ان ساعدتنـي فـي الحـفـر أعطيـتـك الصفارة."

ـ عظيم، أعطني رفشاً.

ومضينا نحفر وقلت في سري: "سننقذها." "سنفعل ذلك."؟

ـ لقد تعبت، وسأذهب الى البيت.

"لا تفعل ذلك، فلدي ما أخبرك اياه. هناك حقاً امرأة مطمورة هنا."

ـ لاشك في ذلك، لا شك.

وعاودت المرأة الصراخ. قال ديبي: "ثمة امرأة هنا فعلا! لنحفر. ترى هل ستكافئنا ان أخرجناها من الحفرة؟"

ـ طبعاً.

ثم شعرنا بظل يغمرنا. إنه السيد كيلي صاحب قطعة الارض.

"أنتما! ماذا تظنان أنكما تفعلان؟ أعيدا ردم تلك الحفرة."

أخذ قلبي يخفق بقوة: "لكن يا سيد كيلي، هناك امرأة تصرخ."

ـ الأمر لا يعنيني.

صحت: "اسمع." الصراخ!

أصغى السيد كيلي وهز رأسه: "لا أسمع شيئاً، انصرفا الآن، اردما الحفرة وعودا الى البيت قبل ان أطردكما."

التفتُ الى ديبي وهمست: "انه الفاعل، لقد دفن السيدة كيلي هنا. علينا ان نطلب الشرطة."

جرينا الى دكان مجاور لديه هاتف.

**بنت صغيرة** ـ قرع الشرطي باب منزل السيد كيلي بعد خمس دقائق، واختبأت أنا وديبي في الشجيرات القريبة وأصغينا.

سأله الشرطي: "أنت السيد كيلي؟"

ـ أجل يا سيدي، ماذا تريد؟

"هل السيدة كيلي في الداخل؟"

ـ نعم يا سيدي. يا أنا!"

وجاءت السيدة كيلي الى الباب.

قال الشرطي معتذراً: "عفواً. بلغنا أنك يا سيدة كيلي مدفونة في خربة مهجورة."

صاح السيد كيلي غاضباً: "انهم أولئك الاولاد الاشقياء. ان وقعوا في يدي سأحطمهم ضلعاً ضلعاً."

وأسرعنـا نركـض سويـة. سألـت ديبي: "ما العمل الآن؟"

ـ لن نجرؤ على الاقتراب من تلك الخربة مـرة أخـرى، فذلـك العجـوز سيكون في انتظارنا حاملا الموسـى. وللمناسبة، تذكرت أمراً. أليس السيد كيلي خفيف السمع؟

"آه، لا عـجـب أنـه لـم يسمـع الصرخات."

قال ديبي مودعاً: "الى اللقاء."

بقيت وحدي. لا أحد يساعدني ولا أحد يصدقني. تمنيت لو أزحف الى الحفرة وأبقى بجانب المرأة حتى أموت.

لكن بقي أمر أخير أفعله. أخذت أتنقل من بيت الى بيت على امتداد الشارع. قرعت كل جرس، وكلما فتح باب كنت أقول: "مرحبا يا سيدتي، تبدين بخير اليوم." وأتحدث معها دقيقـة بلياقـة ثـم أودعهـا لأتابـع مهمتي.

كدت أيأس عندما قرعت الباب الأخير، وهو باب تشارلي نسبيت. وبدلا من ان تفتح لي السيدة نسبيت، أو هيلين كما يحلو لأبي أن يسميها،

جاء السيد نسبيت، تشارلي بنفسه٠

ـ أهلا يا مارغريت٠ ماذا تريدين؟

"أود أن أقابل زوجتك٠"

ـ لقد ذهبت الى الدكان٠

"سأنتظرها٠"

ـ اسمعي يا ابنتي٠ زوجتي لن تعود٠ أقصد انها لن تعود اليوم٠ فهي ستذهب بعد الدكان الى زيارة أمها لبضعة أيام٠

"خسارة، أردت أن أخبرها أن هناك امرأة تصرخ وهي مدفونة في الخربة المهجورة٠"

ـ آ٠٠٠حسناً، سأخبرها بنفسي عندما تعود الى البيت٠ وستسر لسماع ذلك٠

"شكراً٠ المرأة المدفونة ما زالت حية٠"

ـ كيف عرفت ذلك؟

"لقد سمعتها٠"

ـ للمناسبة يا ابنتي، هل أخبرت أحداً بهذا الامر؟

"طبعاً، أخبرت أناساً كثيرين٠"

ـ وهل سيفعل أي منهم شيئاً؟

"لا، فهم لا يصدقونني٠"

ـ بالتأكيد، هذا أمر طبيعي، فانت لست سوى بنت صغيرة، لم يستمعون إليك؟

"يجب أن أذهب لقد تأخرت٠"

"آه كم أحببتك!" ـ عدت الى الخربة ووقفت هناك٠ لقد توقف الصراخ٠ انحنيت وألصقت أذني بالارض٠

ثم سمعت الصوت آتياً من الباطن، ضعيفاً يكاد لا يُسمع٠ المرأة لا تصرخ٠ انها تغني٠ تقول: "لقد أحببتك، آه كم أحببتك٠" وتابعت الغناء من غير صراخ٠ استدرت ومشيت الى البيت وفتحت الباب الأمامي٠

قلت: "أبتاه، المرأة لم تعد تصرخ، إنها تغني٠"

ـ أنت تكذبين٠

"أبي٠ انها هناك وقد تموت قريباً إن لم تصغ الي٠ انها هناك وهي تغني: لقد أحببتك، آه كم أحببتك٠"

امتقع لون أبي وصاح: "أين سمعت تلك الاغنية؟"

"في الخربة المهجورة قبل لحظات٠"

ـ لكنها اغنية هيلين،الاغنية التي نظمتها لي قبل سنين٠ لا يمكن أن تعرفيها، فلا أحد يعرفها سوانا، أنا وهيلين٠ يا الهي!

أسرع الى الباب٠ ثم رأيته في الخربة المهجورة يحفر ومن حوله اشخاص كثيرون يحفرون٠

شعرت بغبطة وانتابتني رغبة في البكاء٠ بعد ساعة اتصلت بصديقي ديبي، وعندما أجابني بادرته: "مرحباً يا ديبي، الأمور تسير حسناً٠ المرأة لم تعد تصرخ٠"

ـ عظيم!

"سأوافيك الى الخربة خلال دقيقتين ومعي رفش٠"

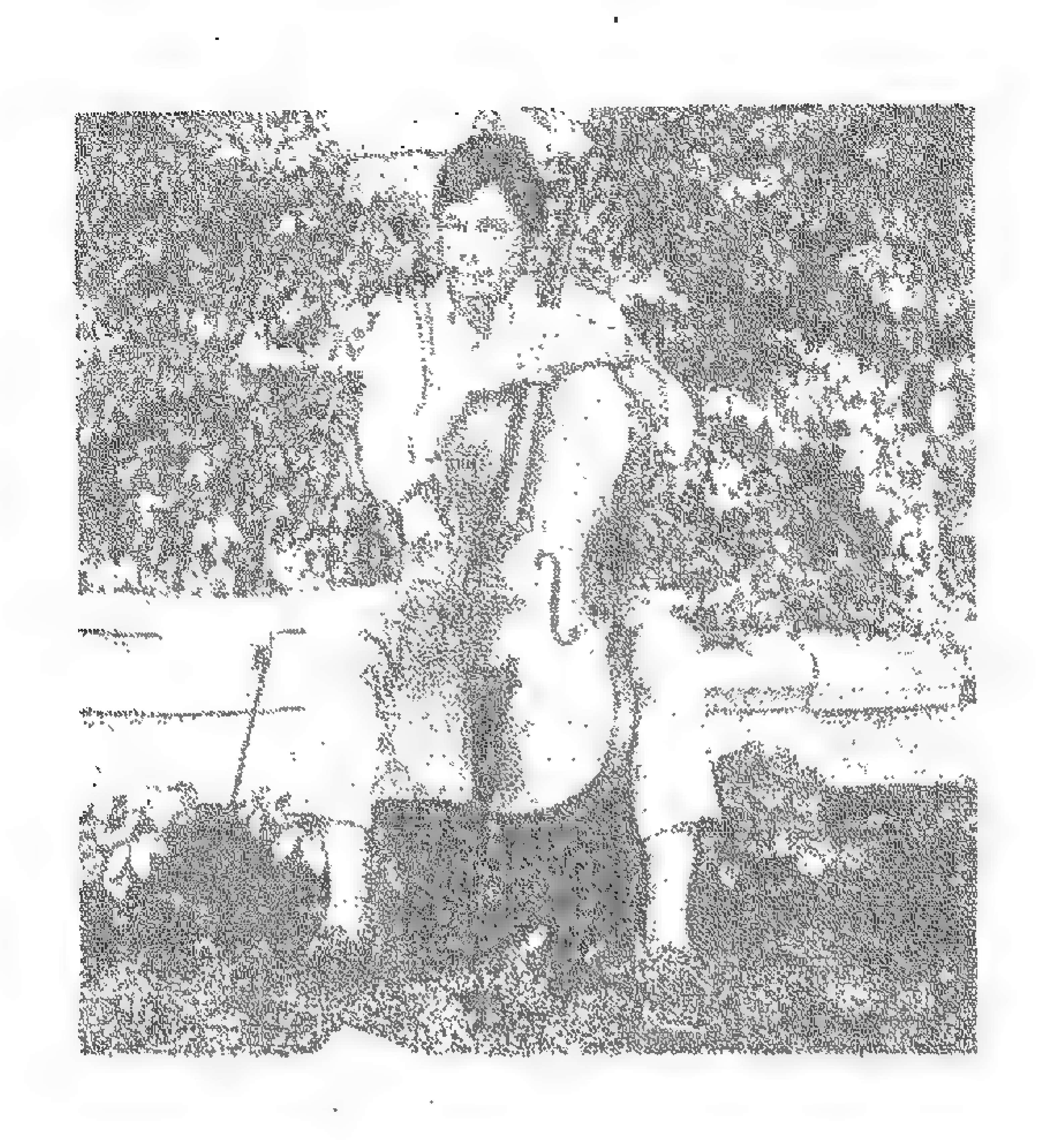
ـ ومن يصل أخيراً يكن قرداً٠ الى اللقاء٠

■ راي برادبوري

*****

لا توجد مفروشات أكثر كلفة من أثاث مكتب حكومي٠ ابغ٠

## تعاودني احياناً ذكرى من زمن الطفولة عندما كان لا يزال في وسعنا ان نتغير






وقبل ست سنوات، وكنت في الخامسة والثلاثين من عمري، تملكني ولع من النوع العاطفي الطاغي ما زلت منذ ذلك الحين أقارنه بمشهد مثير رأيته في فيلم "العرّاب"· بيد أن ما أجج مشاعري اذ ذاك لم يكن عذراء صقلية، بل آلة موسيقية من نوع الكمان تدعى الفيولونسيل أو التشيلو·

استأجرت للحال آلة مصنوعة من الخشب المعاكس الثقيل ووقفت أمام ونديل مارغريف أستاذ الموسيقى· وكان ذلك في فصل الشتاء·

قلت لمارغريف اني كنت طوال حياتي معجباً عن بعد بالآلات الموسيقية التي عزف عليها كازالس وبياتيغورسكي وروستروبوفيتش· والآن، بعد ذلك الزمن الطويل، عزمت

أن أتعرف اليها رسمياً، وقررت أن يكون حبي للتشيلو حباً لا هوادة فيه. وكنت أدرك أني لن أصبح أبداً عازفاً مجيداً.

قال مارغريف بلهجة مبهمة: "يمكنك ان تجيد بمقدار ما تريد." وأخذ قصاصة ورق رسم عليها السلم الموسيقية ووضع اشارة النغمتين الخامسة والسادسة ثم علمني أين يجب أن أضع أصابعي فوق عنق الآلة وكيف أحرك القوس. بعد ذلك سجل اسمي في دفتره: الساعة العاشرة صباحاً، الثلثاء." وتلاحقت أيام الثلثاء وجاء فصل الربيع.

**التشبث بالأوهام** — هكذا بدأت رحلتي التي أخرجتني من الجهل وادخلتني عالم الاحلام. هل بيننا من لم تكن له تجربة مع مثل هذا الحلم؟ من منا لم يلتقط غيتاراً لصديق ويحس بالاغاني المكبوتة تختلج داخله؟ من منا لم يتساءل هل في وسعه ان يعزف لحن "ضوء القمر" او على الاقل مطلعه السهل؟

نحن تأخذنا الثقة بالنفس بما عندنا. ولكن ماذا يحدث اذا حاولنا أن يكون لنا ما هو فوق ذلك؟ اذا تشبثنا بأوهامنا وجذبناها الينا؟ اذا زلت بنا القدم يوماً بعد خمس سنوات وسقطنا على كرسي بيانو في أثناء حفلة ساهرة وبدأنا نعزف من دون مقدمات لحناً شعبياً، ثم رأينا صديقاً قديماً يقترب منا فاغراً فاه وهو يقول مأخوذاً: "عجباً، لم أكن أعرف أنك تجيد العزف على البيانو." هذا يمكن أن يحدث لي من غير توقع بفعل حلم بسيط راودني ففتحت باباً له بيدي.

من المدهش أن يقف المرء أمام معلم بعد انقضاء أيام صباه. أخذنا نعزف النغمات معاً: رابعة، خامسة، خامسة، رابعة، ثم انتقلنا الى النغمة السادسة. واستمتعت بوقت سعيد، واذا بي أكبر من جديد ولم أعد محبوساً في ما أنا فيه.

لا ريب في أن أبشع ما في الحياة الاقرار أننا ببلوغنا منتصف العمر نتجاوز قدرتنا على التغير. قد نغير طريقة تحضير السلطة أو نغير ما في حوزتنا من أسهم مالية وسواها، لكننا لا نتغير نحن أنفسنا. اننا نكتفي بعمل ما نستطيع أن نعمله. والعزف على التشيلو كان شيئاً أثبت أني لا أقوى عليه، ومع ذلك دأبت كل يوم ثلثاء على ألا اعمل أقل مما فعلت من قبل.

لم يكن أحد يراقبني، وهذا كان حسناً. ففي غرفة في الطبقة العليا من منزلي في المدينة، وسط هدأة منتصف الليل، كنت أطلق من النافذة المفتوحة أجزاء مضطربة من "قواعد العزف على التشيلو" التي ألفها ألوين شرويدر، فتختلط بنواء القطط. وكنت أسمع وقع خطوات مارة غير منظورين يتوقفون متعجبين ثم يستأنفون السير بسرعة. أما في الصيف فكنت أعزف مرتدياً سراويل قصيرة وقد غطاني غبار الصنوبر، ثم أنصرف والعرق يتصبب من ذقني فيبلل صفحة التشيلو.

**وقت التجلي** — بعد سنة انضممت الى فرقة صغيرة تعزف أيام الآحاد في

المدرسة المحلية. وكان بعض عازفي الكمان صغاراً يجيدون العزف وبطريقة ما لا ينشزون أبداً عن اللحن. أما الآخرون الاكبر سناً فكانوا يسيئون العزف وينشزون عن اللحن، بيد انهم كانوا يعزفون بمتعة وحماسة فيعوضون الجودة بالكمية ووجوههم تطفح بالاشراق كأنها منائر مشعة. أما أنا فكنت أنتظر جانباً في مقعدي حتى يأتي دور النغمتين الخامسة والسادسة أياً يكن اللحن الذي نتدرب عليه. وحينئذ أقفز مندفعاً ومتشفياً ثم لا ألبث أن أنكفىء حتى تتاح لي الفرصة ثانية.

كانت حفلاتنا الموسيقية يحضرها الاقرباء فقط، وهؤلاء يدخلون القاعة كأنهم بحارة مرغمون على الحضور لمشاهدة انزال عقوبة برجل يحبونه، في هذه الحالة تكون الضحية موزار. ولا تزال تحرق أذني فاتحة معزوفة "الناي السحري" التي تعالت نبرتها تدريجاً ثم ارتفعت لفترة وجيزة لتهبط خارج مسارها وتتبدّد قطعاً متناثرة مشتعلة مثل طائرة هوت الى الارض.

في السنة الثالثة من دراستي اشترت لي زوجتي تشيلو ذات رنين عجيب. فضاعفت جهودي في التمرين، لكن عزمي ظل جامداً ومرهقاً. كلما سنحت لي دعوة الى العزف مع آخرين كنت دائماً أقلهم طلاقة في لغة الموسيقى المكتوبة وأول من يزوغ نظره عن متابعة النص. وكان يقال لي: "يبدو أنك لم تتمرّن منذ مدة، أليس كذلك؟".

فأجيب: "كلا، لقد بدأت دراسة الموسيقى منذ سنتين فقط." وانكشف للناس أنني كنت عازفاً خائباً. وبدا أن حجمي تضخم في نظرهم الى حد يفوق واقعي كثيراً.

وأخيراً أزف وقت التجلي وجاء في شقين:

الشق الاول: كنت في حافلة في طريقي الى بيتي ذات ليلة مثلجة وأنا أحدق الى خماسية من الطبقة الثالثة الكبرى لموزار. شعرت أن الصفحة تتفجر موسيقى بين يدي. أمكنني حينذاك على نحو ما أن أقرأ الموسيقى، وأخذت أدندن لحن التشيلو. وفجأة أزهرت الاجزاء الخمسة كلها نغماً متناسقاً في رأسي. حدّق الي الرجل الذي كان يجلس قبالتي فواجهت نظرته بمقلتين دامعتين وأنا أسمع الموسيقى تصدح في رأسي للمرة الاولى. أتراه يسمعها هو ايضا؟ كلا، فقد نهض عن مقعده ونزل من الحافلة في الموقف التالي.

الشق الثاني: ذات ليلة، بعد العناء الشديد الناجم عن عزفي "الليلة السعيدة" من "قصص هوفمان" أويت الى فراشي. كنت أدرك أن النغمات والايقاعات التي عزفتها لم تكن من "الليلة السعيدة" قط، بل كانت شيئاً مقيتاً ينبعث مني ويشبه اللحن، لكنه ليس اللحن عينه في أي حال. غفوت وموسيقى أوفنباخ تنساب في ذهني صحيحة لا غبار عليها، لكنها الموسيقى التي لم تبلغ أناملي قط. نهضت مع انبلاج الفجر وعدت مترنحاً الى تلك الغرفة والتقطت التشيلو. عزفت اللحن عزفاً جميلا، وأعدت عزفه بلهفة. كنت حتى ذلك الوقت

أحاول أن اعزف بعضلاتي ودماغي وعيني، لكني في ذلك الفجر عزفت الموسيقى الحقة للمرة الاولى.

**الليلة الموعودة** – انقضت السنوات وبلغت ابنتي سن المراهقة وأضحت عازفة ماهرة على البيانو. كانت أمنيتي أن يتسنى لي ذات يوم أن اعزف الموسيقى معها. كما كنت أصبو الى العزف أمام جمهور وأمام أندادي، وأن يحسدني الآخرون في قرارة نفوسهم.

وتحققت الامنيتان في اليوم نفسه. فبعد ظهر ذات أحد في السنة الخامسة من عشرتي التشيلو، داخل كنيسة في مدينة آنابوليس (ولاية ماريلاند)، كنت العازف الوحيد الراشد في مجموعة من المرتلين الصغار تراوح أعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة. سمعت ابنتي تقول: "سأرافق الآن أبي في عزف لحن يوهان سيبستيان باخ على الطبقة السابعة الكبرى." وعزفنا معاً، وجعلنا أرض القاعة تهتز بذلك اللحن الذي وضع قبل ٢٥٠ سنة. وما ان فرغنا من العزف حتى تعالى تصفيق الاستحسان مدوياً من جمهور ضم ٣٠ شخصاً من آباء الاولاد وأمهاتهم.

في تلك الليلة صعدت مع بعض العازفين سلم مذبح كنيسة سانت آن القريبة. كانت ليلة باهرة وقد أثقل الجو بالسحاب الماطر. ورأيت في صحن الكنيسة وجوهاً مألوفة. وكان أعلن عن الحفلة في منشورات، وفاجأني أن جميع الحضور فضلوا المجيء الى حفلتنا على مشاهدة برامج شائقة على التلفزيون. تلك الهبة من الشعور بالمسؤولية قويت في نفسي مثل ريح عاصفة. وطغى هزيم الرعد على الجزء الاول من البرنامج، لكن الجزء الثاني كان موفقاً. ووقفت في غرفة جانبية بعد الحفلة، فرأيت بين الجمهور المنشغل في تبادل الحديث الدكتور ستيوارت ووكر مؤلف ستة كتب آخرها اسمه "الفوز: تحليل لروح المنافسة." رفع رأسه نحوي وقال: "لم أكن أعرف أنك تجيد العزف على التشيلو."

ما زلت دائباً على العزف واحياء الحفلات، لكن الامر لم يعد كما كان. وتبين لي أن الانجاز يذهب بالاوهام. فعندما كنت أسمع نغم التشيلو من قبل كان يبدو لي مفعماً بالجمال والاشراق. أما الآن، فحين تقرّب عدسات التلفزيون من وجه روستروبوفيتش تنجلي لي تلك الابتسامة الغامضة كأنها قناع من التصميم الحازم. حتى بالنسبة اليه تظل التشيلو آلة موسيقية عنيدة لا تنقاد للطموح.

أمسك التشيلو وأشد أوتار قوسها وأحلق من جديد في لحن "الليلة السعيدة"، وتبقى نبراتها تتراقص كأنها عجلة مختلة المحاور.

أنا مستثار مرة أخرى هذه الايام، اذ افكر في متابعة دروس في الرسم. لن أصبح أبداً رساماً شهيراً مثل مونيه، ولكن اذا تمكنت من رسم بعض الزنابق المائية أو جسر قروي أو قارب نزهة، فذلك يكون انجازاً آخر لا بأس به.

■ كريستيان وليمس

ما تكون اقاصيصها مثيرة للذكريات والحنين:

"من الامور التي ما زالت حية في ذاكرتي من أيامي الاولى في المزرعة رائحة التبن الزكية وهي تتسلل الى نافذة غرفة نومي ليلا، والعصافير التي تطير في العشية وتغرد جاثمة على حجار الحائط الدافئة. كان من عادتنا أنا وشقيقتي أن نذهب الى غابة ميل هيل في الغسق ونجلس على المقعد الحجري المقابل لمخزن التبن ونصغي الى سقسقة طيور السمن. ينبعث غناء طائر واحد في البداية، يأتي من بعيد خافتاً ثم يتلوه صوت آخر أكثر قرباً. ثم تتوافد الطيور من كل الجهات من دون أن يتداخل تغريد احدها مع رفقائه. فنسمع من ذلك نغم "أو..لي...أو..لي" العذب يتكرر مراراً بدرجات صوتية متفاوتة حتى يهبط الظلام."

على رغم هذه الذكريات الرعوية الريفية فان الآنسة هيمنواي التي بلغت عامها المئة في نهاية يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ لا تسعى الى تمجيد الايام الخوالي. فهي تشير بين حين وآخر الى الصعوبات التي زخرت بها تلك الأيام:

"قبل مئة عام، عند استعمال المواقد للتسخين والطهو، كان ينبغي تنظيف السخام عن الخشب والجدران بواسطة صابونة منزلية الصنع. وكان لا بدّ من فرك الغلايات النحاسية والمقاشد والاواني كي تغدو أكثر لمعاناً.

وينبغي نزع البسط كل ربيع وخريف ووضعها على العشب وضربها وكنسها، وكان ثمة من يضع تلك البسط على حبال الغسيل. وهناك خيزرنات خاصة ومضارب شبكية لتنظيفها شبيهة بمضارب التنس.

ان التدبير المنزلي سهل هذه الايام. فلم تعد هناك حاجة الى فرك مصابيح الكيروسين (الكاز) ودعك الغسيل، ويكاد الكي ينقرض: وهناك أطعمة جاهزة، ولا ضرورة الى الحياكة والخياطة فلنفد من أوقات فراغنا كي نصبح أكثر سعادة."

تعتبر الآنسة هيمنواي كل التحولات التي حدثت في حياتها المديدة ايجابية ومثيرة للاهتمام:

"أود أن أعقد مقارنة بين الماضي والحاضر: لقد بدلت الكهرباء معيشة الانسان من الاساس. لكم كنت أرى متعة في أن أحصل على النور بمجرد لمس زر من غير أن أزعج نفسي بقدح عود الثقاب."

**عاشقة الريف** - بدأت قصة مقالات الآنسة هيمنواي مصادفة حين كانت تقرأ باب الكاتب واين سميث في صحيفة "ريكوردر" عن الحياة في وادي بايونير. فبعثت إليه بعض ما تختزنه من ذكريات، فأخذ يقتبس من رسائلها بانتظام في مقالاته. وفي عامها الثاني والتسعين كان ظهورها الاول ككاتبة، وهي تقول في ذلك:

"لم أطمح أبداً الى أن أكون كاتبة، لكن الامور تجري على النحو الآتي: يتفوه أحدهم بكلام يحفزني الى التفكير، فأعمد الى الكتابة عنه. إني أكتب كما لو أني أخاطب شخصاً يجالسني."

لم تكن حياة هيمنواي ضيقة الآفاق أبداً. فهي عملت بعد تخرجها في المدرسة الثانوية عام ١٩٠٣ معلمة فمرافقة فاختصاصية بالحمية الغذائية حتى تقاعدها في الستين. وتوزعت حياتها بين مدن عدة، لكنها تشيح بوجهها عن الحياة في المدينة قائلة: "أنا لا أهوى المدن." وهي تعشق الريف بشخصياته التي لا تموت، ومنه تستقي كتاباتها.

ومع أنها لم تعش في مزرعة نورث ليفريت منذ العشرينات فهذه المزرعة هي الثورة التي تدور حولها جميع مقالاتها:

"كان أبي العامل الوحيد في المزرعة.

لديه خمس بقرات أو ست أو سبع يتعهدها بنفسه وسرب من الدجاج وجوادان. انها مزرعة اشتراها جد أبي عام ١٨٢٠ وبقيت في ملكية العائلة أربعة أجيال. كان جد أبي حداداً في المزرعة، وكان أبي صانع أحذية."

واذ تغرف الآنسة هيمنواي من الماضي تتوالى الاقاصيص والذكريات كالسيل:

"غفوت ذات ليلة شتائية في الغرفة التي كانت في ما مضى غرفة استقبال جدتي. لم تكن ثمة نار موقدة في ذلك الجانب من البيت كي أتدفأ، فاستعنت بأغطية سرير جدتي. ثم أدخلت قرميدة مسخنة بين الاغطية ونعمت بنوم هنيء لم أذق مثله في أي شتاء من حياتي. ومهما بلغت برودة الطقس كنت أفتح النافذة بضعة سنتيمترات."

وثمة أمور كثيرة لم تفعلها الآنسة هيمنواي. فهي لم تمتط صهوة حصان على الاطلاق ولم تذق طعم الكحول والتبغ ولم تتزوج قط ولم تقد سيارة في حياتها.

غير أنها تروي بتفصيل غني مفعم بالحياة معيشة الخشابين وعملهم وطريقة صناعة الأحذية. كما تذكر وصفات لصنع حلوى الخوخ (البرقوق) والصلصة، وهي تحدد المقادير: "قبضة" أو "مقدار وافر" أو "رشة". وهذه الشذرات من كشكول الذاكرة تشكل عماد مقالاتها.

**فطيرة التفاح** - كانت روبي هيمنواي في طفولتها حمراء الشعر. أما الآن فيشبه شعرها لون شمس كانون الذاوية، وهي تعقصه خلف رقبتها. لها عينان حادتان تومضان خلف نظارة بلا اطار، وساقان طويلتان كسيقان بنات المدارس. تقطب جبينها كثيراً أثناء المحادثة، لا عن استنكار أو استهجان، بل في محاولة منها للتذكر أو للوصول الى تعبير مناسب:

"أجدني أحياناً في خضم موضوع مترامي الاطراف وغير محدد، فلا أجرؤ أن أكتب عنه. أخشى أن أخطىء في معالجته. لقد نالت مني السنون، ولم يبق من أسأله."

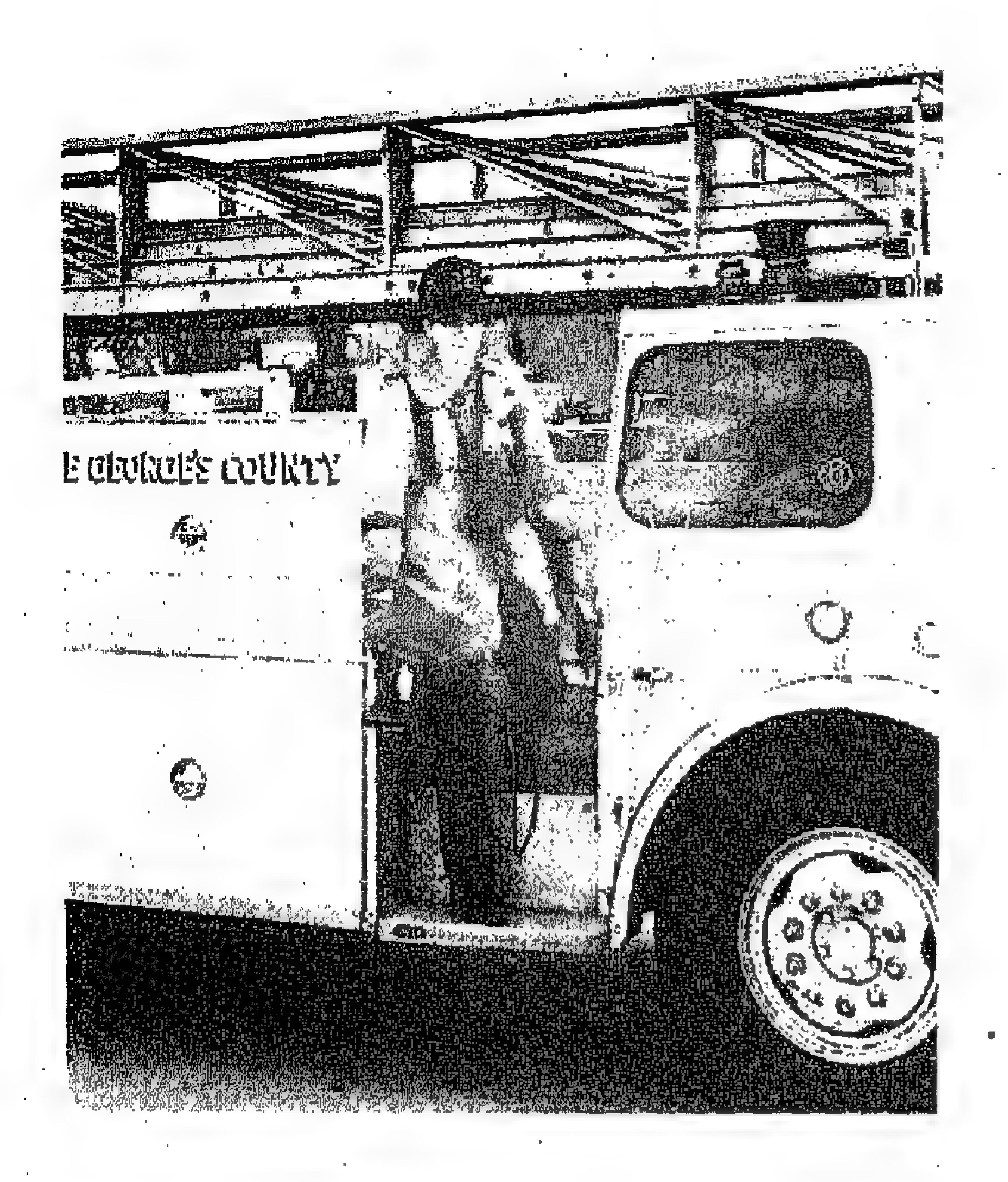
وان سألت الآنسة هيمنواي عما تفتقده في الايام الماضية تجيبك: "لا شيء، حقاً، لا شيء." انها سعيدة برؤية كل التغيرات، لكنها تبوح بمكنون صدرها بعد اعمال فكر: "أنا مع ذلك أفتقد فطيرة تفاح كتلك التي كانت تخبزها أمي."

انها ترى شبان هذه الايام وشاباته يسعون وراء الامور لاهثين: "والناجحون منهم يهبون أنفسهم كلياً لأشغالهم. انهم لا يخصصون الوقت الكافي للعيش الرغيد. وزيجاتهم في الغالب ليست سعيدة. لا أظنهم يمنحون أنفسهم ما تستحقه من وقت." وهي تنصح الشبان بأن يختبروا المتعة في كل ما يجري حولهم: "لا تخوضوا الحياة وعيونكم مغمضة."

لم تعرف هيمنواي في أي مرحلة من حياتها المديدة خمولا باعثاً على السأم، ولم يكن الزمن بالنسبة اليها عبئاً. أما وقد تخطت المئة فان هذه الحقيقة تفاجئها: "عليّ أن اقف برهة وافكر في أني بلغت من العمر ما بلغت."

والحديث مع الآنسة هيمنواي يكشف أن لديها الكثير لترويه مما لم تكتبه بعد. وهي تقول: "حين أبدأ الكلام يتوقف الزمن حولي."

■ ايدي كلارك




# إرادة الحياة

**سقطت الاطفائية الشابة تحت الشاحنة وانحشرت بين العجلة الضخمة والطريق فبدت نجاتها امراً مستحيلا**

بدأ مساء الثامن والعشرين من سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ طبيعياً، على الاقل بالنسبة الى المحطة ٢٢ من دائرة برينس جورج للاطفاء في ماريلاند، بالقرب من العاصمة الامريكية واشنطن. وكان الاطفائيون عادوا لتوّهم من مهمة عندما انطلقت صفارة الانذار من جديد تعلن اندلاع حريق آخر.

وللمرة الثانية ذلك المساء ارتدت الاطفائية ساندي لي (٢٦ سنة) معطفها المبطن الثقيل وخوذتها الجلدية وحملت حذاءها وركضت الى المكان المعين لها في سيارة الاطفاء، وهو موقف مكشوف على الباب الايمن. ولما تحرّكت السيارة انحنت ساندي لتضع فردتي الحذاء في قدميها. وفجأة داس سائق



Photo Courtesy of Prince Georges County Fire Department

سيارتها الكابح ليتقي شاحنة متوقفة على جانب الطريق، ففقدت ساندي توازنها وسقطت تحت الشاحنة التي تزن ١٧ طناً. وحشرت من جانبها بين عجلة سيارة الاسعاف الخلفية المتحركة ببطء والطريق المنحدرة. وجُرّت هكذا مسافة تسعة أمتار الى أن سمع السائق صراخها.

ونزل آمر الفريق الكابتن تكس بيردمور ليرى مشهداً لم يعرف مثيلا له في حياته. فقد اندلقت أمعاء ساندي على الرصيف من جرح كبير في جانبها الايمن، وتكسرت عظام حوضها وشُقّ شريان رئيسي في فخذها الايمن. ومن أسفل نهديها حتى ركبتيها شُرِط بعض جلدها وقشر بعضه الآخر.

وفي دقائق وصل فريق الاسعاف الطبي الى المكان. ولكن بدا واضحاً ان الامر قُضي. فقد فقدت ساندي وعيها ولم يتمكن المسعفون من قياس نبضها او ضغط دمها. لكنهم عرفوا انها حية حين قالت لهم: "أرجوكم، لا تدعوني أموت."

**أسوأ جرح** - لم يكن أي من زملاء ساندي يجهل الموت. وكفاهم النظر الى جروحها البالغة والدم المتدفق منها ليدركوا أنه لم يبقَ لها سوى دقائق معدودات. وأسرعت بها سيارة الاسعاف الى مستشفى برينس جورج حيث ادخلت غرفة الطوارىء قبيل التاسعة ليلا. وكان الجراح ديفيد جنز (٣٨ عاما) مسؤولا عن الطوارىء تلك الليلة. وهو يتذكر ما حدث بالآتي: "للحظة لم أفهم شيئاً مما يجري. فقد تدلى جلد ساندي على الحمالة وبدا مثل غطاء. وكانت أمعاؤها خارجاً على الحمالة أيضاً. وهكذا واجهتُ أسوأ جرح في حياتي."

وأخذ الدم يتدفق من بطن ساندي وحوضها وظهرها، بل من كل مكان في جسمها. وأسرع فريق الطوارىء الى قحام انبوب في قصبتها الهوائية لمساعدتها على التنفس، ثم أمدوها بالدم والسوائل المغذية عبر الاوردة. واستغرق رفع ضغطها استعداداً للجراحة ٤٥ دقيقة.

ولم يستطع الجراحون ابراء جروح ساندي كلها مرة واحدة. وتعين عليهم بادىء الامر وقف النزف. وبعد اعادة أمعائها الى مكانها فتحوا شرجاً اصطناعياً في القولون لحمل فضلات الجسم خارجاً. ثم رتقوا البطن والحوض والفخذين.

وبعد ساعتين على طاولة الجراحة نقلت ساندي الى غرفة العناية الفائقة. وألحّ عليها النزف حتى اضطرّ الاطباء الى وضعها ضمن سروال هوائي لوقاية النصف الاسفل من جسمها. لكن ذلك لم ينفع كثيراً، وما نفعت خثرات الدم التي حُقنت في تفرعات الشريان الفخذي، وأعطيت كميات من الدم كانت تزاد ساعة بعد ساعة. الا ان الدم الخارج ظل أكثر من الداخل.

ومع تقدم الليل تجمع أكثر من أربعين اطفائياً في المستشفى. وللمرة الاولى في تاريخها الممتد ٥٢ سنة، توقفت المحطة ٢٢ عن العمل لأن رجالها كلهم هبوا لعيادة زميلتهم.

وظلت ساندي تنزف طوال الليل وفي اليوم التالي٠ وفي الرابعة عصراً بلغ الدم المعطى لها ١٠٥ وحدات (٢٥٠ ميليليتراً)، علماً ان الجسم البشري العـــادي يحوي ٢٠ وحدة دموية٠ وفي الخامسة قرر الدكتور جنز ان يرسلها بالطائرة المروحية الى مركز الطوارىء في مستشفى جامعة ماريلاند في بلتيمور٠

وكان الدكتور شلدون بروتمن، أحد جرّاحي المركز، ينتظر عندما وصلت ساندي في السادسة الا ربعاً٠ ولم يصدق ما رأته عيناه: "بلغ ارتفاع الدم على الحمالة ١٥ سنتيمتراً٠"

واتضح ان حال ساندي كانت تسوء بسرعة٠ وانخفض ضغط دمها كثيراً وتقطعت دقات قلبها، كما توقف عن الخفقان مراراً٠ ونقل الدم اليها مرة بعد مرة٠ وتولى الدكتور بروتمن ومعاونوه رتق المزيد من جروحها وثبتوا حوضها بقالب معـــدني، مستخدمين المسامير الملولبة لشدّ عظمها الحرقفي٠

وبعد أربع ساعات توجه بروتمن، وقد أتى عليه الارهاق، الى مقصف الاطـــباء لتناول القهوة٠ لكنه لم يستطع شرب فنجانه كله، اذ جاءت ممرضة تقول ان سرير ساندي مشبع بالدم٠ وأمضى بروتمن الســاعـــات الاثنتي عشرة اللاحقة الى جانب ساندي يجـــري لها الجــراحة تلو الاخرى٠ وفي التاسعة صباحاً، بعد ٣٦ ساعة عذاب، كانت تلقت ١٧٣ وحدة من الدم٠ وقال بروتمن: "لم أعرف أحداً في هذا القسم أعطي مقداراً مماثلا من الدم وبقي حياً٠"

**مشكلات كثيرة** ـ أفاقت ساندي من تخديرها الخفيف وهي تحسّ حاجة الى الكلام٠ لكنها لم تستطع ذلك والانبوب فـــي بلعـــومها٠ واذ ذاك أشارت بيدها، فـــــحملت احدى الممرضات قلماً اليها٠ وبيد مرتجفة كتبت على منديل من ورق: "هل سأقدر أن أبقى اطفائية؟"

ويتذكر الدكتور بروتمن: "كان ذلك دليلا عظيماً بالنسبة الينا٠ وأدركنا أن ساندي ما زالت تقاوم٠"

وظلت ساندي أياماً تصارع النوم وهي تخشى ان أطبقت أجفانها ألا تفتحها بعد ذلك الحين٠

وفي طبقة المستشفى الارضية وقف صفّ طويل من الناس استجابة لنداء اتحاد الاطفائيين الداعي الى التبرع بالدم من أجل ساندي٠

وجلس والدا ساندي في ركن من المســتشفـــى يصليان بصمت وقد لازمهما أحد الاطفــائـيـين٠ واعــتمد الدكتور بروتمن الصراحة معهما اذ قال: "لا أدري كيف ستستطيع الصمود وسط هذا العذاب كله٠"

وفـــــي نهاية الليلة الثانية التي أمضتها ساندي في مستشفى جامعة ماريلاند، تمكن بروتمن من وقف النزف٠ ولكن بعد ذلك حصل ما كان يخشاه، حين أخذت كليتا ساندي تضعفان٠ وأبلغ والديها أن النهاية قد تكون وشيكة٠ غير ان كليتي ساندي ظلتــا تعمـلات علــى رغـم الضعـف الحاصل٠ وبدا كأن تلك الشابة رفضت الاستسلام٠

لكنّ خطر الالتهاب ظلّ قائماً٠ ذلك لأن جروح ساندي المفتوحة ما

برحت تؤوي الجراثيم الخبيثة. ويتذكر الدكتور ايليس كابلن اختصاصي المركز بالامراض المعدية: "لقد اصابها عدد كبير من الالتهابات، وكان كل منها كفيلا بالقضاء عليها."

وارتفعت حرارة ساندي في بعض الايام الى ٤٠ درجة مئوية. وكان من قبيل الرجم بالغيب معرفة المضاد الحيوي الملائم لكلّ التهاب. لكن حرارتها أخذت تهبط أخيراً.

وواجه بروتمن مشكلات أخرى، احداها أنّ ساق ساندي اليمنى المتلهبة وجب استئصالها قبل فوات الاوان. وهكذا، في ١٣ اكتوبر (تشرين الاول)، بترها من تحت الركبة. واستخدم جلد الساق المبتورة ليرقع به مختلف أنحاء جسمها.

وفي ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ظهر خطر آخر اذ انسكب الشرج الاصطناعي داخل الجسم، وانصب نحو ليترين من الاوساخ في بطن ساندي. وكاد بروتمن أن ييأس لمعرفته ان الجراثيم قد تقضي على الفتاة. وللحال نقلها الى غرفة الجراحة وأخرج الاوساخ بالامتصاص، ثم نظف بطنها بمحلول معقم وأعاد تركيب الشرج الاصطناعي. وبمعاونة الدكتور كابلن اعطاها جرعات كبيرة من المضادات الحيوية. وهكذا أنقذت ساندي مرة اخرى.

**ميلاد سعيد** — في نهاية ذلك الشهر انفجر الشريان الحرقفي في فخذ ساندي الايمن في مكان يعسر الوصول اليه. وأقحمت الدكتورة فيكتوريا غيليس يدها حتى المعصم في فخذ ساندي وشدت على الشريان النازف انتظاراً لبلوغ الدكتور بروتمن المستشفى. وما أن وصل حتى أجرى الجراحة في الرابعة عصراً وتمكن من انقاذ ساندي بما يشبه المعجزة.

ويتذكر تلك الايام بقوله: "لقد أجرينا لها الجراحة تلو الاخرى. وفي ثلاثة أشهر خضعت ساندي لأكثر من مئة جراحة."

وتقول كريستي كراوثر، احدى ممرضات ساندي: "انها لم تستسلم."

والواقع ان زملاء ساندي لم يعرفوا الاستسلام هم ايضاً. وظلوا يتوافدون يومياً الى المستشفى حتى علقت والدة ساندي شعاراً على باب غرفة الانتظار يقول: "محطة الاطفاء ٣٢."

الا ان الجو بقي متوتراً فوق. وكتب اختصاصيو البنج على اللوحة في غرفة ساندي عبارة تشير الى عدم قدرتها على تحمل جرعات كافية من المواد المخدرة. لكن الدكتور بروتمن أدرك أنها لن تصمد من غير جراحة. وظلّ يأخذها الى غرفة العمليات يوماً بعد يوم لزرع الجلد. لكنه اكتفى بأقل كمية من البنج لرفع الخطر عن قلبها.

أما المشكلة الرئيسية الآن فباتت الثقب الكبير في أسفل جانبها الايمن الذي كانت تتسرب منه فضلات الامعاء بعد امدادها بالسوائل المغذية. وفي كتب الطب ان جرحاً من هذا النوع لا يمكن رتقه من غير جراحة. لكن ساندي لا تستطيع تحمل جراحة كهذه.

وفي الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) ابتكر بروتمن طريقة جراحية

تقوم على وضع طبقة جلد فوق الامعاء المكشوفة وسترها بطبقة أخرى. وبرهنت طريقته عن جدواها.

وذات يوم من مطلع ديسمبر (كانون الاول) انتفخ عنق ساندي كثيراً وارتفعت حرارتها فجأة الى ٤٠ درجة مئوية. وظهر التهاب جديد انتقل من أحد اوردة عنقها الى جسدها كله. وهكذا باتت حياتها مهددة من جديد. ولم تفعل فيها المضادات الحيوية طوال الايام الثلاثة التالية. ثم ظهر خرّاج في عنقها. وما ان شقه بروتمن بالمبضع حتى زال الالتهاب.

وما برحت ساندي تتنفس اصطناعياً منذ وقوع الحادث. وفي الحادي عشر من ذلك الشهر كتبت بأحرف كبيرة: "أريد أن أتنفس على نحو طبيعي." وارتأى بروتمن تلبية رغبتها بوقفه جهاز التنفس بين الحين والآخر. ولما زارها والداها في اليوم التالي فاجأتهما بقولها: "عيداً سعيداً لكما يا أبي ويا أمي."

**على طريق الشفاء** — عقدت ساندي العزم على المشي من جديد. وفي أحد الايام أشار عليها بروتمن أن تحاول تحريك رجلها اليسرى. لكنها لم تجد لديها قدرة على ذلك. وفي اليوم التالي حرّكتها قليلا. ولبثت الليل كله تمرنها، متغافلة عن آلامها المبرحة.

وخضعت ساندي للمزيد من الجراحة، لكنها بدت على طريق الشفاء. وأكدت لها دائرة الاطفاء ان ثمة عملا في انتظارها.

وفي ٢٣ فبراير (شباط) نقلت ساندي من مركز الجروح الى قسم النقاهة في مستشفى مونتيبيلو في بلتيمور. وفي الثامن من الشهر التالي حضرت الاجتماع المهني الاول بعد الحادث. وعرف الزملاء بمجيئها، فملأ أكثر من مئتي اطفائي قاعة النقابة. وقدم اليها المسؤولون في الاتحاد بطاقة عملاقة كتب عليها: "الحمد لله على السلامة" وحملت تواقيع جميع اطفائيي المنطقة.

وفي أبريل (نيسان) رُكّبَت لها رجل اصطناعية. وأسندت يديها حولها وسارت ستة أمتار الى الامام وستة أمتار الى الوراء. ثم رفعت يديها وقالت: "أودّ ان أرى ما اذا كنت أستطيع الوقوف وحدي." وتمكنت من ذلك كما ارادت.

وخلال صيف ١٩٨٣ خضعت ساندي لسلسلة عمليات تقويمية في مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور. وأصلح الخلل العصبي في احدى ذراعيها وشدّت الاربطة الى ركبتها اليسرى كيما تستطيع المشي من غير سناد. وأهمّ نشاط لها اليوم هو القاء محاضرات في السلامة على زملائها الاطفائيين. لكنها تحتاج الى المزيد من الجراحة في الحوض والإليتين والامعاء.

ولكن كيف استطاعت ساندي الصمود؟

يقول بروتمن: "لو كان لديّ جواب عن هذا السؤال لحصلت على جائزة نوبل في الطب. والحق أن كلمات مثل "الجرأة" و"الشجاعة" و"الاقدام" لا تكفي لوصف المساعدة التي قدمتها ساندي الينا ومكنتنا من اعانتها."

■ دونالد روبنسون



# إصلاح الأحداث

**أقفلت ولاية ماساتشوستس الامريكية اصلاحيات الاحداث وأخضعت الفتية الجانحين والمجرمين لبرنامج تأهيلي**

إن نسبة السجناء الأحداث في ولاية كاليفورنيا الامريكية هي الاعلى نسبة في الولايات المتحدة كلها في حين أن نسبة هؤلاء في ولاية ماساتشوستس هي الأدنى في تلك الولايات. ويقودنا هذا الواقع الى طرح السؤال الآتي: في اي من هاتين الولايتين انخفضت نسبة جرائم الأحداث على نحو أوسع؟

إذا تبادر الى أذهاننا ان الجواب هو في كاليفورنيا، فنحن مخطئون لأن جرائم الأحداث انخفضت في ماساتشوستس ٢٦ في المئة بينما لم

Photo: David York / The Stock Shop

يتعد انخفاضها في كاليفورنيا ١٢ في المئة.

أما الاحداث الذين تكرر دخولهم السجن فتبلغ نسبتهم الربع في كاليفورنيا والسبع في ماساشوستس.

والحق ان هاتين الولايتين تعتمدان نهجين مختلفين في معالجة جرائم الأحداث. ففي كاليفورنيا يرسل الأولاد المشاغبون الى مدارس اصلاحية تعج بالسجناء الأحداث حتى ان عددهم يبلغ ٣٠ في المئة من مجموع السجناء الاحداث في الولايات المتحدة كلها. ومن بين هؤلاء المسجونين الذين تراوح اعمارهم بين ١٤ سنة و٢١ سنة مرتكبو جرائم اغتصاب وقتل واشعال حرائق.

الا أن ولاية ماساتشوستس اقفلت مدارسها الاصلاحية واعتمدت في خفض نسبة جرائم الاحداث توثيق علاقات هؤلاء بمجتمعهم. وبات في وسع هذه الولاية ان تعلم الولايات الاخرى كيف تستخدم المال على نحو افضل في تصحيح سبل حياة اولئك الاحداث وكيف يمكنها الاستعانة بعلاج انساني ناجع لهم بدلا من حبسهم، وأهم من هذا كله تخليصهم من عادة ارتكاب الجرائم.

**عالم جديد** – جاء في قوانين ولاية ماساتشوستس أن حق محاكمة المجرمين من الأحداث يرجع الى دائرة خدمات الشباب وليس الى القاضي. وتفصيل ذلك أن هيئة المحلفين تجتمع لتصنيف فئة المجرم. فاذا تبين لها انه ينتمي الى الفئة الخطرة (التي تضم عشرة في المئة من مجموع المجرمين) حكمت عليه بالسجن، واذا رأت خلاف ذلك فانه يعالج بوسائل تقوم على دمجه في محيطه الاجتماعي.

يبلغ معدل كلفة نزيل المدرسة الاصلاحية العادية ٢٢٥٣٤ دولاراً في السنة. أما في ولاية ماساتشوستس فيولى الفتى السجين اهتماماً شديداً ويعالج على نحو فاعل مما يجعل كلفته السنوية ٣٤٤٤٦ دولاراً. كذلك تؤمن له الولاية اختصاصياً للعناية به تكون مصاريفه ٦١٠٠ دولار سنوياً. وهي تعمل على مراقبة نشاطاته في المجتمع، ويكلف ذلك ٤٢٥٦ دولاراً في السنة. وربما لجأت ايضاً الى المعالجة العائلية التي تبلغ كلفتها ٣٧٧٣ دولاراً. وقد حصلت ولاية ماساتشوستس على المال اللازم لانجاز هذا كله باغلاق عدد ضئيل من المدارس الاصلاحية، واستطاعت تعميم هذا النوع من الخدمات من دون ان تنفق مبالغ طائلة.

لنأخذ على سبيل المثال ريتشارد الذي انتهك القانون من دون ان يلجأ الى العنف. ففي الخامسة عشرة من عمره سرق عشرات السيارات وسطا على عشرات المنازل. وقبض عليه أربع مرات كان يخلى في كل منها ويعطى فرصة جديدة لاصلاح نفسه. وعندما أحاله قاضي محكمة الاحداث على سلطات الولاية للمحاكمة لم يحكم عليه بدخول السجن، بل انه ذهب الى بيته هذه المرة برفقة "مرشد" في الرابعة والعشرين تلقى دروساً جامعية وانضم الى مؤسسة "كي" (★) وهي شركة تقدم "خدمات المراقبة والارشاد".

---

(★) KEY Program, Inc.

كان على ريتشارد ان يوقع عقداً مشتركاً بين مؤسستي "دائرة خدمات الشباب" و"كي" يتعهد فيه عدم سرقة بيوت الآخرين وسياراتهم وعدم اللجوء الى العنف وتحاشي المخدرات والكحول والذهاب الى المدرسة او العمل واخبار مرشده بمكان وجوده.

في اليوم الاول بعد رجوع ريتشارد الى بيته اصطحبه مرشده الى برنامج تربوي خاص يعوضه ما فاته في القراءة والرياضيات. وفي أوقات المساء وعطلة نهاية الاسبوع كان المرشد يساعده في فروضه المدرسية ويأخذه لمشاهدة الألعاب والأفلام السينمائية كي يبقيه بعيداً عن الشوارع. وأخذ ريتشارد يتفتح على عالم لم يعرفه من قبل هو عالم التربية والقيم والأهداف. ومنذ بلوغه الثامنة عشرة جعل يتابع بمساعدة مرشده دروساً للحصول على الشهادة الثانوية.

والواقع ان الجغرافية هي التي قررت مصير ريتشارد. فلو كان هذا الفتى ارتكب جرائم السرقة في ولاية أوريغون مثلا لكان انتهى الى مدرسة ماك لارين للصبيان وتعرض للضرب وأمضى فترات طويلة في عزلة خانقة. وكان من الممكن ان يحذو ريتشارد هناك حذو غاري غيلمور، خريج مدرسة ماك لارن الشهير. فقد أرسل غاري الى هذه المدرسة في الرابعة عشرة من عمره لرميه حجراً على نافذة احدى المدارس. وبعد ثمانية عشر شهراً خرج غيلمور ليعترف قائلا: "لن أكفّ ابداً عن كره الناس." وتسببت هذه الكراهية في قتل اثنين من الغرباء. كذلك كان من الممكن ان تربط يدا ريتشارد وقدماه خلف ظهره ويضرب في احدى مدارس ولاية فلوريدا الثلاث.

**عناية فائقة** — ماذا تفعل ولاية ماساتشوستس بأحداثها الذين يرتكبون أعمال العنف؟ انها كسواها من الولايات تبعدهم عن الشوارع ولكن على نحو مختلف. فلنأخذ مثلا جون (١٧ عاماً) الذي تسبب في اندلاع بعض الحرائق. فهو أدخل مدرسة روبرت ف. كينيدي قرب وستبورو (ولاية ماساتشوستس) وهي احد أربعة مراكز اصلاحية في كل منها عدد من الأسرّة يراوح بين خمسة عشر وعشرين. وهناك التقى فتياناً اقدموا على اعمال اغتصاب وخطف وسرقة مستعملين اسلحة قاتلة، وحاول بعضهم قتل ضحاياه.

كان المكان مؤلفاً من طبقتين يعلوهما قرميد أحمر. أما النوافذ فكانت خالية من القضبان الحديد، وعندما وصل جون الى المدرسة استقبله على المدخل مديرها مايكل ولش الذي كان في السابق مدير مدرسة ثانوية، وناداه باسمه وقال له: "هذه مدرسة وأنت طالب ولست سجيناً. وسوف تذهب الى الصف ثلاث ساعات في الصباح وساعتين في المساء، ويتخلل أوقات الدراسة غداء واستراحة خارج الصف."

اما مدة بقاء جون في هذه المدرسة فتتوقف على مدى تقدمه. فهو لن يكون حدثاً بعد سنة. فاذا كان لا يزال يشكل خطراً على المجتمع، فيمكن اعادته الى المحكمة وادخاله سجن الراشدين.

كان جون في المدرسة يسكن غرفة مستقلة، وكان في وسعه ان يجيء ويذهب كما يشاء، غير انه لم يكن يستطيع مغادرة غرفته بين الحادية عشرة مساء والسابعة صباحاً.

في صباح اليوم التالي غدا جون تلميذاً بعدما أمضى سنوات عدة خارج المدرسة. وحين كان المعلم يطلب منه ان يقرأ بصوت عال مقاطع من صحيفة يومية لم يكن يستطيع قراءة العناوين. وبدت له جداول الضرب أشبه بالغاز. وتبين ان جون كانت تعوزه القدرة على التعلم. وعندما سألت معلمته هل لديها تلاميذ آخرون من أمثاله يعانون المشكلة نفسها أجابت ان عددهم يبلغ عشرة من اصل خمسة عشر حدثاً في المدرسة.

اثار هذا الأمر اهتمامي فاتصلت بدائرة خدمات الشباب لعلني أجد تفسيراً له، فقيل لي ان معظم الأحداث الذين تعنى بهم هذه الدائرة هم عادة أميون. ومن سخرية القدر ان جون وأشباهه من الاميين لا يجدون العناية الخاصة التي يحتاجون اليها الا بعد ارتكابهم الجرائم.

كان جون ثائراً في البداية، وقد سجن مرتين في غرفة منفردة مدة ٢٤ ساعة، الا انه تمكن بعد ١١ شهراً من اتقان جدول الضرب والكسور وبلغ في القراءة مستوى السنة الابتدائية الخامسة. واستطاع جون تهدئة غضبه الكامن بفضل أحد علماء النفس وبفضل الرعاية التي أحيط بها.

عندما التقيت جون وجدته يستعد لمغادرة المدرسة والذهاب للسكن مع بعض اقربائه. لكن عناية الولاية المستمرة تحتم بقاءه تحت المراقبة

الواقع ان ارسال جون الى مدرسة اصلاحية عادية كان سيبقيه في عجز تربوي وعاطفي فلا يسعه تحصيل رزقه مما يدفعه الى ارتكاب جرائم جديدة. أما العناية الفائقة التي احيط بها في ماساتشوستس فقد فسحت له في المجال كي يعتمد على نفسه في كسب العيش.

**اعادة الثقة بالنفس** – ينطلق المسؤولون في ولاية ماساتشوستس في معالجة جرائم الاحداث من مفهوم يقوم على الاصلاح لا على الانتقام، وهم يرون انه ليس هناك احد يعصى على الاصلاح حتى ان كان مغتصباً او قاتلاً. والمدرسة الاصلاحية الوحيدة المؤهلة لاستقبال احداث ماساتشوستس فترة طويلة هي مدرسة كينيدي التي انشئت في العام ١٩٧٩. ونسبة المغتصبين فيها تساوي نسبة القتلة وتبلغ أربعين في المئة. ومن بين هؤلاء قاتل اسمه بيتر وصل الى المدرسة في هياج شديد وكان طعن أحد تجار المخدرات طعنة قاتلة.

اخذ العالم النفسي المناوب يفسر للقاتل سبب حنقه بأناة وصبر. فقد كان بيتر يعاني مأساة ناجمة عن طلاق والديه، وكان لدى ارتكابه الجريمة يبتلع أربعين حبة من "الفاليوم" المهدىء يومياً ويسرف في تدخين الحشيش.

من بين مظاهر العناية الفائقة التي تحيط بها مدرسة كينيدي الاحداث انها تؤمن لكل منهم موظفاً او معلماً يعمل على مصادقته. وهذا ما جعل بيتر يتغير ويستعيد ثقته بنفسه ويسترجع تدريجاً حريته المفقودة.

فقد وضع أولا في مكان لا يسعه مغادرته الى العالم الخارجي الا قليلا، ثم نقل الى حيث يمكنه التكيف مع المجتمع من جديد فتوافر له عمل يمارسه وعلاج لادمانه المخدرات ومتابعة دروس ليلية في الجامعة. ويقول احد موظفي المؤسسة التي نقل اليها بيتر: "ليس هناك ما يضمن ان بيتر سيلتزم قوانين مجتمعه، غير ان المال الذي انفقناه في سبيل اصلاحه، والذي لا يتجاوز المال اللازم لاقامته في السجن، يتيح لنا امكان تخليصه من حياة الجريمة."

**اسلحة صامتة** ـ لم تكن دائرة خدمات الشباب في ولاية ماساتشوستس تصيب دائماً نجاحاً كبيراً. ففي مدرسة ليمان للصبيان في منطقة وستبورو كان سبعون في المئة من الفتيان يعودون الى ارتكاب الجرائم. وفي الستينات كانت المدارس الاصلاحية تضيق بمن فيها. وكثيراً ما كان الضرب وتقييد اليدين وسيلة لتحقيق الانضباط والسيطرة. غير ان كشف الصحف الوحشية وسوء الادارة في مدارس اخرى ادى الى تعديل القوانين في اغسطس (آب) ١٩٦٩.

بعد شهرين عين جيروم ميلر، وهو استاذ مشارك للعمل الاجتماعي في جامعة ولاية أوهايو، مسؤولا عن خدمات الشباب في القسم الذي انشىء حديثاً. وحددت مهمته بتطوير المدارس الاصلاحية القائمة والافادة من الاعتمادات التي خصصت لتحقيق هذه الغاية.

عندما تأكد ميلر ان التغيير مستحيل اتخذ قراراً حاسماً قضى باقفال المدارس الاصلاحية الخمس في الولاية خلال ثلاث سنوات. الا ان هذه الخطوة المفاجئة لم تترك وقتاً كافياً لتطوير البرامج البديلة على نحو شامل.

والحق ان البيروقراطية المدنية التي ورثها ميلر لم يكن متوقعاً ان تحفزه على الاسراع في اقامة نظام آخر. فما كان من ميلر الا الاقدام على خطوة حاسمة أخرى بالغاء دور سلطات الولاية في تدبير شؤون الاحداث. ثم عمد الى استدراج عروض لتقديم برامج اصلاحية تقوم على توثيق العلاقة بين الحدث المذنب والمجتمع، على أن يكون لدائرة خدمات الشباب الحق في تمويل هذه البرامج والاشراف عليها.

استأثر الأمر باهتمام الأخوين سكوت وبيل وولف، الأول في جامعة هارفرد والثاني في جامعة كلارك. فاندفعا لتحقيقه مستعينين بالسبل المعتمدة في كلية التجارة في هارفرد. وحداهما ذلك على تأسيس شركة تتولى العناية بالحدث بعد اطلاقه وتدعى الآن شركة "كي" واستخدام طلاب آخرين للعمل مع الاحداث ومساعدتهم في حل المشكلات التي تسببت في ارسالهم الى مدارس اصلاحية. وخلال سنة واحدة تمكن البرنامج من تقديم العون الى ١٧٥ شخصاً.

فيما كان جيري ميلر يتطلع الى من يزوده ببرامج تفي بغرضه أخذت الاقتراحات والأفكار تتدفق عليه من كل صوب وقدمت اليه عروض تتضمن تنفيذ برامج يزيد عددها على مئتين. وقد صممت هذه البرامج على نحو

يأخذ في الاعتبار حاجات كل فرد من اولئك الاحداث، وأتت لتحل محل الوسائل المتبعة في المدارس الاصلاحية والتي تعتمد سبلا موحدة في معاملة نزلائها جميعاً.

**رمز سلامة الاسلوب** ـ لقد مضت ١٤ عاماً على شروع ولاية ماساتشوستس في تحرير احداثها من المدارس الاصلاحية الشبيهة بالسجون. وفي دراسة تقع في اربعة مجلدات اثنى مركز العدالة الجنائية التابع لكلية الحقوق في جامعة هارفرد على ما أنجزته تلك الولاية في هذا المجال. ويقول ادوارد مورفي مندوب قسم خدمات الشباب: "نحن هنا لنبقى. والقضاة والمسؤولون عن تنفيذ القانون يؤمنون بما نفعله."

ويذكر جيري ميلر الذي يرئس الآن المركز الوطني للمؤسسات والبدائل في واشنطن: "يرى لويس برانديس رئيس محكمة العدل العليا أن الحكم على مجتمع معين يمكن ان ينطلق من الطريقة التي يعتمدها هذا المجتمع في معاملة أشد افراده ضلالا. وفي رأيي ان الأحداث هم اكثر افراد المجتمع تعرضاً للضلال. من هنا تبقى ولاية ماساتشوستس رمزاً للمعالجة اللائقة التي يمكن تأمينها لهؤلاء."

■ لستر فلي

---

### عمى البطالة

لم أُدرك مدى البطالة في المجتمع الأمريكي إلا بعدما نشرتُ إعلاناً أطلب فيه موظفاً لمؤسستي. فأمام الخانة الخاصة بتحديد الراتب والتي سجل فيها "راتب مقبول" أجاب ٧٥ في المئة من المرشحين بعبارة "نعم".

ج.١.٥١.

---

### خطيب بلا اتعاب

في مطلع الأربعينات كان والداي عَروسَين ولا مالَ لديهما. وكان والدي واعظاً يتلقى دعوات من القرى الريفيّة الصغيرة لالقاء الخطَب. وذات أحَدٍ قطع وأُمي مسافة خمسين كيلومتراً الى إحدى تلك القرى. وفي نهاية الخطبة انتظره أحد الداعين على الباب وسلمه غلافاً مختوماً وهو يقول: "اعذرنا اذ لا يمكننا دفع اتعابك. لكنك تجد هنا ما جمعناه من الحاضرين."

وفي الطريق الى البيت فتحت والدتي الغلاف، فوجدت فيه ٦٥ سنتاً. ولما عرف أبي ذلك قال بازدراء: "يا لهم من قوم لا يعرف الشكران إليهم سبيلا. لقد قطعتُ هذه المسافة كلها لأخدمهم، ولم أحصل حتى على دولار كامل."

وانبرت أمي قائلة: "الحقّ معك يا عزيزي. والواقع أني وَضعتُ ٣٥ سنتاً في ذلك الطبق."

ـ وأنا وضعتُ مبلغاً مماثلا.

ج.١.

# الإتقان سرّ النجاح

من هو الرجل الذي أنشأ جائزة "ديمنغ" الشهيرة التي تمنح في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة تقديراً للانجازات البارزة في أساليب تطبيق مراقبة الجودة؟محررو الطبعة اليابانية من الـ"ريدرز دايجست" قصدوا واشنطن للقاء الدكتور و٠ ادواردز ديمنغ، الاحصائي الامريكي الذي ينسب اليه الفضل الكبير في وضع اليابان على طريق "معجزتها الاقتصادية"٠

عمره الآن ٨٤سنة، وهو يسافر بالطائرات النفاثة متنقلا من مدينة الى أخرى بوتيرة ترهق من لهم نصف عمره٠انه يعمل ١٢ ساعة يومياً كمستشار لشركات تغطي الولايات المتحدة وتمتد حول الكرة الارضية٠ الدكتور ديمنغ رجل ضخم الجسم ذو صوت عميق وآراء صارمة ويفصح عن حب للموسيقى٠ كل ما يختص باليابان يقدح بريقاً خاصاً في عينيه٠ وفي البيت الذي يسكنه مع زوجته لولا يعرض باعتزاز الهدايا الثمينة التي جاءته من اليابان٠ بيد أنه يتجنب الخوض في المسائل الشخصية، فتحسين الجودة هو هاجسه الطاغي٠

وقد حدت خبرة الدكتور ديمنغ الاتحاد الياباني للعلماء والمهندسين على دعوته الى القاء محاضرات في اليابان عن أساليب تحسين الجودة٠ فسافر الى هناك في يوليو (تموز) ١٩٥٠ لهذه الغاية، وكانت تلك رحلته الثالثة الى اليابان٠ وأنشأ الاتحاد الياباني جائزة "ديمنغ" تخليداً لذكرى مساهمته الكبرى، وقد منحت للمرة الاولى عام ١٩٥١٠

في هذه المقابلة الخاصة يعرض الدكتور ديمنغ آراءه في مراقبة الجودة وفي الصناعة اليابانية:

**س: دكتور ديمنغ، بعد الحرب العالمية الثانية كانت البضائع اليابانية تشتهر برداءة الصنع، فماذا فعلت لتغيير ذلك؟**

ج: في شهر يونيو (حزيران) ١٩٥٠ قبلت دعوة من الاتحاد الياباني للعلماء والمهندسين وقدمت سلسلة من البرامج الدراسية مدة كل منها ثمانية أيام تابعها ٢٣٠ مهندساً٠ وكنت أبشر بفكرة واحدة: حين تحسنون الجودة يتحسن الانتاج، وهذا يخفض الكلفة بوقف اهدار المواد والأيدي العاملة والآلات٠ فالاسعار المنخفضة والجودة الفضلى تستحوذ على السوق٠ والأمر كله على جانب كبير من البساطة بحيث يكاد لا يصدّق٠ كل ما قدمت كان في الواقع مخططات عمل٠

س: هل كان عملك مقتصراً على المهندسين؟

ج: كلا، فقد رأيت ان الاحصاءات المتعلقة بمراقبة الجودة كان يتلقفها الفنيون الامريكيون بسرعة البرق عام ١٩٤٢، لكنها لم تكن تبلغ مداها قط لأن الهيئات الادارية لم تتحمل مسؤولياتها في صدد مراقبة الجودة. فصممت على أجتناب هذه الغلطة في اليابان. لذلك، اضافة الى تلقيني المهندسين، كان اهتمامي منصباً على الهيئات الادارية العليا في تلك البلاد. وقد هيأ لي السيد ايتشيرو ايشيكاوا، وكان حينئذ رئيساً للاتحاد الياباني للعلماء والمهندسين ولمؤسسة "كايدانرين"، أن أتحدّث الى الهيئة الادارية العليا وهي مجموعة من ٤٥ صناعياً يابانياً. عقد الاجتماع الاول في النادي الصناعي. قلت لهم ان مراقبة الجودة هي بمثابة الانسجام الدقيق بين أجزاء الجهاز، وعليهم اكتشاف موقع الخلل في الجهاز، فقد يكون في مجموعة وقد يكون في شخص فرد. كما عقدت اجتماعات عدة مع كبار الاداريين منذ ١٩٥٠.

س: هل لك ان تقدّم مثالا بسيطاً عن مساهمة الادارة في تأمين الجودة؟

ج: في وسع المرء ان يستخدم مخطط مراقبة لأي جزء رئيسي في خط الانتاج. يقيس العامل سير عمل الآلة أو عمله اليدوي شخصياً، ثم يجري حسابات ليعين الحد الاعلى والحد الادنى للمراقبة اللذين يظهران كخطين متوازيين على الرسم البياني. يجب أن يستقصي عامل الانتاج اسباب ظهور نتوءات خارج هذين الخطين المتوازيين ويزيلها. أما الادارة فتقع عليها مسؤولية تضييق الفرجة بين الخطين.

س: وهل تبنى الصناعيون اليابانيون أساليبك وطبقوها؟

ج: نعم. على سبيل المثال، عدت الى اليابان بعد ستة أشهر وحضرت الاحتفالات برأس السنة الجديدة في النادي الصناعي. فجاءني السيد كايزو نيشيمورا، الذي كان حينئذ رئيساً لشركة كهرباء فوروكاوا، وقد تأبّط رزمة خرائط. لم يشأ أن يتناول شيئاً من الطعام أو الشراب، فهو لم يرغب الا في التحدث اليّ. وتبين أن ما حققه كان عظيماً. قال انه خلال تلك الاشهر القليلة نجح في خفض اعادة تصنيع الاسلاك المغلفة بالعوازل بنسبة ٩٠ في المئة، كذلك خفض الحوادث في المصنع بنسبة ٩٠ في المئة. كما قلص نسبة الشوائب في الاسلاك الى جزء ضئيل مما كانت في السابق.

س: ما هو الفرق بين التفتيش البسيط ومراقبة الجودة؟

ج: التفتيش لا يصنع الجودة. انه يأتي متأخراً جداً بعد أن تكون الجودة أو رداءة الصنع أصبحت داخل المنتجات. أما عمل المفتشين في فرز الجيد عن الرديء فيشبه حرق الخبز وكشطه. النقطة الأساسية هي أنك حين تصنع السلعة على نحو صحيح في البدء لا يتعين عليك أن تمتحنها. معظم المشاكل تكمن في جهاز الانتاج الذي هو من مسؤولية الادارة.

**س: أليس العمال مسؤولين عن جودة المنتجات كالادارة تماماً؟**

ج: ان رد الفعل العادي لدى الادارة في مواجهة أي خلل هو القاء اللوم على العامل. ومن هنا ينشأ الوهم انه اذا قام العمال وحدهم بواجباتهم على نحو صحيح، فلن تكون ثمة مشاكل في الانتاج او الخدمات. ولكن اذا لم يكن العامل ملماً بما يفترض فيه ان يصنعه، فانه يسيء صنعه. من يتحمل اللوم اذاً؟ لا يتحمله المديرون الذين لم يدربوا العامل تدريباً صحيحاً، بل العامل المسكين وحده.

**س: الى أي حد تبلغ أهمية تحديث الآلات في تحسين الجودة؟**

ج: يتحدث كثيرون عن الحاجة الى آلات جديدة. ولكن اذا لم تكن تجيد استخدام ما بين يديك، فان الآلات الجديدة لن توفر لك سوى مجموعة أخرى من المشاكل. اني اعرف شركة استحضرت آلات جديدة، وبعد انقضاء ثلاث سنوات عادت تماماً الى النقطة التي كانت عندها حين اشترت تلك المعدات. كلا، ليست المعدّات الجديدة هي الحل. في معظم الحالات يمكن استخدام الآلات نفسها والمواد الخام عينها والعمال انفسهم بطريقة أفضل. على سبيل المثال، أعلن السيد غوهاي تانابي، الذي كان رئيساً لشركة "تانابي" للمنتجات الصيدلية، أنه خلال سنة من اجتماعنا عام ١٩٥٠ زادت شركته انتاجها من حامض "بارا - أمينوساليسيليك" ثلاثة أضعاف من دون أي رأسمال جديد. وهذا دواء يستخدم في معالجة داء السل.

**س: ما رأيك في التشغيل الذاتي والدماغ الالكتروني؟**

ج: تحاول شركات كثيرة جداً استخدام المعدّات الجامدة بدلا من الأدمغة البشرية. قال لي ذات مرة نائب رئيس احدى شركات التأمين: "سأشتري آلة جديدة ثمنها ثلاثة ملايين دولار." فأجبته: "بل ان ما تحتاج اليه في هذا المكان هو عدد من الادمغة البشرية يكلفك ٣٠٠ ألف دولار فحسب." رويت هذه الواقعة في محاضرة، وبعد ذلك اتصل بي رجل يعمل في شركة للهاتف قائلا: "انك على حق. اذا شئت أن أشتري آلة بثلاثة ملايين دولار، فسوف يأتي أربعة رجال ليصوغوا طلب الشراء. ولكن اذا شئت أن أشتري ما قيمته ٣٠٠ ألف دولار من الادمغة، أو حتى ٥٠ الفاً، فلن يساعدني أحد."

**س: قلت ان الصناعة اليابانية تفوقت على الصناعة الامريكية بسبب الادارة الفضلى. هل لك أن تشرح هذا القول؟**

ج: ان رجل الاعمال الياباني لا يعتبر نفسه بلغ من العمر أو من النجاح حداً يغنيه عن التعلم. انه في مركزه ليؤدي واجبه ويسعى دائماً الى الحصول على العون حيثما وجد. أما رجل الاعمال الامريكي فيشعر أنه حين يطلب العون يعتبر غير مؤهل للمركز الذي يتسنمه. كذلك المديرون الامريكيون يرغبون في الشراء بأرخص الاسعار ولا يأخذون مقياس الجودة في الاعتبار. غير ان السعر لا يعني شيئاً في غياب الجودة. في اليابان لا ينصب الاهتمام الرئيسي على الثمن، بل على الثقة بالسلعة.



الخليج. وفي ثوان اصبح احد زوارقهم قريباً من زورق اديث الذي قفز اليه اثنان منهم. ومع دخول الزوارق السياحية النهر حاذاها عشرون زورقاً اسماتياً راح ركابها يهزجون ويصخبون وهم يهاجمون الزوارق الغريبة. وما كادوا ان يفعلوا ذلك حتى تصدى لهم اكثر من عشرين زورقاً آخر تعمدوا ضرب زوارقهم. ونشبت معركة مفتعلة بين مجموعتي الأسمات. وعلت صيحات القتال الذي رافقه الغيظ الحقيقي على رغم كونه مصطنعاً. وشعرت اديث بالخوف: ماذا لو لجأوا الى العنف ؟

إلا أن صيحات القبيلتين الحربية توقفت لدى بلوغ الجمع القرية. وإذ ذاك اتخذت الزيارة طابع الاستقبال الودي الحميم.

**ذكريات لا تزول** - كانت رحلة اديث آيريش الى الجزيرة الحدث الرئيسي في مغامرتها البحرية السياحية عبر جزر اندونيسيا التي دامت شهراً. وهي تقول: "ان خبرة كهذه هي التي تحدد سياحة المغامرات، حيث السائح لا يعرف ما ينتظره. ولكن ما أن يحدث ذلك الأمر الغريب حتى يخلف وراءه ذكريات لا يأتي عليها الزمن.

وأهم ما في الأمر الاقدام والتحدي."

لكن المغامرات السياحية ليست كلها على هذا النحو. ولقد امضى دك سيلد وزوجته فريدا اسبوعاً في مزرعة مخصصة للمناطيد في كولورادو. وهو يقول: "الشعور الذي يمنحك اياه التحليق بالمنطاد مختلف تماماً عن الشعور الذي تستمده من التحليق العادي. فأنت تقف في سلة وترى الأرض تبتعد عنك. حتى زوجتي، التي لا تضمر حباً خاصاً للتحليق، أحبت ذلك كثيراً."

والمغامرات السياحية بدأت قبل ربع قرن مع ذهاب لارس اريك ليندبلاد الى الولايات المتحدة من السويد وتأسيسه شركة سياحية تحمل اسمه. واقتناعاً منه بأن الكثير من محجات السياح اتى عليه الابتذال، اخذ يبحث عن امكنة العالم الغريبة التي لم تطأها اقدام السياح. ومن أجل حمل الناس الى هناك أوصى ببناء سفينة "ليندبلاد اكسبلورر". وهكذا باتت شركته المؤسسة السياحية الاولى التي تأخذ زبائنها الى اماكن مثل اصقاع القطب الجنوبي وغرينلاند ومنابع نهر الأمازون وجزائر الغلاباغوس وغينيا الجديدة. كما نظم رحلات قنص سياحية الى افريقيا وفتح جزيرة الفصح للسياح، وكان من الأوائل الذين اخذوا زبائنهم الى بوتان والصين والتيبت. والنجاح الذي سجله حث الآخرين على تقليده، فنشأت شركات سياحية اخرى على غرار شركته، أبعدت السياحة قليلا عن الحافلات والبرامج الخاملة وألهبت حماسة السياح وحركت خيالهم وطاقاتهم واعصابهم.

والحق ان لسياحة المغامرة آفاقاً غير محدودة. وفي امكان المرء ان يتخير برامج تأخذه سيراً على القدمين او على صهوة جواد او دراجة او عربة جليد او قاطرة. واذا هو شاء المزيد من المغامرة، ففي امكانه اختيار سفينة او زورق جلدي او مظلة هبوط (باراشوت). او عدة غوص او تسلق في احد اجزاء رحلته.

والناس يأتون الى سياحة المغامرات اطفالا وشيوخاً، شباناً وشيباً. وهناك استاذة مدرسة متقاعدة في الثانية والثمانين قطعت ستة كيلومترات على قدميها عبر غابات جزيرة كومودو الاندونيسية الحارة والوعرة بعدما عقدت العزم على رؤية العظاءات التي تبلغ الواحدة منها الأمتار الثلاثة طولا والمعروفة باسم "تنين كومودو". وعلى رغم اصابتها بالارهاق من جراء القيظ فانها رفضت الاستسلام وتابعت رحلتها حتى النهاية. وهناك التقطت صوراً لتلك الكائنات الغريبة.

**غنى نفسي وروحي"** – ليس هناك أرقام دقيقة لسياحة المغامرات. لكن ثمة شواهد على ازدياد عدد الزبائن باطراد. وبعدما بلغت عائدات شركة ليندبلاد ٣،٧ ملايين دولار عام ١٩٧٠ ارتفعت الى ٣٦ مليوناً عام ١٩٨٣.

ونظراً الى طبيعة تلك السياحة غير التقليدية فان الزبائن يشعرون انهم حصلوا على تعويض ملائم للمال الذي دفعوه، واحياناً على مردود اكبر.

ومن يتعوّد هذا الضرب من السياحة يتولد لديه نفور من زيارة المدن التقليدية في الحافلات. ويقول سائح مغامر زار افريقيا: "لقد كانت رحلة عظيمة، على رغم ما تخللها من اختلال في مواعيد الطيران والطعام. وفي ودّي ان أكرر هذا النوع من الرحلات."

وهناك دوافع مختلفة لسياحة المغامرات. فبعضهم يجد القرب من الطبيعة مصدراً غنياً للمعرفة وآخرون يجدون في ذلك غنى نفسياً وروحياً. ويبقى اختيار الرحلة وقفاً على ذوق الشخص المعني ومقدرته. ومن الضروري دراسة برنامج الرحلة حسناً قبل الاقدام عليها.

واهم العوامل التي ينبغي اعتبارها الصحة. ذلك لأن هذا النوع من السياحة يحصل غالباً بعيداً عن الأطباء والمستشفيات أو في مناطق عالية عن سطح البحر يمكن ان تؤذي حتى أكثر الناس جرأة. لكن دراسة البرنامج واستشارة طبيبي الصحة والأسنان قبل مباشرة الرحلة تقي السائح اخطاراً كثيرة. ومن الضروري احياناً اجراء بعض التمارين الجسدية.

لكن حسن الاستعداد لا يلغي الأخطار كلها، هذه الاخطار التي قد تغري بعض السياح بدلا من تنفيرهم. وفي العام ١٩٧٢ اصطدمت سفينة "ليندبلاد اكسبلورر" بقاع البحر وسط عاصفة هوجاء في القطب الجنوبي. واضطر السياح والبحارة، وعددهم ١٦٨ شخصاً، الى اخلائها. وأنقذوا جميعاً بفضل سفينة ملاحة شيلية اعادتهم الى أمريكا الجنوبية. اما "ليندبلاد اكسبلورر" فقطرتها سفينة المانية الى شاطىء الأمان. وعلى رغم جميع الأهوال التي عاناها الركاب في تلك الرحلة، وبعضهم متقدم في السن، فانهم عادوا في السنة التالية الى المكان نفسه في القطب الجنوبي. وبذلك قدّموا اعظم شهادة صامتة على روعة سياحة المغامرات.

وهناك حقيقة لا نكير لها، وهي ان سياحة المغامرات مزيج من مواقف الدهشة والتعلّم، وانها تخلف لدى المرء ذكريات لا تفارقه البتة. فهلاّ أقدمت على سياحة من هذا النوع المرّة المقبلة؟


■ جون فولر

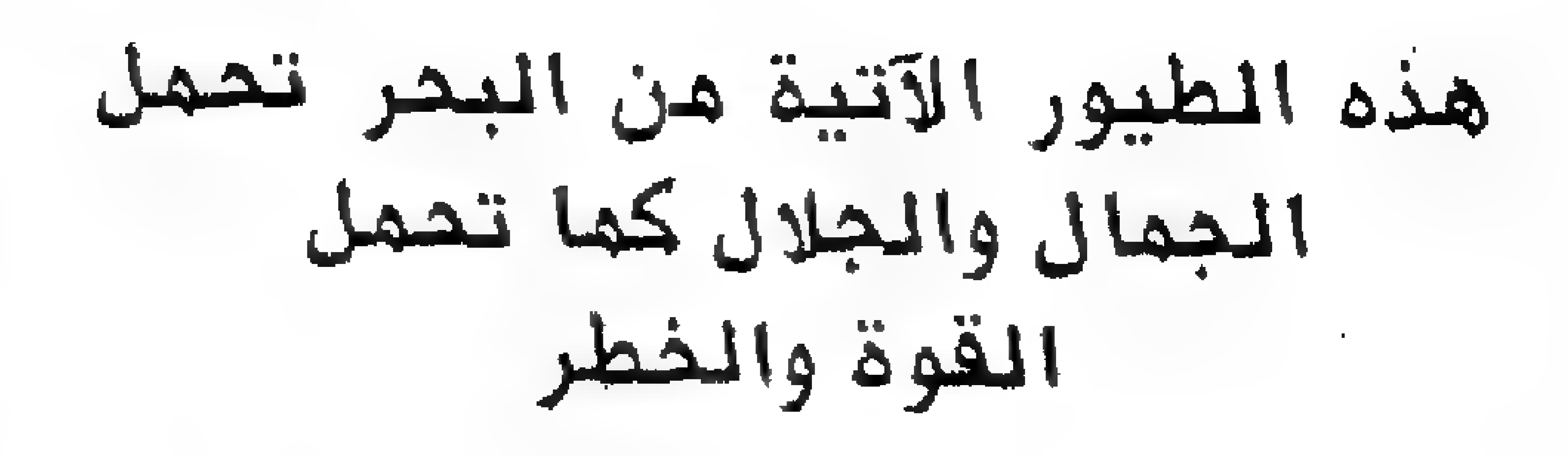
## واجب منسي

ملأت ربة منزل وقتها بالعمل والدرس والرياضة، بحيث صار لزاماً عليها أن تسجل واجباتها اليومية على ورقة لئلا تنساها. وبعد أسبوعين من اعتمادها تلك الطريقة قالت لزوجها: "حقاً ان موهبتي التنظيمية قوية. فأني لم أنسَ أياً من واجباتي منذ اعتمادي هذه الطريقة."

وفي اليوم التالي نظرت الى قائمة الواجبات، فوجدت أن زوجها أضاف الآتي بخطه: "ينبغي أن أثير زوجي."

م٠هـ٠





**هذه الطيور الآتية من البحر تحمل الجمال والجلال كما تحمل القوة والخطر**

# أسراب النورس

هي خارج نافذتي الآن، تتدافع وتدندن وتصرخ وهي تسعى الى طعامها على شاطىء انحسرت مياهه بفعل الجزر، فتجهز على البطلينوس هنا وعلى السرطان هناك. وينعطف اثنان منها الى سطح منزلي ويحاول احدهما حمل الآخر على التخلي عن غنيمته، فيما الطيور الاخرى تتابع انشودتها الدهرية.

انها أسراب النورس. واذ يراقبها المرء وهي تحلق بأجنحتها البيضاء في الجو الأزرق، يقف مندهشاً حيال جمالها وجلالها. ولكن مهما يكن من نعومة هذا الطائر البحري، فانه كائن قوي صمد في معركة البقاء التي اسفرت عن العمران العصري. والنورس يسعى الى المهملات الكريهة باحثاً فيها عن غذائه.

والعديد منه يقصد اليابسة بعيداً عن الشاطىء ليغتذي على فضلات الطعام ويبيت في الاراضي السبخة ووسط الحفر المفروشة بالحصباء. والنوارس التي تقتات بالقمامة تلد عدداً من الفراخ يفوق ما تلده رفيقاتها الباقيات فوق الشطآن والجزائر البعيدة حيث يقل الطعام.

والواقع ان "النورس" اسم جامع أُطلق خطأ على ٤٣ فصيلة من عائلة "لاريدا" التي لا تصرف سوى اقلية منها معظم وقتها فوق البحار. أما "نورس الرنكة"، وهو اكثرها عدداً، فيقصد اليابسة بحثاً عن مكان ملائم للتناسل. وفي ذلك المكان تتوزع الطيور مجموعات منتظمة من حيث الجنس والسن والقوة، وتتولى الذكور حماية السرب. ويقترب احدها من مجموعة دعائم ويجثم فوق اعلاها ثم ينفش ريشه. وتقترب منه بعض الذكور الاخرى محاولة زحزحته من مكانه. فاذا استطاع احدها الاستيلاء على المكان، انحدر المهزوم الى دعامة اوطأ مسلماً بزعامة زميله المنتصر.

**على أجنحة النسيم ـ المجال الحيوي** للنورس هو الفضاء. واذا صادف نورسان فريسة في الهواء، فهما يتسابقان عليها تحليقاً وتحويماً وحذقاً، حتى اذا حصل واحدهما عليها التهمها لقمة سائغة خلال طيرانه. وقد سجلت سرعة النوارس، بالنسبة الى انواعها وأوضاعها المختلفة، بين ٣٠ و ٨٠ كيلومتراً في الساعة.

وفي استطاعة النورس ان يمد جناحيه الطويلين ويطير ساعات. ولم يتمكن الانسان من ابتكار حيلة هندسية تضاهي حركة جناحي النورس الهوائية. وعند هبوب النسيم تبدو النوارس، وهي عائمة في الفضاء، كأنها لوحة رسام. وهي تستطيع التحليق ضمن التيارات الهوائية الصاعدة او في خطوط المراكب البحرية، مبقية قوائمها تحت ريشها لادخار الطاقة. وريش النورس منسق في طبقات لتأمين أفضل عزل للعوامل الخارجية، في حين ان قوائمه تحميها صمامات صغيرة تنقل الدم الدافىء الى اصابعه الشبكية.

قليلة هي الكائنات الحية التي تستطيع هضم الاطعمة الغنية التي تأكلها النوارس، وبينها التوت والشعير وبزور اليقطين من النبات، والفئران الميتة والعوالق البحرية والعث والذباب والجنادب من الحيوان. وفي ولاية يوتاه الامريكية التهمت اسراب النورس عام ١٨٤٨ معظم الجنادب التي تهدد المزروعات. فما كان من جماعة المورمون الدينية الا ان اقامت في مدينة سولت ليك سيتي نصباً يعلوه نورسان.

والى معدته الفولاذية يتمتع النورس بمنقار فاغر ومريء ضخم يجتمع فيه ثلث وزنه تقريباً. ويقول احد المراقبين انه شاهد نورساً يحلق في الفضاء وقد تدلت من فمه قائمتا أرنب.

والنوارس تشرب المياه المالحة بفضل غدتين خاصتين في رأسها



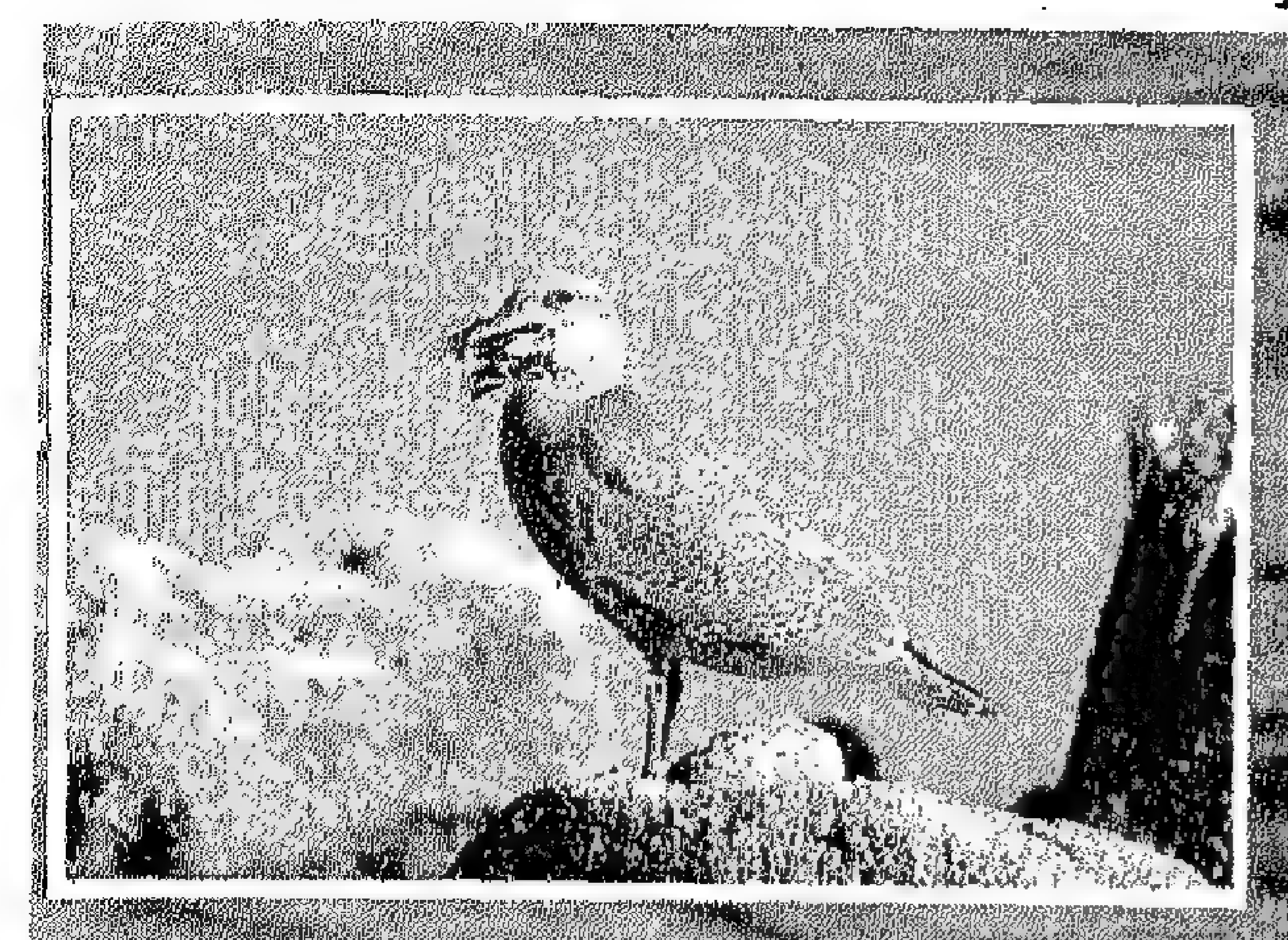
Photo: R.W. & E.A. Schreiber/ Animals, Animals

تتوليان تحلية الماء وفرز الملح من الفم. وتتجلى قوة هذه الطيور في اندفاعها الى الأمام والوراء على الشاطىء، تبعاً لحركة الموج، وهي تصيد السراطين والرخويات.

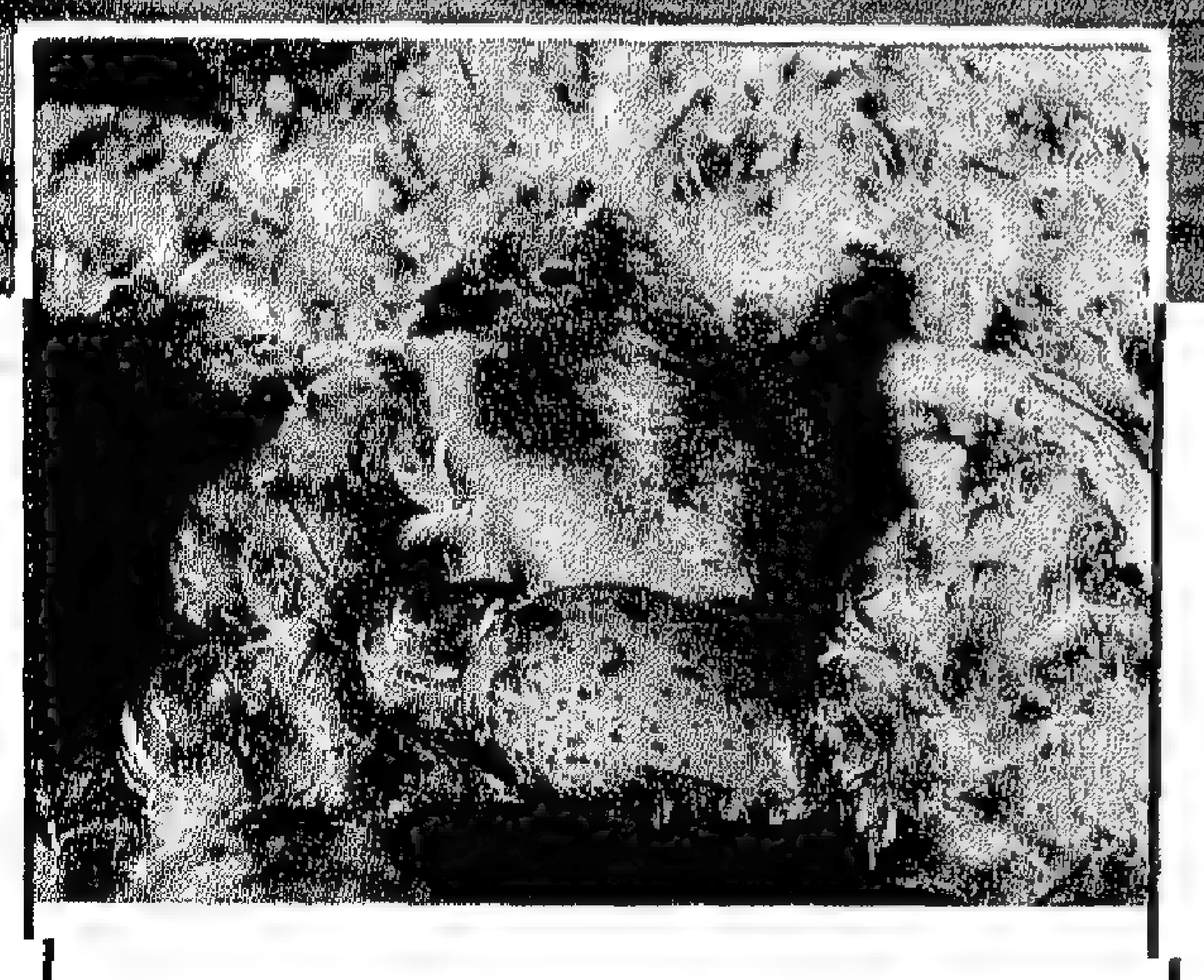
وفي الربيع تطير النوارس جنباً الى جنب طلباً للحماية المتبادلة خلال فصل التكاثر. وتختار شاطئاً خالياً او جزيرة مهجورة حيث تقتطع أرضاً تعلّمها بالحدود ونقاط المراقبة والأعشاش. وتلازم الطيور الأكبر سناً تلك الأعشاش القائمة في وسط الموقع حيث الجلبة تصم الآذان.

**علامة فارقة** — مع وصول الطيور يختار كل ذكر قطعة الأرض الخاصة به ويفرض سلطانه عليها. وما ان تفد انثاه حتى يتجامعا ويحفرا عشاً في التراب. ومعظم النوارس تحافظ على انثاها مدى الحياة ولا تسعى الى غيرها. وقد حار علماء الطيور طويلا في السر الذي يمكن احد الشريكين من معرفة الآخر، حتى اكتشفوا اخيراً ان العلامة الفارقة في بعض الطيور هي دائرة ملونة حول العين. وللتأكد من ذلك صبغوا تلك الدوائر بألوان اخرى مما أدى الى كسر زيجات سعيدة.

واذا كان الطائر جديداً في أرض التكاثر او حديث البلوغ، فهو ينتظر مجيء شريكة. وتفد الاناث الأبكار اسراباً الى ذلك الموقع وهي تسعى بدورها الى الجنس الآخر. واذا وقع نظر احداها على ذكر في موقع حسن، حطت لتوها وراحت تنفض ذيلها تيهاً. والنوارس من الطيور التي لا







الى اليسار: نورس الرنكة يحمل سرطاناً.
الى اليمين: (من فوق الى تحت) نورس غير بالغ من النوع الذي يكثر على ساحل المحيط الهادىء، نورس اسود الظهر قرب عشه، فرخ اسود الظهر.



تتملق· فاذا لم يعجب الذكر بالانثى، ابعدها فوراً عن حدوده،

والانثى هي التي تأخذ المبادرة في العادة، فتصئي وتحك أنفها على أنف الذكر وتلامس بمنقارها أسفل منقاره· ويقاومها الذكر بادىء الامر، لكنه لا يلبث ان يرضخ لالحاحها ويندفع الى الوراء، وتلك علامة الاستسلام· وباطعامه الانثى، يبرهن الذكر عن قبوله اياها واستعداده لتزويدها بالطعام· وتتم المجامعة، وخلال ثلاثة اسابيع تضع الانثى بيوضاً ثلاثاً في العش·

وفي فترة الحضانة التي تدوم شهراً بعد التفقيس، تعيش الفراخ تحت خطر غزو الثعالب والقنافذ وبنات عرس والأفاعي والغربان، وخصوصاً النوارس الاخرى· الا ان الثلاثين في المئة التي تبقى من تلك الفراخ تنمو بسرعة وهي تغتذي من مكان خاص في منقار كل من ابويها· ولا يغادر الوليد مسقط رأسه الا بعد اكتمال نموه، علماً ان ريشه الأصلي المرقش يستغرق سنوات ثلاثاً قبل ان يكتسي الوان البلوغ، وهي الأبيض الناصع والرمادي والأسود·

والنورس البالغ يعمر طويلا لأنه لا يشكل فريسة لأحد. وقد تعرف علماء الطيور على نوارس علّموها قبل عشرين سنة.

ومن العسير التصديق ان النوارس كادت ان تنقرض في بعض الأمكنة قبل قرن واحد من الزمن. الا انها صمدت أمام محاولات جامعي بيوضها فوق الساحل الشرقي للولايات المتحدة وامام محاولات مسمّنيها في بريطانيا اعداداً لطهوها كالاوز وتوسيطها الموائد. ثم جاء عصر القبعات النسائية المزركشة. ومع طغيان اللون الأبيض على الأذواق باتت النوارس على الساحل الامريكي الشرقي عرضة لبنادق الصيادين.

**في المطارات** - لكن النجدة كانت آتية. ففي العام ١٨٩٦ شنت مجموعة من نساء بوسطن، آلمها زيف بنات جنسها المعتمرات، حملة على صيد النوارس عبر ممثلي الشعب. وأسفرت تلك الحملة عن حمل النواب على اصدار قانون ينص على حماية تلك الطيور الجميلة من الصيادين.

وعادت النوارس الى التكاثر في امريكا الشمالية حيث توجد اليوم ٢٥ فصيلة من اصل فصائلها الثلاث والأربعين. وهي تنظف الشطآن والأماكن العامة من الأوساخ، فيما تشكل فضلاتها سماداً للمراعي الساحلية والمزارع القائمة فوق الجزر. الا ان ثمة نوارس تعتدي على الطيور الاخرى، خصوصاً على الخراشن الضعيفة التي تنتمي الى عائلة النورس نفسها. وقد حاول علماء الطبيعة، بدرجات متفاوتة من النجاح، حماية مناطق استيلاد الخراشن من غزو تلك الفصيلة المعتدية. الا ان محاولة ثقب البيوض آلت الى اخفاق عندما وضعت النوارس المزيد من البيض. وما لبثت ان اكتشفت الطعوم المسممة وباتت ترفضها.

ولقد امتد خطر النوارس الى معيلها الرئيسي، الانسان، عندما اقتحمت اسرابها مجاثم الطائرات وسدت محركاتها النفاثة مما أدى الى احداث قاتلة. ويتعين على دوريات مكافحة النوارس في المطارات تعقّبها باستمرار، لأنها متى توقفت عادت تلك الطيور لتعوق المحركات.

ولكن من حسنات النوارس انها تنظف بعض الامكنة العامة وتخصب التربة. وهكذا نستطيع الاستمتاع بهذه الطيور المفيدة والذكية والجميلة وهي تحلق عالياً في الفضاء.

■ ا.ب. ويبل

---

## رغيف نار

عين جارنا حارساً لمراقبة الحرائق في احدى الغابات. وذات مساء شاهد التماعات في الافق فخابر المكتب المسؤول فوراً.

وبعد نصف ساعة خابره رؤساؤه يسألون عن انتشار الحريق. ووضع المنظار على عينيه ليرى بدراً كاملا في قبة السماء.

ا.س.

كتاب الشهر

# الإعلام المعاصر




مُلخّص من كتاب

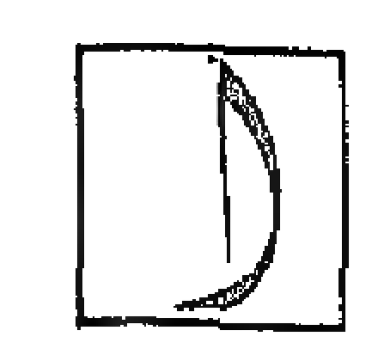
بقلم: بن واتنبرغ

# الإعلام المعاصر




مارس المؤلف التعليق الصحافي والتربية، وعمل معاونا للرئيس الأمريكي السابق ليندون جونسون ولعضوي مجلس الشيوخ هيوبرت همفري وهنري جاكسون. وكمتفائل بطبعه، رفض على الدوام نظرات العصر الكالحة. لكنه، من ناحية واقعية، قَلِق من أثر الأخبار السيئة التي تميز الاعلام المعاصر على المجتمعات الحرة في المدى البعيد.

وهو هنا يتناول بعض أبرز أخبار العقد الأخير وأخطرها، ويبين انها مخطئة وان العالم اليوم أفضل حالا مما يصوّر دعاة الشؤم، إن لم يكن أفضل من أي وقت مضى.



اننا نعيش وسط مرحلة من اليأس الظاهر. فثمة محافظون كثيرون يخبروننا بأسى ان قيمنا تتفتت، وتقدميون كثيرون يقولون ان نوعية الحياة على تقهقر. ويبدو أن هناك اجماعاً على ان الوضع الاقتصادي في جزء كبير من العالم ما زالت تغلفه الفوضى.

هذه هي فحوى القصة التي تحملها الينا وسائل الاعلام العصرية وتغلفها، معظم الاحيان، بالذعر الذي اكتسب أهمية تجارية في الآونة الاخيرة. وقبل عرضها على شاشات التلفزيون، يتم ربطها بالخطابة السياسية وفنون الكلام.

وعندي أن هذه الصورة المفعمة بالقتام واليأس مخطئة. والأكثر من هذا أنها خطرة. وفي رأيي اننا نعيش في عالم بات، في معظم جوانبه، أعظم من أي وقت مضى. فالناس اليوم يعمرون أكثر ويتمتعون بصحة ومال أوفر. وفي العالم الذي لا تسوده العقائد الشمولية على الأقل، يختبر الناس الحرية وتحقيق الذات أكثر من أي وقت مضى. وهذا كله يفضي بنا الى السؤال الآتي: كيف نستطيع العمل تحت الخطأ القائل بأن الامور تجري في عكس اتجاهها الصحيح؟

لقد انقضى ربع قرن على استئنافنا ذلك الموضوع القديم حول نوعية الحياة. ويمكن القول ان الاهتمام المعاصر بوقف تدهور البيئة بدأ مع نشر كتاب المؤلفة الامريكية راشيل كارسون الشائع "الربيع الصامت" عام ١٩٦٢.

وفي رأي كارسون ان المواد الكيميائية التي باتت تضاف الى المزروعات، وفي طليعتها مبيد الحشرات "د.د.ت"، تبقى حيث هي ويمكن ان تحمل أذى بالغاً الى النبات والحيوان والانسان. وفي مناقشة كارسون نقطة أكثر أهمية، وهي ان حياتنا العصرية تكاد تفلت من أيدينا، والأفضل أن نفعل شيئاً لدرء الكارثة.

هذا المذهب عُرف باسم "الحفاظ على البيئة". وقد وجد طريقه الى الكثير من الحركات الفكرية والعملية والسياسية اليوم.

والحق ان المدرسة الفكرية المذكورة قدمت معلومات غنية في حقول شتى. لكني أذهب الى أنها مخطئة وهدامة من حيث هي نظرة فلسفية شاملة. وللبرهان على ما نقول، يجدر، بادىء الامر، ان نعرض هذه النظرة كما يطرحها دعاتها:

**أولا: التلوث**

كان تلوث النبات الذي تكلمت عنه كارسون حافزاً لبعضهم الى التحذير من تلوث الماء وتلوث الهواء والاشعاع والتسمم بالزئبق والفضلات الكيميائية والكيبون والمطر الحمضي.

**ثانياً: الانفجار السكاني**

بعد الحرب العالمية الثانية، شهد عدد السكان زيادة كبيرة، إذ أصبح اربعة مليارات و٧٠٠ مليون نسمة عام ١٩٨٣ بعدما كان مليارين و٤٠٠ مليون نسمة عام ١٩٤٥. وطالما أخبرنا جماعة البيئة ان المجاعات والاوبئة

والكوارث الاقتصادية والحروب تلي الانفجار السكاني·

**ثالثاً: تضاؤل الموارد**

واضح انه كلما زاد عدد السكان زادت الحاجة الى الموارد· وفي العام ١٩٧٢ عمد "نادي روما"، وهو تجمع دولي للعلماء والمربين والصناعيين والموظفين الحكوميين، الى نشر تقرير بعنوان "حدود النمو"، عوّل واضعوه على الادمغة الالكترونية لتعطيهم النتائج بعد امدادها بالمعلومات· وقد وضع ذلك التقرير بنظرة مستقبلية، وجاء فيه ان العالم المادي، اذا استمرت الاتجاهات المعاصرة مئة سنة اخرى، لن يقوى على منحنا الموارد الضرورية للمحافظة على مستوى معيشي مرتفع، وان اهدارنا الموارد المحدودة الحالية قد يؤدي الى "هبوط مفاجيء، لا يمكن وقفه، بالنسبة الى عدد السكان والطاقة الصناعية"·

**رابعاً: الاستهلاك**

في تقدمنا عبر القرن العشرين، سمعنا ان نوعية حياتنا اعترضتها ايضاً المنتوجات الجديدة الخطرة، وغدت هذه المنتوجات، ومنها حبوب منع الحمل والمحليات الاصطناعية، عرضة لتساؤلات المستهلكين·

وهكذا طغت الاخبار السيئة على كل شيء: التلوث سيىء للصحة، المستقبل غير آمن لأن الموارد قليلة وعدد الناس كبير· منتوجات هذا العصر خطرة··· ناهيك بالاخبار السيئة التي تنقلها الاذاعات وشبكات التلفزيون يومياً الى بيوت الناس·

هذه هي القضية باختصار· ولم أشأ اعتماد التضخيم في عرضها· وأود القول انه ما من انسان عاقل يعارض أهمية الحفاظ على البيئة وتحسين نوعية الحياة· ولا أحد يسعى الى السباحة في مياه ملوثة او يلتهم المواد التي تسبب الامراض· ولا شك في ان الكثير من صفارات الانذار أطلق في الاتجاه الصحيح·

الا ان هذا ليس لب الموضوع· والمهم في الامر ان أنصار الحفاظ على البيئة ادعوا ان نوعية حياتنا الحاضرة سيئة، وانها تتجه نحو الاسوأ· وهذا هو الرأي الذي أود دحضه·

## حياة أغنى

لنبدأ بحقيقة حاسمة: في المجتمعات التي يقال ان السكان أكثر تعرضاً لاخطار البيئة، ألا وهي المجتمعات الصناعية، ارتفع معدل التعمير كثيراً خلال العقود الاخيرة· وقد نشر مركز البحوث الدولية التابع لمكتب الاحصاء الامريكي التقرير الآتي عن معدل التعمير بعد الاربعين في أربعة بلدان صناعية رئيسية هي الولايات المتحدة والمانيا الغربية واليابان واسوج (السويد) بين ١٩٥٠ و١٩٨٠:

| السنة | الزيادة فوق الاربعين | معدل الزيادة |
|---|---|---|
| ١٩٥٠ | ٣٢،٤ | — |
| ١٩٦٠ | ٣٤،٢ | ١،٨ |
| ١٩٧٠ | ٣٥ | ٠،٨ |
| ١٩٨٠ | ٣٧ | ٢ |

يضاف الى هذا ان المستقبل القريب يبدو مشرقاً كالماضي القريب. وتقول آيلين كريمينز، استاذة علم الشيخوخة المرموقة في جامعة جنوب كاليفورنيا:"لقد دخلنا مرحلة جديدة من قهر الموت، هي مرحلة التعمير حتى الشيخوخة". وهناك جان بورجوا - بيشا عميد علماء السكان الفرنسيين الذي يقدم رأياً أكثر تفاؤلا من رأي الاستاذة كريمينز اذ يذهب الى ان الشخص العادي الذي يعيش في بلد غربي ويبلغ الخامسة والستين عام ٢٠٠٠، يمكنه ان يتوقع بلوغ المئة.

ولكن ما الذي يحدث حقاً؟

أليست تلك العقود الاخيرة هي العقود عينها التي واجهتنا خلالها عناوين الصحف بالاخبار القائلة ان تلوث الهواء يتغلغل في رئاتنا والاشعاع يفتت أحشاءنا والمواد الحاملة السرطان في كل مكان حولنا؟ لكن الشواهد تشير الى عدم حدوث أي من هذه الامور. والواقع اننا بتنا نعمر أطول وقد تحرّرنا من أمراض كثيرة.

ولكن اذا شئنا توخي الدقة، لقلنا ان الارقام المذكورة تقتصر على طول الحياة ولا تتعداه الى النوعية. الا انها الخطوة الاولى لدحض ذلك الوجه الكالح للاخبار.

وهناك رابط حتمي بين ما نعتقده والقرارات الحياتية التي نتخذها. واذا اعتقدنا ان عالمنا موبوء وان الرواسب السمية تتسبب في ولادة الاطفال المشوّهين وان محطة نووية ما قد تنفجر في أي لحظة، فلا بد من أن ينطلق سياسيونا من هذه الامور لوضع تشريعاتهم.

ومن الامثلة على ما تقول "قرار الهواء النقي" الذي اتخذته الحكومة الامريكية عام ١٩٧٠. هذا يكلف القطاعين العام والخاص ٣٠ مليار دولار سنوياً. وقد أدى الى رفع جميع الاسعار بالنسبة الى الفقراء والاغنياء معاً. غير ان ثمة علماء مرموقين داخل الحكومة وخارجها يطرحون اليوم هذا السؤال: "هل هناك حقاً دليل على ان قرار الهواء النقي أسفر عن تقدم صحي يعادل المال المبذول من أجله سنوياً؟"

أليس من الافضل تحويل بعض ذلك المال الى مجال بحوث السرطان أو اعانة الفقراء؟

لكن أخبار الشؤم ولدت جواً من الجنون، في الولايات المتحدة وأمكنة اخرى، بحيث لم تعد هذه الاسئلة تُثار. وهكذا بات السياسيون يضعون خططاً قائمة ليس على معلومات مخطئة بالضرورة، بل على مغالات مضخمة.

### ندرة المواليد

النموّ السكاني الذي شهده العالم في الخمسينات أدى الى ظاهرة أطلق عليها اسم "الانفجار السكاني". واذا شاء المرء تحليل هذه الظاهرة اليوم، فعليه ان يتناولها على حدة في كل من البلدان الصناعية والبلدان النامية.

لقد انتهت ظاهرة الانفجار السكاني في البلدان الصناعية، حيث هبط معدل الولادة بالنسبة الى المرأة

الواحدة، خلال العقود الثلاثة الاخيرة، من ٢،٨ الى ١،٩. والرقم الاخير يشير الى أمر مخيف، اذ انه أدنى من المطلوب للحلول محل" عدد السكان الحالي، الامر الذي يعني ان العالم الصناعي يفقد سكانه مع الوقت اذا استمر" معدل الولادة على هذا المنوال.

هل يمكن تصنيف هذا الخبر في عداد الاخبار الطيبة؟

الجواب: "نعم" قياساً بالمناقشة القائمة على "نوعية الحياة"، خصوصاً في المديين القريب والمتوسط. فاذا كانت كثرة السكان تستتبع تلويث البيئة واستنزاف مواردها، فلا شك ان قلة عددهم تلطف هذه الامور.

الا ان هبوط معدل الولادة المطرد من شأنه خلق مشكلة عويصة في المدى البعيد، خصوصاً في بعض البلدان من دون سواها.

وكان توماس مالطوس، أبو الاحصاء، لاحظ عام ١٧٩٨ ان التبدلات السكانية ذات طبيعة حسابية، مركزاً على الجانب المشرق من المسألة. وللتدليل على نظرته، لنأخذ زوجين لهما أربعة أولاد، ولكل من الاولاد والاحفاد وأحفاد الاحفاد أربعة أولاد. هذا يعني انه ما ان يأتي الجيل الخامس حتى يصير نسل الزوجين الاساسيَّيْن ١٠٢٤ فرداً. وهذا هو نوع الحساب الذي أدى الى فكرة "الانفجار السكاني".

ولكن غاب عن بال مالطوس ان ثمة جانباً آخر لمناقشته الحسابية هو الجانب الادنى. ولنأخذ الآن ١٠٢٤ زوجاً وزوجة، لكل" منهما ولد واحد عوض اربعة اولاد، الامر الذي ينطبق على الاود والاحفاد حتى الجيل الخامس. فما ان يأتي هذا الجيل حتى تنحل" الاسرة الرئيسية الى ٣٢ عضواً.

والمناقشة الحسابية ليست بالامر التافه، لكن لها وجهاً صاعداً وآخر نازلاً. واذا أخذنا مثل المانيا الغربية اليوم، وجدنا دراسة حديثة لعالم السكان كارل هاوب، تظهر سرعة عمل الحساب السلبي. واذا استمر معدل التوليد لدى نساء المانيا الغربية كما هو اليوم، أي ١،٤ (أطفال) للمرأة الواحدة، فان عدد سكان ذلك البلد سوف يتقلص من ٦٢ مليون نسمة الى ٥٢ مليوناً في نهاية القرن الحالي، والى ٤٠ مليوناً في منتصف القرن الحادي والعشرين، ثم الى تسعة ملايين في اواخره. واذا شئنا الاستمرار في هذا الضرب من المنطق، لقلنا ان عدد سكان المانيا الغربية سيغدو ربع مليون عام ٢٥٠٠.

وفي حين يكشف الوجه الآخر لنظرية مالطوس عن نفسه في البلدان الصناعية، الا انه بعيد عن البلدان النامية، على رغم تدني معدل التوليد للمرأة الواحدة من ٦،١ قبل ثلاثين سنة الى ٤،٢ اليوم. وهذا جيد في ذاته بالنسبة الى نوعية الحياة، لكنه ليس جيداً بالمقارنة مع البلدان الصناعية في المدى الطويل. واذا كان كل ثلاثة أفراد في البلدان النامية يقابلهم فرد واحد في البلدان الصناعية، كما هو عدد السكان الحالي، فاستمرار الوضع على ما هو يجعل النسبة ٨ الى واحد في نهاية

القرن. وفي ذلك الوقت، سيكون عدد سكان البلدان النامية ٨ مليارات و٨٠٠ مليون، وعدد سكان البلدان الصناعية ملياراً واحداً ومئة مليون. وهذا يعني الانتحار الجماعي لتلك البلدان.

واذا صحت هذه التوقعات، فهذا يجرّ الى خسائر اقتصادية وقومية وحضارية وسياسية، اذ يعني اضمحلال البلدان التي تمتلك الثروة والتكنولوجيا والانظمة السياسية المنفتحة. وكيف لهذه الانظمة ان تبقى اذا اختفى حماتها او باتوا أقلية ضئيلة؟

غير ان التخمينات ليست حقائق بالضرورة. وما قلناه ليس حتمياً اذا ارتفع معدل الولادات في العالم الغربي. وهذا الارتفاع سوف يحصل لانه ضروري. لكن المشكلة ان عكس التعاقب الحسابي، في أيّ اتجاهيه، يستغرق وقتاً طويلا جداً. ومن اليوم حتى حدوثه، وخلال حدوثه، قد تشهد طبيعة الكون تبدلا لغير مصلحتنا ومصلحة ذريتنا.

ومن الطرائق التي يمكن أن تلجأ إليها البلدان الصناعية لوقف الانخفاض التدريجي في عدد سكانها تشجيع الهجرة. لكن الهجرة تخلق مشكلات كثيرة، وإن تكن برهنت، بالنسبة الى المجتمع الامريكي التعددي الذي أسسه المهاجرون والذي ما برح يقبل المزيد منهم، عن جانبها الايجابي.

لقد حصلت الولايات المتحدة على مكاسب كثيرة، اقتصادية وغير اقتصادية، من مهاجريها الاوروبيين والمتحدّرين منهم. والسؤال اليوم هو: هل تستمر هذه المكاسب مع حلول مهاجري العالم الثالث محل المهاجرين الاوروبيين؟ لقد وفد ٨٢ في المئة من المهاجرين الى الولايات المتحدة بين ١٨٢٠ و١٩٦٠ من اوروبا، إلا ان ١٨ في المئة يفدون اليوم من اوروبا، فيما يأتي الآخرون من امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا.

وفي رأيي ان هذه الظاهرة ليست مخيفة، بل ايجابية. ولئن صح ان منطقة ميامي في ولاية فلوريدا تشهد موجة اجرام على أيدي مهاجرين كوبيين، الا ان وسائل الاعلام لم تكترث للازدهار التجاري الذي حققته الجالية الكوبية في ميامي، والذي حوّل المنطقة بوابة ذهبية بين شمال القارّة الأمريكية وجنوبها بعدما كانت مدينة راكدة اقتصادياً.

وكانت الهجرة المكسيكية الاولى خلفت تجمعات سكانية مستقرّة ومتدينة في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة. وليس من دليل على ان وفود المزيد من المسيكيين اليوم سيخلق مشاكل.

والواقع ان الولايات المتحدة غدت، بفضل الهجرة، المجتمع الأوّل في العالم الذي يتصف بالعالمية الحقّة. وإذا أخذنا السياسة الخارجية مثلا، لوجدنا كل فئة عرقية أو قومية في الولايات المتحدة تدّعي لنفسها حصة في السياسة الخارجية للبلاد. وكل ديبلوماسي يعرف ان ثمة "علاقة خاصة" أمريكية - بريطانية. وهذه الخصوصية تُعزى الى كون العديد من الأمريكيين متحدّراً من مهاجرين بريطانيين، والى ان جزءاً كبيراً من

الحضارة الأمريكية مستمدّ من الانكليز. وليس من قبيل المصادفة أن يكون الأمريكيون هبوا لنجدة بلدهم الأمّ لدى اندلاع أزمة جزائر فولكلاند (مالوين) بدل نجدة جارتهم اللاتينية الارجنتين.

ومن أسباب تصلّب السياسة الأمريكية حيال الاتحاد السوفييتي إخضاعه اوروبا الشرقية لحكمه، علماً ان عشرات ملايين الأمريكيين يتحدّرون من تلك البلدان. وعلى رغم كون تركيا عضواً في حلف شمال الاطلسي الذي تتزعمه الولايات المتحدة، إلا ان واشنطن لا تبيعها السلاح بسهولة لأنّ ثمة امريكيين كثيرين يتحدّرون من أصل يوناني، ومن شأنهم صبّ الغضب على ممثليهم في مجلسي النواب والشيوخ إذا هم أعانوا تركيا، عدوّة اليونان التقليدية. والشيء نفسه يقال على سياسة الولايات المتحدة تجاه افريقيا السوداء التي شهدت تبدلا ملحوظاً في السنوات الاخيرة تبعاً للأثر السياسي الذي اكتسبه الأمريكيون السود.

وها نحن نشهد أثراً كوبياً على السياسة الخارجية الأمريكية، كما نشهد أثراً مكسيكياً متزايداً لا بدّ من أن تظهر فاعليته في سياسة الولايات المتحدة تجاه المكسيك.

ولكن ماذا يمكن قوله عن المهاجرين الآخرين من بقية بلدان امريكا اللاتينية، وعن الهجرة الآسيوية الجديدة؟ وما هي المسائل التي ستثير المهاجرين الى الولايات المتحدة من امريكا الوسطى والعالم العربي والفيليبين والهند؟

مهما تكن طبيعة هذه المسائل، فلا شك ان كل جماعة قومية في الولايات المتحدة ستحمل مصالح بلدانها الأمّ الى القرار الأمريكي. ومن المؤكّد أن تبقى التعددية مصدر غنى وانفتاح وحرية، بعيداً من كل انعزالية سياسية أو حضارية.

ولئن تكن الهجرة الى الولايات المتحدة عاملا إيجابياً للتغلب على المشكلات الناجمة عن هبوط عدد المواليد في المدى الطويل، إلا انها لا تبدو حلّا فعالا بالنسبة الى المجتمعات غير التعددية، كما هي حال اليابان ومعظم البلدان الاوروبية. والحل الوحيد لتلك المجتمعات هو رفع معدّل الانجاب.

### النفاد

ثمة جوانب اخرى من نظرية نفاد الموارد البشرية والطبيعية تمّ دحضها في الآونة الأخيرة. ولنأخذ النفط مثلا على ذلك. طالما أُشيع ان النفط على طريق النفاد الأمر الذي رفع سعر البرميل من ثلاثة دولارات الى ٣٩ دولاراً. وحقيقة الأمر أنّ النفط لم ينضب أو يخفّ البتة. وفي أوج سلطان منظمة البلدان المصدّرة للنفط (اوبيك)، لم تضخّ هذه البلدان أكثر من ثلاثة أرباع طاقتها النفطية يومياً.

وسرعان ما تبين أنّ نظرة "النفاد" تُعزى الى الانسان، لا الى الطبيعة. وظلت تلك النظرة فاعلة بضع سنوات الى أن تمكنت البلدان المستهلكة من ابتكار بدائل ووسائل للتوفير. ومن البدائل الطاقة النووية

في فرنسا والغاز الطبيعي في الولايات المتحدة والنفط المصنوع من الفحم في جنوب افريقيا والغازوهول في البرازيل والطاقة الكهرمائية في كندا، فضلا عن صنع سيارات أصغر حجماً في ديترويت وطوكيو وعن ادّخار مقادير من النفط واكتشاف كميات أكبر في معظم الأمكنة المعنية، مثل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة والمكسيك وبريطانيا والنروج وكندا. ولدينا اليوم ما يمكن أن نسميه "تخمة نفطية".

وعندما لجأت "اوبيك" الى حربها النفطية عام ١٩٧٣، قيل آنذاك ان النفط الباقي في جوف الارض يبلغ ٦٦٤ مليار برميل. وبعد عشر سنين استهلك العالم خلالها ٢١٦ مليار برميل، تبين ان جوف الارض يحوي ٦٧٠ مليار برميل نفطاً. فكيف حصل هذا؟ وهل صحيح ان النفط يتجه نحو النفاد؟

كلا، هذا غير صحيح. والواقع ان الاساليب الحديثة تمكن العلماء من اكتشاف المزيد من النفط يوماً بعد يوم. وهذا يعني أنّ أعظم الموارد التي يحيا بها الانسان ليس دفيناً تحت قشرة الارض، لكنه مخبوء تحت قشرة الدماغ البشري.

ان السوائل التي انتفت الحاجة إليها أصبحت نفطاً، والصخور المتفتتة صارت فحماً، واستحالت سواها معدناً ثميناً هو الاورانيوم، وهذه كلها أُطلق عليها اسم "الوقود". والحق ان العقل البشري هو المورد الذي تتفرّع منه الموارد الاخرى كلها، بما فيها "الطاقة". لذلك غدت الطاقة أغنى من أي وقت مضى.

## عالم أقلّ خطراً

"حسَناً"، قد يقول القارىء، "لكنّ ثمة شيئاً لا يزال يخيفني... فماذا عن المواد الناقلة السرطان والعقاقير الخطِرة والاشعاع والنفايات الكيميائية والتلوث؟ ألا تؤثر هذه الأشياء في حياتنا اليومية أكثر من عنصري السكّان والموارد؟"

لنأخذ مكاناً يُقال انه من أكثر أمكنة العالم تسبُّباً في التلوث، وهو "قناة الحبّ" الأمريكية. لقد أُجريت اختبارات كثيرة للتأكد مما إذا كانت المواد الكيميائية التي ألقتها "شركة هوكر للكيميائيات واللدائن" في شلالات نياغارا بين ١٩٤٢ و١٩٥٣ أسفرت عن آثار صحية سلبية في قناة الحبّ وجوارها.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠، خلصت هيئة أطباء أوكل إليها حاكم نيويورك هيو كاري دراسة الأمر الى انه "ليس من دليل على أعراض صحية سيئة ذات علاقة بالفضلات الكيميائية السامة في منطقة قناة الحبّ". وأشار التقرير نفسه الى خطأ الانذار السابق من تسبُّب تلك الفضلات في أخطار صحية جسيمة، كالأعطال الصبغية الوراثية. وأصدر مدير دائرة مراقبة السرطان في نيويورك الدكتور دوايت جانيريتش تقريراً عام ١٩٨١ جاء فيه ان "الشواهد لا تشير الى اصابات غير اعتيادية بالسرطان في منطقة قناة الحب".

وهناك خوف آخر قائم على وجود كميات سامة من الزئبق في جوف السمك. ولكن تبين ان هذه الكميات ليست أكثر مما وُجد في المتحجّرات السمكية القديمة.

ومن ناحية اخرى، تبين ان الطائرات التي تفوق الصوت سرعة لا تؤدّي الى الجنون ولا تزيد سرطان الجلد كما أُشيع. كما تبين ان كميات السكرين التي يتناولها الناس ليست قاتلة.

هذا غيض من فيض. ولكن يجب ألا يعني ان كل عقار او عنصر كيميائي او استهلاكي كُتب عليه انه "خطر" ليس هكذا حقاً. ومن المواد" الخَطِرة بنسب متفاوتة التاليدوميد والكيبون والاسبستوس (الحرير الصخري) والرصاص وغاز الفورمالديهايد والزرنيخ وملح الحامض البرومي والذرور الزراعية والصناعية والبنزين وأصباغ الطعام وتتراكلوريد الكربون.

ولكن مهما كثرت هذه المواد أو قلت، تَبْقَ الحجة قائمة، وهي ان المواد غير الخطرة تتجاوز المواد الخطرة عدداً، واذا لم تتجاوزها، ففي الامكان الاستغناء عنها أو تلافي خطرها.

ومن أجل عالم أكثر سلاماً ونظافة، يمكننا اعتماد الوصفة الآتية: ما ليس خَطِراً فهو آمن، وما هو خَطِر يمكن طرحه جانباً أو اجتناب خطره.

## الأخبار العظيمة، الأخبار السيئة

ها نحن، إذاً، نعيش حياة أطول وأسلم ولا يواجهنا أيّ نفاد للموارد.

ومهما بلغت أخطار الانفجار السكاني، فهي اليوم أقل كثيراً مما كانت. كما بات الوضع أفضل من ناحية "نوعية الحياة" والنواحي الاخرى المتعلقة بوجودنا العصري.

غير أن وسائل الاعلام لم تنقل إلينا قطّ أخباراً من هذا النوع. والواقع ان هذه الوسائل، وخصوصاً التلفزيون، تقدّم أخباراً غير صحيحة. وذلك يُعزى الى كونها قائمة على فلسفة إعلامية مخططة يمكن التعبير عنها بالآتي:

"الخبر السيىء خبر عظيم.
الخبر الجيد ليس خبراً.
الخبر الجيد هو الخبر السيىء."

لنعد الى نقطة انطلاقنا الاولى، وهي معدّل التعمير، للتمثيل على المقياسَين الأول والثاني: وسط جميع عناوين التلفزيون حول المواد" الحاملة للسرطان، هل يذكر أحدنا انه سمع خبراً تلفزيونياً رئيسياً واحداً عن زيادة معدّل التعمير لدى البالغين؟

قد يقول قائل ان هذا الموضوع قائم على الاحصاء وانه، بالتالي، يقتضي متابعة زمنية طويلة، لا تصلح موضوعاً للتلفزيون. ولكن لو هبط معدّل التعمير في العقد الأخير من الزمن عوض الارتفاع، أما كانت زيادة الوفيات تشكل خبراً تلفزيونياً دسماً؟ أما كانت الحكومة تعمد الى ارصاد الأموال الطائلة لتحرّيه؟ أما كان أنصار البيئة يتبرّعون للقول بأنّ سبب الوفيات هو التلوث والاشعاع النووي؟

هكذا نجد أنّ الخبر السيىء هو الخبر العظيم المثير.

ولكن ألم يحاول أحد تغطية موضوع ارتفاع معدّل التعمير؟ أجل، لقد وجد هذا الموضوع أخيراً من يتصدّى له في الولايات المتحدة، ولكن على نحو غريب جداً، إذ تناولته شبكات التلفزيون كأمر سلبي حين اتضح انه يكبد مؤسسات الضمان الاجتماعي الأمريكية مصاريف اضافية باهظة.

وهذا، بدوره، مثل على ان الخبر الجيد هو، بمعنى، سيىء.

## مدّ اقتصاديّ

لا شك في اننا سمعنا الكثير من الاخبار السيئة الاخرى. ولنتناول الآن ما سمعناه عن "مستوى المعيشة".

إذا جاء إنسان من المرّيخ لزيارة الأرض، ومكث فيها لا يفعل شيئاً سوى مشاهدة التلفزيون وقراءة الصحف، فماذا يكون انطباعه؟ لا بدّ من أن يجد الظرف صعباً، فيما الاوروبيون والأمريكيون يرزحون تحت نير انحسار اقتصادي رهيب، وسكان العالم الثالث يعانون الجوع والمرض والأُمية.

لا نكير ان العالم شهد انحساراً اقتصادياً يبدو اننا بدأنا نخرج من دائرته. ولكن هذا ليس بالامر الشاذّ، اذ ان النموّ الاقتصادي شأن دوريّ. والمهم في الامر ان الاتجاهات الطويلة المدى رفعت مستوى الحياة، وهي اتجاهات ظهرت في كلا العالمين الصناعي والنامي.

وهنا أمثلة من البنك الدولي عن البلدان ذات "الدخل المنخفض":

□ بين ١٩٦٠ و١٩٨١، أي خلال جيل واحد، ارتفع معدّل التعمير في الدول النامية من ٤٢ سنة الى ٥٨ سنة،

□ خلال الفترة نفسها، تضاعف عدد الأطباء بالنسبة الى عدد السكان في هذه الدول.

□ في السنوات الستّ الممتدّة بين ١٩٧٤ و١٩٨٠، ارتفعت نسبة الغذاء في أفقر بلدان العالم من ٢٠٣٦ سعرة حرارية يومية للفرد الواحد الى ٢٢١٨ سعرة، وهذا يرفع المعدّل اليومي المطلوب الى ٩٧ في المئة.

□ بين ١٩٦٠ و١٩٨٠، ارتفع عدد البالغين الذين يعرفون القراءة والكتابة في بلدان العالم الثالث من ٤٨٠ مليوناً الى مليار و٢٠٠ مليون.

□ أقوى التبدلات التي تشهدها البلدان النامية تحصل في حقل استهلاك الطاقة. وأهمّ علامة على تقدم مجتمع ما نحو العصرية هي حلول الطاقة الآلية محلّ الكدح البشري. وفي العقدين الأخيرين، شهد استهلاك الطاقة في البلدان النامية ارتفاعاً بنسبة ٦٩ في المئة.

□ في حقل الاتصالات، بدأ سكان هذه البلدان، حتى مزارعوهم الذين يعيشون في المناطق النائية، يعرفون ما يجري في العالم. وارتفع عدد أجهزة الراديو بنسبة ٢٦٦ في المئة بين ١٩٦٥ و١٩٨١.

□ وأخيراً يأتي الدخل الحقيقي. فقد شهد الدخل الفرذي ارتفاعاً حتى في أفقر بلدان العالم، بغض النظر عن زيادة عدد السكان. وإذا استمر الارتفاع كما هو، أي بنسبة ٢،٩ في المئة سنوياً، فهذا يعني مضاعفة الدخل الفردي كل ٢٤ سنة.

وفي حين اني لم أتحمس لمحاولة

دول العالم الثالث تعديل النظام الاعلامي العالمي عبر منظمة التربية والعلوم والثقافة (الاونيسكو) التابعة للأمم المتحدة، لكني أقر ان سكان العالم الثالث كانوا على حق حين أخذوا على وسائل الاعلام العالمية اقتصارها على نشر الاخبار السيئة حول بلدانهم. والواقع ان تلك المجتمعات شهدت تطوراً ملحوظاً، على رغم المشاكل السياسية والاقتصادية الكثيرة.

وهناك ظاهرة صحافية مماثلة في البلدان الصناعية. فقد ركزت وسائل الاعلام خلال العقد الأخير على بطء النمو الاقتصادي. والحق ان ثمة شيئاً من هذا القبيل قياساً بالازدهار الذي شهدته الستينات. غير ان النمو يبقى نمواً، وإن تم ببطء. وهذا يعني ان الامور تشهد تحسناً، ولكن على نحو أكثر تواضعاً.

وهنا أمثلة حول البلدان المتقدمة، مبنية على أحدث الاحصاءات:

□ بين ١٩٧٠ و١٩٨١، ارتفع الدخل الفردي بنسبة ٤٣ في المئة (مع اعتبار القيمة الحالية للعملة)، أي بمعدل ٢ في المئة سنوياً. ثم شهد النمو بعض تدن، لكنه حافظ على ارتفاعه بغض النظر عن زيادة البطالة التي تكون مشكلة عويصة.

□ بين ١٩٧٠و١٩٨٠، ارتفع عدد السيارات لكل ألف شخص من ٣٦٤ الى ٥٣٤ سيارة.

□ من أواخر الستينات حتى أواخر السبعينات، شهدت العطل السنوية في معظم البلدان الاوروبية ارتفاعاً من اسبوعين حتى أربعة أسابيع، كما تدنت ساعات العمل الاسبوعية.

□ في هذا الوقت تضاءل الفقر. وفي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، هبطت نسبة الفقر من ٢٢ في المئة عام ١٩٥٩ الى ١٢ في المئة عام ١٩٦٩، فالى ١٠ في المئة عام ١٩٨٢. وهي على هبوط مطرد.

□ ارتفعت نسبة الشباب المتخرجين في الجامعات ٦٩ في المئة خلال العقد الاخير، مع ان نسبة الاشخاص الذين بلغوا السن الجامعية لم ترتفع أكثر من ٥ في المئة.

وهكذا يستمر فيض الاخبار الجيدة، في حين ان وسائل الاعلام لم تركز الا على الجانب القاتم من الامور.

## أهمية العائلة

يذهب بعضهم الى ان المشكلة الحقيقية للعصر متعلقة بالقيم. ويقول هؤلاء ان الانسان المعاصر هجر القيم "التقليدية" وغرق في بحر "الاباحية".

وهذا يحدوني على طرح أسئلة ثلاثة:

- هل تبدلت قيمنا؟
- إذا تبدلت، فهل هذا سيىء؟
- إذا كان سيئاً، فهل ثمة تحسن؟

وأجوبتي هي الآتية:

- أقل مما يُظن.
- أفضل مما يُظن.
- أسرع مما يُظن.

وفي نطاق القيم الشخصية، ليس من برهان على ما نقول أفضل مما سمعناه حديثاً حول "العائلة". فالمنذرون بالسوء يتكلمون عن المزيد

من الطلاق والنساء العاملات خارج البيت والافراد غير المتزوجين، حتى بين اولئك الذين يعيشون حياة زوجية، والاولاد غير الشرعيين. وهذا كله أدى الى تفكك العائلة التقليدية.

غير ان هذا الاعتراض لا يتجاوز الاثارة المسرحية. فالعائلة كانت ولا تزال وستبقى أهمّ قيمة في حياتنا. وفي الولايات المتحدة، حيث بلغ الانذار بالسوء أشدّه، قدّمت أدقّ التفاصيل الاحصائية التي تثبت العكس. ففي العام ١٩٨٢ طرح المركز القومي لاستفتاء الرأي سؤالا على عينة كبيرة من المواطنين حول أهمية العائلة والاولاد. وأجاب تسعون في المئة انها "مهمة جداً"، وواحد في المئة انها "غير مهمة"، فيما جاءت الاجابات الاخرى في درجات متفاوتة بين الاثنين.

وفي استفتاء أجراه في مطلع الثمانينات، وجد المركز ان الحياة العائلية تمنح ٨٧ في المئة من الأمريكيين "مقداراً ضخماً" أو "كبيراً" من الرضا والاكتفاء. وهذه النزعة لا تقتصر على الولايات المتحدة. ويقول الاستاذ ايفريت لاد من مركز روبر للرأي العام": "الشواهد الاحصائية من العالم أجمع تشير الى النتيجة الواحدة الآتية: انّ العائلة هي الأساس".

لكن ثمة جانباً من الرأي القائل بانهيار العائلة يتعلق بالجنس.

لا شك في ان النظرة الى الجنس غدت أكثر انفتاحاً. إلا ان ثمة سؤالا كبيراً وراء ما يجري علناً: هل غدا الجنس أكثر نوعاً أم أكثر كماً؟

المعلومات الاحصائية تشير الى زيادة ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج. لكن المهم هو السؤال الآتي: "هل هناك قيود على الاباحية؟" والجواب: "نعم، بالتأكيد". لكن هذه القيود تفعل فعلها على أفضل وجه حين يفرضها أصحاب العلاقة على أنفسهم بدلا من أن تُفرَض عليهم عنوة. كما ان هذه القيود الذاتية هي أقوى مما قد يتصوّر المرء. والوضع الحالي للجنس أقرب الى القيم التقليدية للزواج، أي الاقتصار على شريك واحد، منه الى الاباحية. ولئن صح ان الاباحية وجدت طريقها الى بعض المجتمعات، ففي رأي الكثير من خبراء الحياة الجنسية انها تشهد انحساراً واسعاً اليوم.

### العمل والمتعة

لنتناول جانباً آخر متعلقاً بالقيم الشخصية، ألا وهو العمل.

طالما سمعنا من دعاة السوء أخباراً عن "انهيار الاخلاق المهنية"، يتجلى في تغيُّب الموظفين عن مراكز أعمالهم وفي نوعية أعمالهم ومصنوعاتهم الرديئة. وهذا يؤدي الى طغيان السلع المستوردة وافتقار سكان البلد المعني.

ترى هل تصحّ نظريتنا "أقلّ - أفضل - أسرع" في هذا المجال أيضاً؟ هل بلغ التغير هذا المقدار الضخم حقاً؟ هل ان بعض التبدّل، أو الكثير منه، حصل في اتجاه الافضل؟ هل صحح بعض التبدل السلبي نفسه؟

ينبغي أن نشير، بادىء الأمر، الى ان معظم المعلومات حول معظم

البلدان تذهب الى ان الناس ما برحوا يعملون بجهد ويشعرون بأهمية عملهم. وهذه المعلومات معزّزة بما يسميه علماء الاجتماع "المصدر الشعبي"، أي ما يسمعونه على ألسنة الناس من أخبار وروايات وآراء.

وفي فترة الازدهار الاقتصادي، ركزت الاخبار على كسل القوة العاملة. وهذا لا يجافي المنطق اذا تذكرنا ان أرباب العمل لا يكترثون كثيراً للنوعية خلال اشتداد الطلب، وان العمال، في تلك الظروف، يكونون أكثر ميلا الى التغيب عن العمل بذريعة المرض.

لكن الانحسار الاقتصادي يحمل معه تبدّلا في الاخبار والروايات. ومن هذا القبيل ما نقرأه اليوم في الصحف ونسمعه على أجهزة الراديو والتلفزيون حول قبول العمال بخفض رواتبهم في مقابل الاحتفاظ بوظائفهم وحول لجوئهم الى تحسين نوعية إنتاجهم لكي تضاهي السيارات الأمريكية، مثلا، جودة السيارات اليابانية.

واذا صح ان الاخلاق المهنية لم تشهد الهبوط المزعوم كله وان ذوي العلاقة عمدوا الى التصحيح الذاتي لأخطائهم، بقي سؤال واحد للاجابة عنه: هل ان بعض التبدّل الثانوي في الاخلاق المهنية أمر سيىء؟

ثمة واحد من أهداف العمل في المجتمع الصناعي العصري هو نفعي برمته. فالناس يعملون بمشقة ليأكلوا ويُطعموا عائلاتهم ويؤمنوا لأنفسهم المسكن والملبس. وأحد أهداف العمل الشاقّ أن يتوصل المرء الى وقت يغدو العمل بعده أقلّ جهداً وتزداد أيام العطل وتقلّ ساعات العمل اليومية وأيامه الاسبوعية، مما يمنح العامل وقتاً للترفيه والقراءة وصرف فترات أطول مع أولاده.

ولا بدّ من أن تؤدي التكنولوجيا مع الوقت الى رفع الانتاج وزيادة الثروة، الأمر الذي يمنح العامل مجالا أكبر للاسترخاء والراحة. وهذا، في ذاته، مثل على التبدل الثانوي في الاخلاق المهنية. فهي اليوم مستمدّة من العمل والراحة معاً بعدما كانت قائمة على العمل الشاق وحده. وتضاؤل وقت العمل يعني زيادة وقت الترفيه. فمن يعدّ هذا الأمر سيئاً؟

## النزعة الى الأخبار الرديئة

الصحافة ظاهرة رائعة، لا حياة للديموقراطية في غيابها. لكن ثمة مشاكل تلازمها. ولنبدأ بمشكلة اختيار الاخبار وتقديمها.

ان الذي نسمعه على التلفزيون أو نقرأه في الصحيفة ليس الخبر الخام بل ما بقي منه بعد الحذف والاختصار والتعديل والتوضيح والتنقية، وهي عملية تمارسها وسائل الاعلام لأسباب شتى. وفي النهاية، لا يعلق في ذهن المشاهد أو القارىء سوى خلاصة الخبر أو جانبه القوي.

والخلاصة التي علقت في أذهان الجمهور من الاخبار التي نشرتها وسائل الاعلام في مطلع السبعينات حول وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية هي أنها منظمة مسعورة عنيفة، هدفها قلب الحكومات واغتيال رؤساء الدول باستخدام أنواع

الأسلحة الخفية والخفيفة الحمل. أما زبدة الاخبار السياسية في مطلع ١٩٨٢ فكانت ان حركة السلام والحد من التسلح النووي باتت قوّة رئيسية تستطيع إسقاط كل مرشح سياسي لا يقرّ أهدافها ووسائلها. ولا يُستبعد أن تكون بعض المقالات نُشرت حول هذين الموضوعين من زاوية اخرى. لكن ما بقي في أذهان الناس هو ما ذُكر. وهو، في رأيي، خطأ فاضح في كلتا الحالين.

وهناك مشكلة اخرى متعلقة بوسائل الاعلام العصرية تتعدّى خطأ المعلومات الى التغافل عن الاخبار الحقيقية أو جهلها. هذا الاتهام ليس شاملا الجسم الصحافي كله، ولكن لنذكر أننا نتكلم عما يبقى من الموضوعات البارزة في أذهان القرّاء. وانطلاقاً من هذا المقياس، يمكن القول ان الصحافة مقصرة في عرض الجوانب المشرقة من الحضارة المعاصرة. ثمة، إذاً، نزعة نحو الأخبار الرديئة.

وإذا سُئل جهابذة الصحافة عن هذا الأمر، لهزّ واحدهم كتفيه وقال: "أجل، إننا ننقل الأخبار السيئة. ولكن ما الخطأ في الأمر؟"

لنحاول الاجابة عن هذا السؤال من أجل تقدير الخطر الراهن.

هبّ أنّ ما أقوله عن نزعة الصحافة العصرية نحو الاخبار الرديئة صحيح، وان هناك مغالاة في ذلك، واننا لا نسمع سوى أخبار الفضائح والعنف والانهيار الاقتصادي وتلوّث البيئة والفسوق الخُلُقي. وهبّ أيضاً ان هذه الاخبار تزداد انتشاراً مع زيادة أجهزة التلفزيون وعدد المستمعين، وان أثر الاخبار السيئة يتراكم مع الوقت حتى يتضخم كثيراً بعد عقدين من الزمن. والآن، هل يُعَدّ هذا النزوع الى الاخبار السيئة هدّاماً؟

لننظر في الحقائق الآتية:

□ **في الاقتصاد** — ان انخفاض نسبة الاستثمار التجاري يضعف القدرة على العمل ويبطىء النموّ الاقتصادي.

ولكن لنسأل، أوّلا، ما هو "الاستثمار"؟ انه رهان على طبيعة المستقبل. فالمستثمر، سواء أكان فرداً أم شركة، يقول لنفسه ان الامور ستكون أفضل في المستقبل بحيث ان المبلغ الذي يستثمره اليوم يعود عليه بأرباح مضاعفة في الغد.

أما إذا بنى المستثمر حكمه على أخبار وسائل الاعلام القائلة أنّ الحاضر لا يزال سيئاً كالماضي، فماذا تكون النتيجة؟ الراجح انه لن يراهن اذذاك على المستقبل، لأنه لن يكون، كما قيل له، خيراً من اليوم والأمس. وهكذا يؤدي انخفاض الاستثمار الى نتائج سيئة في المستقبل.

□ **في السياسة** — افضل الصحافيين ينجزون فترة تدرّجهم بالتركيز على رؤساء الدول. فكلما قال الرئيس شيئاً تافهاً أو فعل أمراً تافهاً أو عيّن شخصاً يقول أو يفعل التوافه، كتبوا حوله مقالا رئيسياً واستمدّوا منه عنوان الصحيفة الكبير. والشيء

نفسه ينطبق على كبار الموظفين والمسؤولين. وما على القارىء إلا أن يتصوّر نفسه عرضة لهذه الملاحقة الدائمة، ويسأل نفسه: "هل يحبني جميع زملائي ومنافسيّ؟ أأنطق أحياناً باشياء لا أعنيها حقاً؟"

إني لا أدعو الى تحصين السياسيين ضد كل نقد ممكن. لكنّ الكثير من النقد لا يخدم المصالح القومية ولا يعزّز إيمان المواطنين بدولتهم ونظامها.

كما لا أدعو الى نبذ الطريقة الديموقراطية القديمة في اقصاء الرؤساء والمسؤولين المخطئين. ولكن اذا كان سبب اقصائهم اقتناع المواطنين بالاشاعات الصحافية، فينبغي ان يعمد المواطنون الى التأكد من صحة احكامهم ومواقفهم بعيداً من الاثارة الصحافية.

□ **في السياسة الخارجية** — لا يُستبعد أن يكون نزوع وسائل الاعلام الى تضخيم الاخبار السيئة أضعف قدرة الدول الحرة على التدخل المجدي في الظروف التي تشكل عائقاً للحرية والديموقراطية.

لنأخذ، بادىء الامر، فكرة استخدام القوّة. وليتصوّر واحدنا انه ضابط أو ديبلوماسي شابّ. فما هي العبَر الصحيحة التي يمكن أن يستمدها من الحروب الحديثة؟

طالما قيل ان عنصر الجدّة في هذه الحروب يقتصر على الاسلحة الجديدة، كالصواريخ الفرنسية التي استخدمتها الارجنتين، لكن الواقع ان اهم اسلحة الحرب المعاصر هي آلات التصوير التلفزيونية الخفيفة والاقمار الاصطناعية التي تنقل الاحداث حول العالم لحظة حصولها.

وإذا عرضنا الحروب التي تجري حالياً، لوجدنا ان الامثولات التي يجب أن يخرج بها السياسيون والديبلوماسيون والعسكريون المعاصرون ترتكز على اربع قواعد.

**القاعدة الاولى** — في استطاعة الدول الشيوعية أن تشنّ حروباً عنيفة وطويلة الأمد من غير أن تنفق الكثير عليها. وها قد انقضى على دخول السوفييت الى أفغانستان أكثر من أربع سنوات واجهوا خلالها مقاومة أفغانية قوية. لكن حظر تصدير الحبوب الذي فرضته الحكومة الاميركية على الاتحاد السوفياتي رُفع اليوم، والعقوبات الحقيقية لم تُفرَض البتة، والاخبار اليومية حول العالم باتت تتجاهل هذه الحرب بعدما طال أمَدُها.

**القاعدة الثانية** — في إمكان دولة ديموقراطية أن تشن حرباً سريعة على جزيرة تمكنها من فرض سيطرة على الاخبار. ومن الأمثلة على ذلك الحرب البريطانية ضد الأرجنتين في جزر فولكلاند. فهي بدأت، صحافياً، بتغطية كبيرة للسفن التي انطلقت من الساحل الانكليزي. إلا ان أحداً لم يلتقط أي صورة تلفزيونية للجنود الانكليز الذين قضوا في البحر المتجمد على هياكل سفنهم المعدنية المحترقة. ولم يُسمح آنذاك للمراسلين الأجانب بمرافقة الحملة،

كما فُرضت رقابة شديدة على المراسلين البريطانيين القلائل الذين كانوا على متن السفن·

والسؤال الآن هو الآتي: "لو عرض التلفزيون الانكليزي· مراحل الحرب تباعاً، أكانت رئيسة الوزراء السيدة مارغريت تاتشر استطاعت الاحتفاظ بالدعم السياسي الضروري حتى آخر الحرب؟"

الجواب: "كلا"·

وهذه الولايات المتحدة في اجتياحها جزيرة غرينادا في البحر الكاريبي، لم تسمح للصحافيين بمرافقة الحملة، ولا هم عرفوا بها إلا بعد اندلاع القتال· ولم يكن هناك دم مُراق لتصويره· وكانت النتيجة ان ٨٠ في المئة من الشعب الأمريكي أيّد الاجتياح·

**القاعدة الثالثة** - إذا كانت ساحة المعركة أرضاً مفتوحة، فأدنى تدخل من جانب الدول الديموقراطية يكلفها كثيراً· ومن هذا القبيل التدخل الأمريكي في الحرب الاهلية في السالفادور إذ أرسلت واشنطن مساعدة عسكرية و٥٥ مستشاراً· غير ان الصحافة ضخمت عدد المستشارين كثيراً وعزت إليهم مهمات وهمية غير إنسانية· وانقضت أشهُر قبل أن يستطيع وزير خارجية الولايات المتحدة، بالنسبة الى الصحافة، "البرهان" على ان فدائيي السالفادور يتلقون العون من نيكاراغوا وكوبا والاتحاد السوفييتي· وهذا أمر واضح حتى للسياسيين المبتدئين، على رغم ان "برهانه" يضعف أمام محكمة·

وعملت التغطية التلفزيونية على إظهار التدخل الأمريكي بنقيض حقيقته، وبالتالي على تأليب الرأي العام ضده·

**القاعدة الرابعة** - خارج الجزر، تستطيع الدول الديموقراطية شن حروب قصيرة وسريعة، مع قول الحقيقة كلها على الفور· واذا استمرت الحرب وتبدلت الأهداف، أو إذا كانت الأهداف ضبابية وعمدت الحكومة الى تزوير الحقائق، فلنحذر عندئذ غضب العالم·

ويمكن أن نعطي مثالا على ذلك دور الدول الغربية في لبنان بين ١٩٨٢ و١٩٨٤، حين أرسلت الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا عدداً صغيراً من قواتها الى بيروت لما سُمي "حفظ السلام"· وما لبث هدفها الحقيقي أن اتسع إذ عكس رغبة الدول الغربية في إعادة تأسيس حكم مستقل وديموقراطي في لبنان·

ولكن لنتذكر فحوى الروايات الصحافية خلال الأشهُر التي سبقت الانفجار الرهيب الذي أودى بالعديد من الأمريكيين والفرنسيين داخل ثكناتهم في بيروت· لقد عمدت القوى التي تناوىء حكومة لبنان المركزية الموحدة، ولكن الضعيفة، الى تحديد قوات البحرية الأمريكية كأعداء لها· وكلما استطاعت قتل بعضهم كانت محطات التلفزيون في طول الولايات المتحدة وعرضها تعرض جثة الجندي، وفي اليوم التالي تجري مقابلة مؤثرة مع أحد ذويه أو أصدقائه، ثم في اليوم الذي بعده

تعرض الجنازة بعد وصول جثمانه الى الوطن. وهكذا كان يتكرّر المشهد اسبوعاً بعد اسبوع.

ذلك كله حمل الجمهور والكثير من ممثليه السياسيين على معارضة الوجود العسكري الأمريكي في لبنان، وأخذ الضغط يزداد لسحب قوّات البحرية من هناك إلى أن تمّ سحبها فعلا. ولكن ما هكذا ينبغي أن تعقل السياسة الخارجية لقوّة عظمى. وإذا كان الحضور الأمريكي في لبنان مهماً، فهو لا يحصل في ظروف كهذه من غير تضحيات. ولماذا يضحي جنودنا لمحاربة العنف في الداخل ويحجمون عن التضحية لمحاربته في الخارج؟ ما معنى القوّة العظمى إذاً؟

لكن ثمة جانباً إيجابياً لاطلاع الرأي العامّ على أهوال الحرب. فهو قد يحمل الزعماء القوميين على اجتناب العنف كوسيلة لحلّ الخلافات. غير ان الامور لا تجري على هذا النحو. والواقع ان العرض المتكرّر للاخبار السيئة يؤذي البلدان الحرّة في نهاية المطاف. ونحن نعيش وسط عالم غدا استخدام القوة والتهديد باستخدامها جزءاً لا يتجزأ من المعادلة السياسية. وهو أمر يؤسّف له، لكنه الواقع الملموس.

وهكذا تقتضي طبيعة الصحافة في البلدان الحرّة المنحازة الى الاخبار السيئة عرض جميع الاهوال الحاصلة على القرّاء والمستمعين والمشاهدين، وعرض كل ما من شأنه تهديد النظام الحاكم معها. والفرق بيننا وبين الدول المنغلقة أنّ أهوالنا نحن ظاهرة على الدوام، في حين أن اهوالها هي مستترة. وفي استطاعتنا الوصول الى مسؤولينا الذين يتجنبون إظهار الحقائق (وهو تجنّب مشروع خلال الحروب). أما مسؤولو الطرف الآخر فيتعذّر الوصول إليهم. ويشاهد مواطنونا هذه الامور على شاشات التلفزيون داخل بيوتهم. أما مواطنو الدول المنغلقة فأنى لهم هذا الأمر؟

هذه الطريقة تمنح أعداءنا، على نحو غير متعمد، التفوّق علينا. فهم ينجحون إذا لجأوا الى التلويح بالقوّة. ذلك انهم يعرفون ان في استطاعتهم تنفيذ تهديدهم. وهذا أمر عسير جداً بالنسبة إلينا. وهم يدركون هذه الحقيقة أيضاً، الأمر الذي يعني ان العنف، الذي هو هدف عملهم، مستطاع لهم.

ولئن كان ثمة انحياز نحو نشر الاخبار السيئة في الولايات المتحدة، فالاخبار نفسها تجد تضخيماً غير طبيعي في بقية أنحاء العالم. ومن هذا القبيل ان أخبار الفقر في الولايات المتحدة تتلقفها الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى حول العالم وتمنحها أبعاداً غير واقعية. والشيء نفسه يقال على الاجرام وتعاطي المخدرات والجنس في امريكا، وعلى امور كثيرة اخرى. وهكذا غدت الصحافة الأمريكية، التي هي من أمجادنا الحضارية، عبئاً علينا.

ان الأثر الهدّام للنزوع نحو الأخبار السيئة يذهب أعمق كثيراً من نطاق الاقتصاد والسياسة المحلية والدولية، لينفذ الى أهمّ ما في الحضارة. ولا يُستبعد أن يؤدّي

الاعلام المعاصر الذي يتزعّمه التلفزيون وتغلب عليه الأخبار السيئة السائدة هذه الأيام، الى هدم معنويات العالم الحر. اجل، هذا لم يحدث بعد، ولكن من يضمن انه لن يحدث غداً؟

وهذا يفضي بنا الى مفارقة. فلقد بنينا هذا المقال على فرضية التقدم نحو الأفضل. لكن ما قلناه-الآن يشير الى الاتجاه نحو الأسوأ.

إلا ان هاتين النظرتين لا تعارض إحداهما الاخرى. فلقد استطعنا التقدم على رغم نزوع ناشري الأخبار بيننا نحو الأنباء السيئة. لكن المنطق يخبرنا ان الكثير من الأخبار الكالحة لا بدّ من أن يفعل فعله.

وإذا كان هذا يحصل فعلا، فلا بدّ من اننا نواجه مأزقاً حرجاً. فالمجتمع الحرّ، في التحليل الأخير، لا يبقى له أكثر من الايمان بنفسه. وإذا كفّ المجتمع عن الايمان بعظمته، فهل تبقى له الجرأة على ارسال الناس الى القمر وابعد منه؟ أو هل يحتفظ مجتمع بات يعتقد ان لا شيء مجدياً بقدرته على تجنيد إمكاناته لمحاربة السرطان؟ أو هل تبقى لدى أبناء مجتمع يُقال لهم كل مساء عبر التلفزيون انهم أصبحوا خارج التاريخ وانهم يقاومون التيار إرادة على دفع المتوجب عليهم لحماية مصالحهم وتعزيز قيمهم الديموقراطية في العالم؟ أو هل تحافظ الدول الصناعية – وقد قيل لها تكراراً ان نزعتها العصرية سوف تفضي الى طريق مسدود – على حماستها لمساعدة البلدان النامية في مكافحة المرض والامية والفقر والانعزال عن العالم؟

وهناك جانب آخر للمفارقة: لا شك ان الصحافة، على علاتها جميعاً، من أعظم إنجازاتنا الراهنة. غير ان الجمهور بات ينظر إليها بهزء. ولكم قال واحدنا لنفسه أو سمع شخصاً يقول: "كلما طالعتُ مقالا عن موضوع أعرفه، وجدتُ انه مخطىء".

لا شك في ان المغالاة في الصحافة أمر هدّام. والى حدّ كونه هكذا، لا بدّ للصحافة الحرّة من تصحيحه تلقائياً. ولكن أيفيد أمّة ما أن تكون صحافتها ممقوتة؟ أيفيد هذا المقت الجسم الصحافي نفسه؟ وإذا قويت الضغوط الشعبية والسياسية على الصحافة، ألا يمكن أن يؤدي هذا الى أمر أكثر هدماً، هو اعتماد الرقابة أو هيمنة الحكومة على الصحافة؟ على الجسم الصحافي نفسه أن يجيب عن هذه الاسئلة حتى يتوصل، في النهاية، الى التعديل المنشود الذي يعتمد الرقابة الذاتية.

ولا يحاولن أحد تمييع الاسئلة المطروحة أو التقليل من شأن الاجابة المسؤولة عنها. فالأمر، في النهاية، يتعلق بفكرتنا عن ذواتنا. والمجتمع لا يمكن ان يكون سليماً ان هو قام على اساس غير سليم.

الاعلام هو ركيزة عالمنا المعاصر. وإذا كان قد أصابه خطأ، فيجدر بنا البحث عن سبل لتصحيح هذا الخطأ من غير أن نقضي على مكاسبنا الديموقراطية الجليلة، والصحافة جزء لا يتجزأ منها.

■ بن واتنبرغ




## سقوط الامبراطورية

من المعقول جدا أن ثلثي الاباطرة الرومان كانوا مضطربي العقل بسبب ارتفاع نسبة الرصاص في طعامهم وشرابهم· وربما كان ذلك من أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية· وفي تقدير الدكتور جيروم نرياغو، من المعهد الوطني لابحاث المياه في برلينغتون من أعمال مقاطعة اونتاريو الكندية، أن الاشراف الرومان كانوا يستهلكون من الرصاص ستة أضعاف ما تسمح به المقاييس الحالية· ومن شأن الرصاص أن يؤدي الى تبدلات في الشخصية والى تخلف عقلي·

وقد أحصى الباحث المذكور عشرين امبراطورا بين العام ٣٠ للميلاد والعام ٢٢٠ للميلاد من الذين عرفوا بافراطهم في تناول الطعام المشبع بالرصاص أو من الذين كان سلوكهم يدل على التسمم بالرصاص·

وفي تقدير نرياغو أن الخمر وحده كان يحوي نصف كمية الرصاص الداخل أجسام الرومان· وهم كانوا يحتسون الخمر مع عصير من العنب المغلي ببطء في مراجل من رصاص· وفي رأيه أن ملعقة شاي واحدة من ذلك العصير تكفي لتسبيب التسمم المزمن بالرصاص· وتجدر الاشارة الى أن أحد كتب الطبخ القديمة يعتمد هذا العصير في خمس وصفاته·

وكالة "اسوشيتدبرس"

## موسيقى الشفتين

علماء الصوت الذين درسوا الدرجات الصوتية في آلات النفخ المختلفة مثل المزمار والفلوت، وحتى في الزجاجات الفارغة، لم يعيروا صفير الشفتين اهتماما حقا· إلا أن الباحثة كريستين شادل من معهد مساتشوسس للتكنولوجيا وجدت أن ما يصح على آلات النفخ الموسيقية يصح أيضا على الصفير· فالى القناة الصوتية هناك اللوزتان الحلقيتان وجدران الفم المرنة والاسنان المختلفة الاشكال والاحجام والاوضاع· وهذه كلها عوامل صوتية بالغة الاهمية·

وعبر تسجيل الصفير وتحليله الكترونيا، وجدت شادل أن حركة الضم عند الصفر تولد ثلاثة مزامير قصيرة، يمتد أحدها من الشفتين الى رأس اللسان، والآخر بين اللسان والحلق، والثالث من هناك الى الحنجرة·

وعندما يباشر الشخص صفيره يتجمع ضغط الهواء خلف فتحة الشفتين، حيث يدوّم ثم يخرج من الفم على هيئة إعصار· وهكذا يندفع الصفير من الشفتين في أمواج صوتية متلاحقة·

وأبحاث كريستين شادل ذات علاقة بمعالجة المتخلفين في النطق· وربما أمكن استخدامها لصنع جهاز الكتروني ناطق يتمتع بصوت لا مثيل لجماله بين الاصوات المعروفة··

مجلة "العلوم"






# المزيد من ناشيونال

ناشيونال تحقق تفوقاً جديداً في عالم الفيديو مع الجهاز القادر على العمل وفقاً لسبعة أنظمة

7 SYSTEM

يسمح جهاز فيديو "إن. في. ٧٨٠ آي. إم" ذو الأنظمة السبعة، للقيام بعرض مختلف أشرطة الفيديو الرائجة، سواء المسجلة وفقاً لصيغة نظامية "بال/ سيكام / ميسيكام / إن. تي. إس. سي ٣،٥٨ / إن. في إس. سي ٤،٤٣"، أو أشرطة الفيديو الطويلة والتي تصل حتى ٨ ساعات* "بال / سيكام / إن. في. إس. سي" علاوة على نظام "التقاط بال ٦".
يشمل المزيد الذي توفره ناشيونال، ويديو كلفة ... ضبط التحكم اللاسلكي عن بعد، وإمكانية العمل التلقائي على ١١٠ او ٢٤٠ فلط، ويسجل توقيت بزر واحد مع وظيفة احتياطية. ومؤقت برامج يتضمن ثمانية برامج على مدى ١٤ يوماً، مع امكانية التسجيل في "كل يوم" وفي "كل اسبوع". بالاضافة إلى التصميم الأكثر رواجاً في العالم:
تصميم "في. إتش. إس". أما المزيد الخاص فعائد لهو سمعة المتانة التي تتمتع بها ناشيونال. وإمكانية الصيانة الرفيعة حيث تباع أجهزة ناشيونال.

"المزيد" بانتظاركم لدى موزع ناشيونال الأقرب اليكم شاهدوا الآن جهاز فيديو ناشيونال "إن. في. ٧٨٠ آي. إم" ذو الأنظمة السبعة.

رمز الثقة

National

ناشيونال

